

التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربيّة
للتربية
والثقافة
والعلوم

56

السنة التاسعة والعشرون
العدد السادس والخمسون

شوال 1440 - حزيران (يونيو) 2019 م

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد السادس والخمسون

حزيران (يونيه) 2019

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور قاسم طه السارة

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذة الدكتورة زهيدة درويش جبور

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

* بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.

* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.

* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.

* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.

* الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التنضيد والإخراج الفني حسنة تلو

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق - ص.ب: 3752 - هاتف 3334876 / E-mail: acatap2@gmail.com - www.acatap.org

السنة الأولى: 1991 - دمشق ع 2019/6/15

الاشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* افتتاحية العدد 9

* قواعد النشر في المجلة 11

* بحوث لغوية

• الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً (القسم الثاني) 17

د. محمود أحمد السيد

• الحاسوب وصناعة المعجم 37

د. محمود فهمي حجازي

• المستوى الكتابي في وسائل التواصل الاجتماعي 49

د. ليلى السبعان

• شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي 65

د. صادق عبد الله أبو سليمان

• التغير الصوتي في أسماء الأعلام في الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك 95

د. محمد حماد

*** بحوث في المفاهيم والمصطلحات**

- بنوك المصطلحات الآلية 129
د. محمود إسماعيل صالح
- في المقاربة المفهومية، العنف - نموذجاً 147
أ. زهير قوتال
- مشكلات في معنى مفهوم الذاكرة وأصولها وترجمتها 163
أ. أحمد محمد جواد الحكيم
- الألفاظ المعربة والدخيلة في كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري 187
د. مهدية بن عيسى

*** بحوث في التعليم العالي**

- التعليم العالي في الوطن العربي: المشاكل ومقترح ببعض الحلول 213
د. صبري محمد خليل خيري
- مفهوم البنية بين الخليل والفكر الرياضي المعاصر (القسم الثاني) 227
د. عواطف قاسمي الحسني

*** بحوث في الترجمة**

- الدلالات المقاصد من ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا 261
سيد رحمان سليمانوف

- الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية 273

د. سام عبد الكريم عمار

* من أعلام الحضارة العربية الإسلامية

- منهجُ ابن الفخّار في شرحه على كتاب (الجُمْل) للزّجّاحي 299

ملك إبراهيم الأحمد

- * من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2019 311

التحريج العدد السادس والخمسون - حزيران (يونيه) 2019م

الافتتاحية

بقلم الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي

للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

في التقديم لأي عمل ثقافي للقارئ العربي يقف الإنسان حائراً أو مضطرباً أو خائفاً، إلى أن تظهر نتائج ما قدّم، فكيف سيُرضي أذواق القراء وحواسهم ومشاعرهم، كما المادة المقدّمة لهم في هذا العمل؟!

وأراني هنا حائراً لا مضطرباً ولا خائفاً، وستزول حيرتي عندما أشعر أنني أقدم لمجلة "التعريب" هذا التصدير، الذي يمكن اعتباره باباً واسعاً فُتِح على مصراعيه ليدخل المدعوون إلى صفحات المجلة، التي ضُمّت عدداً من الأبحاث التي تميّز كل واحد من الآخر، فكان التنوّع الذي تجمعه اللغة التي تجمّعنا ونمجّدها، والفكر الذي نحتضن..

لا شك أن في كل بحث في هذا العدد زاداً لغوياً / معرفياً كبيراً يطّلع فيه القارئ العربي على ما يحيط بالمجتمع اللغوي العربي الذي يتعرّض لحملات التشويه الممنهجة للحطّ من شأن لغتنا..

لذلك كانت أبحاث العدد هذا كما الأعداد السابقة، محاور ومواقف يمكن الاطمئنان إليها والوثوق بما قدّمه كل كاتب وباحث، وإلى آرائهم وأفكارهم في هذا العصر الذي طغت فيه وسائل الحضارة، ومنها وسائل التواصل الاجتماعي، لكن - والله الحمد - ثمة أدباء وباحثون تنبهوا لمخاطرها السلبية فوقفوا عند جوانب منها في بعض الأبحاث.

إنَّ ما تضمَّنَه هذا العدد من أبحاث متميزة يجعلنا نفخر بما نقدَّم للقارئ العربي، باحثاً وأستاذاً ومطلّعا، وبالمقابل يضعنا في مواجهة القادم لتقديم الأفضل، وهذا محفِّز لنا على الاستمرار والتطور، وإلا نكون قد تراجعنا خطوات ونحن لا نقصد..

وما نرجوه أن يكون هذا العدد محطة نقف عندها نستفيد مما فيها، لنحضّر للمحطة القادمة التي تنتظرنا، وكلُّنا ثقةٌ بأننا سنصل إلى ما رسمناه، وخططنا له.

يتزامن صدور هذا العدد مع تولي الأستاذ الدكتور محمد ولد أعمر إدارة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نرجو الله أن يوفقه ويعينه لما فيه خير المنظمة، وفي الوقت نفسه نتمنى للدكتور سعود هلال الحربي المدير السابق النجاح في مهمته الحساسة بتنشئة الجيل.

والله من وراء القصد.

قواعد النشر في المجلة

تتشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدّما للنشر في أيّ من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمثانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسخة إلكترونية على بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

acatap2@gmail.com

مع مراعاة مايلي:

- أ. ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة) ولا يقل عن /7 صفحات/.
 - ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.
 - ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولاً.
 - د. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة.
4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:

- أ. اسم المؤلف الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.
- ب. نبذة مختصرة من سيرته.
- ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي... الخ)
- د. عنوانه البريدي الكامل.
- هـ. عنوان بريده الإلكتروني.
- و. رقم هاتفه.

6. تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل ببَيِّن للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7. تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة وبدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.

8. تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9. تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لايتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

– أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقييمه لها.
 - ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
 - أن يَصْحَبَ العرض معلوماتٌ بـبليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.
10. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بَسَلَمَ موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.
11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
12. يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
13. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد السادس والخمسون - حزيران (يونيه) 2019م

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /100/ دولار أمريكي كحد أقصى، علماً أن (الصفحة الواحدة تعادل 300 كلمة حسب الفقرة (3 - أ)).

18. تعتذر هيئة التحرير عن عدم نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق - ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 - 11 - 963+

فاكس: 3330998 - 11 - 963+

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org

الصفحة على فيس بوك: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر



بحوث لغوية

الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً

القسم الثاني

د. محمود أحمد السيد

رئيس تحرير المجلة

عالجنا في القسم الأول من هذا البحث مفهوم الأداء اللغوي وحاله في ضوء الدساتير والقوانين، وفي العملية التعليمية التعلمية، وفي هذا القسم نحاول أن نتعرف واقع الأداء اللغوي في الإعلام والإعلان وفي مراكز التواصل الاجتماعي، وفي مجالات العمل المسرحي والروائي والقصصي.

1. الأداء اللغوي في الإعلام والإعلان:

كان للصحافة العربية في القرن الماضي دور كبير في تطوير اللغة العربية على يد رعييل من الصحفيين الكبار كانوا أدباء في الوقت نفسه، إلا أن الأمر اختلف مع ظهور التلفزة على الخريطة العربية في خمسينيات القرن الماضي، ثم كان الانفجار الذي وقع في دنيا الفضاء العربي مع مطلع عام 1990، ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تضاعف عدد القنوات الفضائية العربية ليزيد على 600 قناة تنتشر على أقمار صناعية مختلفة.

وكان للفضائيات التلفزية العربية دور شديد السلبية في الإضرار باللغة العربية، وقد تجلّى ذلك في اختيار أسماء بعضها، ففي عام 1991 ظهرت قناة MBC، وفي عام 1994 ظهرت باقة قنوات ART ومجموعة قنوات Orbit، وكان اختيار الأسماء هنا دالاً على مواقف من اللغة العربية تسيطر على عقل المسؤولين عنها ووجداناتهم تمثيلاً مع الحادثة أو ما بعد الحادثة، ومع متطلبات العولمة وإفرازاتها وهيمنة اللغة الإنجليزية.

وتجلى الإضرار بالعربية في اعتماد اللهجات المحلية المغرقة في عاميتها، ومن المعروف أن العاميات أداة تفكيك لنسيج الأمة الثقافي، في حين أن الفصيحة هي عامل توحيد، وها هي ذي البرامج والمسلسلات المؤلفة والمذبذبة والمنوعة تثب بالعامية، وكأنها تثبت للمواطن العربي عقم فكرة أن العرب يتحدثون بلغة واحدة على حد تعبير الإعلامي الدكتور محمود خليل.¹ وهذه البرامج تنخر في الجسد العربي وتفصل بين أعضائه بتعريضها اللهجات المحلية.

وإذا انتقلنا إلى الخطاب الديني على القنوات الفضائية فإن الإحصاءات تشير إلى وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزيونية دينية تسبح في الفضاء العربي تقدم في أحيان كثيرة خطاباً دينياً وعظيماً يعتمد اللهجة العامية بحجة التبسيط والتسهيل وصولاً إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه، وكان متوقعاً أن يكون الخطاب الديني بالفصيحة، والقرآن الكريم ذروتها وحارسها.²

وإذا كانت اللغة العربية على نطاق الساحة القومية تتأى عن السلامة اللغوية في أغلب البرامج التي تبثها أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية في المسلسلات التلفزيونية وفي المسرحيات واللقاءات والحوارات والأغاني... الخ فإن ظاهرة الإعلانات هي الأخرى تتأى عن استعمال العربية السليمة حيث «تشغل لافتاتها أسطح المباني والساحات العامة، ومنعطقات الطرق وواجهات الأبنية الكبيرة والمركبات العامة وواجهات المحال التجارية، ولا تخلو منها أغشية المشروبات وأغلفة المأكولات وجدران الملاعب وملابس الأطفال وكل ما يمكن أن تقع عليه العين في الحياة العامة المدنية».³

وهذه الإعلانات مصوغة بالعامية أو بالعربية المحشوة بالأخطاء أو بالكلمات الأجنبية، وهذا كله يسهم في تشويه اللغة العربية، ويعد عاملاً سلبياً في اكتساب المهارات اللغوية لدى أبنائنا، إذ

¹ الدكتور محمود خليل، من محاضرة ألقاها في مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 2012 عن واقع اللغة العربية في الإعلام.

² الدكتور محمود أحمد السيد، في سبيل العربية، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2015.

³ الدكتور أحمد درويش، التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة، الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم، القاهرة 2009، ص 187.

إنها تهدم ما تبنيه المدارس إذا افترضنا أن هذه المدارس تدرّس اللغة السليمة بصورة وافية. ولقد ازدادت ظاهرة الإعلانات ازدياداً مطرداً مع هيمنة الحركة التجارية والاقتصادية في عالمنا المعاصر، ولم يعبأ المعلنون في إعلاناتهم باللغة الفصيحة، وهذا ما أدى إلى انتشار العاميات والهجين اللغوي في معظم الإعلانات المنتشرة في الصحف واللافتات في الساحات العامة وعلى واجهات المحال التجارية والخدمية والسياحية.

2. الأداء اللغوي في مراكز التواصل الاجتماعي:

شاعت في مراكز التواصل الاجتماعي لغة العريبيزي أو الأرابيش Arabich وهي كلمة منحوتة من كلمتي (English) و (Arabic)، وثمة من أطلق عليها اسم (الفرانكو آراب)، وهناك من وصفها باللغة الفيسبوكية. وهي لغة غير رسمية ظهرت منذ عدة سنوات، يستعملها الشباب والشابات في الكتابة خلال الدردشة على مواقع الشبكية (الإنترنت)، أو رسائل مواقع التواصل الاجتماعي، وتختلط فيها الأحرف اللاتينية بالأرقام، وهي لغة هجينة، والحروف المستعملة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشفرة. وتكتب العربية واللهجة العامية بحروف اللغة الإنجليزية وباستخدام بعض الأرقام حروفاً، إذ تستبدل أرقام مكان بعض الأحرف في اللغة العربية التي لا يوجد لها مقابل في الأجنبية:¹

- فالرقم (2) مقابل الهمزة.
- الرقم (3) مقابل حرف العين.
- الرقم (4) مقابل حرف الذال.
- الرقم (6) مقابل حرف الطاء.
- الرقم (7) مقابل حرف الحاء.
- الرقم (8) مقابل حرف القاف.
- الرقم (9) مقابل حرف الصاد.

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2016، ص 71.

- الرقم (9') مقابل حرف الضاد.

فكلمة (سؤال) تكتب على هذا النحو (So2al)، وكلمة (سبأ) تكتب على هذا النحو (Saba2)،
وكلمة (حزين) تكتب على هذا النحو (7azeen)، وكلمة (سعيد) تكتب (Sa3eed).

وتكتب العريزي في الأعم الأغلب باللهجة الدارجة، لا بالعربية الفصيحة، ويضاف إليها الكثير من الاختصارات المتعارفة في اللاتيني الإنجليزي مثل:

SMS -	تعني رسالة قصيرة
Hi -	تعني مرحباً
Cu -	تعني نراك لاحقاً See You
U2 -	أنت أيضاً You too
BRB -	هي اختصار لجملة be right back وتعني سأرجع قريباً
TYT -	تعني خذ وقتك Take your time

وثمة اختصارات من مثل:

AA -	هي اختصار لعبارة السلام عليكم	assalamu alykom
ISA -	هي اختصار لعبارة إن شاء الله	in sha2 a Allah
MSA -	هي اختصار لعبارة ما شاء الله	ma sha2 a Allah
JAK -	هي اختصار لعبارة جزاكم الله خيراً	jazakom Allaho Khyran

وكان من أسباب انتشار هذه اللغة في مرحلة معينة أن بعض لوحات المفاتيح لا توجد فيها الحروف العربية في بعض الدول العربية، وكذلك في الدول الأجنبية التي يتواصل فيها المغتربون مع ذويهم في بلاد العرب. ويُرجع بعضهم الآخر نشأتها إلى ظهور برامج الدردشة في تسعينيات القرن الماضي بواسطة أنظمة البوتكس التي لم تتح سوى الحروف اللاتينية للكتابة، مما أجبر الكثيرين من أبناء العربية على استعمال الحروف اللاتينية، وكانت برامج الدردشة قد ظهرت قبل ظهور الهاتف المحمول والرسائل القصيرة، ولم تكن الحروف العربية وقتها متاحة في الأجهزة

الموصولة على الشابكة.

وساعدت الوسائل التقنية (التكنولوجية) الحديثة على سرعة انتشار لغة العريزي من حواسيب وهواتف محمولة وقنوات فضائية ومواقع تواصل اجتماعي وشابكة ... الخ. ولم يقتصر تأثير الشابكة والتقانة الحديثة في اللغة العربية على طريقة الكتابة اللاتينية فقط، بل أخذت بعض ملامح الإنجليزية تسري في اللغة العربية المستعملة في الشابكة، فانتشرت أسماء مثل (إنترنت، أون لاين، كمبيوتر، كيبورد، ماوس، آيفون، آيبود، فيسبوك، تويتر)، وترددت أفعال من مثل (فكس، فسبك، مسج ... الخ).¹

وأصبحت العريزي في واقعنا الحالي منتشرة على أفلام جبل جديد لا يحسن أي لغة رسمية لا العربية ولا الأجنبية، لكنه يبدع في استعمال هذه اللغة ويكتبها تلقائياً، ويقرأها بسرعة، وكأنه قد تعلمها سنين طوياً في المدارس، وآلت الأمور في استعمالها عناوين لمقالات في بعض الصحف والمجلات العربية، وفي بعض الإعلانات، حتى إن بعض المطاعم أعدت لوائح الطعام بناء عليها،² ولم يعد استعمالها مقتصرًا على مواقع التواصل الاجتماعي، بل شقت طريقها إلى النظام التعليمي، حتى إن بعض التلاميذ استعملوا الحرف اللاتيني في موضوعاتهم الإنشائية في بعض المدارس اللبنانية.³

وتوسع الشباب في استعمال هذه اللغة المحدث في رسائل الهواتف المحمولة والبريد الإلكتروني، وتنامى الخطر ليشق طريقه إلى الإعلام والإعلانات، وأكد مناصرو العربية الفصيحة والمدافعون عنها أن أشد ما في ظاهرة العريزي هو سرعة انتشارها، إذ بعد أن تشوهت اللغة الملفوظة استجدت ظروف تمسخها مكتوبة. وبعد تبين امتدادات العريزي على أنها تقليعة وتقليد أعمى وفوضى ثقافية وتخلف حضاري في نظر أصحاب العربية يؤكد هؤلاء أن اللغة العربية لا

¹ الدكتور محمد رياض العشري، العريزي: لماذا تحاربه غوغل وتهتم بالعربية الخالصة؟ BBC، 2012.

² جمانة الشامي، العريزي تشخيص موجع للعربية!! المؤتمر الدولي للغة العربية، المجلد التاسع، دبي 2015، ص 471.

³ إبراهيم أحمد حرلي، ظاهرة العريزي ومستقبل الحرف العربي، المجلد الحادي عشر من أعمال المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي 2015، ص 568.

يمكن وصفها بأنها مجرد لسان تتحدث به مجموعة من الناس، بل هي مسألة وجود وقضية هوية، وأن ثمة دولاً حافظت على لغتها كاليابان وكوريا وألمانيا... الخ، وتبوأَت مواقع عليا في سلم التقدم الحضاري، وأن اللغة العربية هي لغة الفصاحة والبيان، وفي الحفاظ عليها حفاظ على الهوية وعلى الأمن القومي العربي، وهي لغة القرآن الكريم ولغة الإبداع في مختلف ميادين المعرفة.

3. الأداء اللغوي في الواقع الثقافي والإبداعي:

طالما أثيرت مسألة استعمال العامية والفصيحة في الواقع الثقافي والإبداعي، واهتم كثير من النقاد والباحثين والدارسين على امتداد الساحة العربية وفي مصر بوجه خاص، على توظيف العامية في أعمالهم القصصية والروائية والمسرحية. وفي هذا الشأن سار نفر من هؤلاء الكتاب لاستعمال العامية بصورة جزئية حيث جرى توظيفها في إطار استعمال بعض المفردات داخل السياق الفني لتلك الأعمال، دون توظيفها في السرد الكامل للعمل، في حين اتجه نفر آخر إلى استعمال العامية في الحوارات بين شخوص الأعمال، في حين عمد كثير من هؤلاء الكتاب إلى توظيف العامية في السرد القصصي أو الروائي بشكل كامل بحيث كانت بنية العمل كلها متحركة ضمن إطار الألفاظ والتراكيب العامية.¹

ولقد أبان الباحث الدكتور نصر عباس في بحثه «تأثير العاميات في الواقع الثقافي والإبداعي، قراءة حول واقع العاميات في الرواية المصرية» أن العاميات هي لهجات وليست لغات، إذ لا قواعد لها وليست لغة فكر وثقافة وأدب خلافاً للفصيحة التي تمثل هوية الأمة، وذكر أن ثمة إحصائية لرصد آخر الأعمال القصصية والروائية المصرية المكتوبة بالعامية أفادت بأن ما يزيد على ستين عملاً ظهر في الساحة الثقافية المصرية عام 2018، وهذه لها آثار سلبية مباشرة على ثقافة الإنسان ولغته وفكره وتوجهاته الاجتماعية والنفسية لما فيها من سخافة

¹ الدكتور نصر عباس، تأثير العاميات في الواقع الثقافي والإبداعي، قراءة حول واقع العاميات في الرواية المصرية، مؤتمر مجمع اللغة العربية القاهرة عام 2018، ص 8.

وسداجة، وهذا يتنافى مع الأبعاد الفنية والأخلاقية بل والإنسانية، ووازن الباحث بين العامة والفصيحة في هذا المجال، إذ إن العربية الفصيحة قادرة على التعبير عن المواقف والقضايا الإنسانية مع اختلاف التركيبات الاجتماعية التي تعيشها وذلك بتنوع أساليبها اللغوية. وعرض لآراء بعض المفكرين في استعمال بعض المفردات العامة في الحوارات القصصية والروائية والمسرحية، وبعضهم الآخر في استعمال السرد كله بالعامة، ويستشهد برأي الدكتور طه حسين في الأدب القصصي عند نجيب محفوظ إذ يقول: «إن روعة قصص نجيب محفوظ تأتي من لغتها، فهي لم تكتب بالعامة المبذلة، ولم تكتب بالفصحى القديمة التي يشق فهمها على أوساط الناس، وإنما كتبت بلغة وسطى يفهمها كل قارئ لها مهما يكن حظه من الثقافة، ويفهمها الأميون إن قرئت عليهم، وهي مع ذلك لغة فصيحة نقيّة لا عوج فيها ولا فساد، وقد تجري فيها الجملة العامة أحياناً حين لا يكون منها بد، فيحسن موقعها وتبلغ منك موقع الرضى».¹

ورأى الباحث أن الاتكاء على مقولة أن توظيف العامة في الأعمال القصصية والروائية إنما يأتي متساوياً مع طبيعة الطبقة الاجتماعية والمستوى الثقافي لبعض شخوص تلك الأعمال، هي مقولة مردودة وموضع إعادة نظر، إذ إن الكاتب بالفصيحة يحسن استعمال لغته ضمن مستويات لفظية وتعبيرية وتراكيب متباينة ومتنوعة تتناسب مع الطبقة التي تنتمي إليها تلك الشخوص.

وأوضح أن من أهم أوجه تأثير العامة في السياقات السردية القصصية والروائية والمسرحية بشكل مباشر ما يتعلق بتأثيرها السلبي في مفردات اللغة، إذ إن استعمالها لدى الناشئة والشباب في حياتهم اليومية قد يكون سبباً مباشراً في إهمال ما يوازيها في المعنى والدلالة من ألفاظ الفصحى، وثانياً ما يتعلق من تأثير العامة السلبي أيضاً في الصياغات والتعبيرات والتراكيب اللغوية، مما قد يفرض أنماطاً وأشكالاً من التعبيرات العامة البعيدة عن القواعد اللغوية السليمة، وقد يكون لها تأثير سلبي في المنظومة الأخلاقية والنفسية بل الثقافية لجيل من الشباب.

وخلص الباحث في نهاية بحثه إلى بعض التصورات حول توظيف العامة في عالم الإبداع

¹ المرجع السابق، ص 26.

الروائي والقصصي المصري، أجملها في الآتي:

1. لا ضير من استعمال العامية بقدر محدود من المفردات قد تكون الضرورة والحتمية سبباً في اختيارها دونما تأثير في بنية العمل الروائي ولغته في السرد والحوار كما عند توفيق الحكيم في «أغنية الموت»، وما فعله نجيب محفوظ في كثير من أعماله.
2. توظيف العامية لغةً للحوار قد يكون في أحيانٍ ما عاملاً مساعداً لإيصال الفكرة المستهدفة من العمل على الصعيد النفسي إلى المتلقي، إلا أن الفصيحة بالمقابل قادرة على تحقيق هذا الهدف بشكل أعمق وأثرى دلالة وأكثر بلاغة. وفي ترجمة الأعمال الروائية الأوربية إلى العربية خير مثال على عمق الفصيحة ودقتها وتميزها في التعبير عن بواطن النفس البشرية، والكاتب عبد الناصر العطيبي خير مثال على هذا الجانب في الواقع القصصي والروائي المصري.

3. توظيف العامية في العمل الروائي برمته سرداً وحواراً كما عند يوسف القعيد، وهذا المسار موضع نظر ومراجعة بسبب طبيعة البعد المكاني الجغرافي ومحدودية المحيط الاجتماعي الذي تنحصر فيه استعمالات هذه العامية، وبسبب مساحة القراءة والتأويل التي قد يتسع فضاؤها ليشمل محيط البلدان العربية كلها مما لا يتيح المجال لفهم دلالات مفردات تلك اللغة ومعانيها وإيحائها.

وخلاصة الرأي في هذا المجال أن الأمر المستهجن أن تكتب الأعمال الأدبية باللهجات العامية في العمل القصصي والروائي والمسرحي، لأن العاميات تختلف في دلالة معانيها بين قطر عربي وآخر، والأديب الذي ينجح إلى استعمال اللهجات في أعماله الأدبية يتخلى عن رسالته الثقافية في الارتقاء بالجمهور ذائقةً وفكراً ووجداناً ولغةً.

خامساً: من أسباب القصور في الأداء اللغوي

ثمة اتجاهان في البحث عن أسباب القصور في الأداء اللغوي وبخاصة في العملية التعليمية، أولهما أرجع الأسباب إلى عامل واحد، وثانيهما ذهب إلى أن هنالك أكثر من عامل

وراء هذا القصور في الأداء.

الاتجاه الأول: كان الدكتور طه حسين قد أشار منذ ثلاثينيات القرن الماضي إلى أن المماحكات والتأويلات في المادة النحوية التي يتفاعل معها المتعلمون هي السبب المسؤول عن نفورهم من اللغة، ومن ثم قصورهم في الأداء فيها إذ يقول: «إذا أردت أن تعلم النحو لهؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريد على أن يفهموا أن قولك «قرئ الكتاب» قرئ فعل ماض مبني للمجهول، والكتاب نائب فاعل لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني وعلم النحو، وأنيب عنه المفعول به، فكيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم يتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام؟ ما هذا الفاعل الذي حذف، وما هذا المفعول به الذي أنيب عنه، وما هذا المجهول الذي يبنى له الفعل؟»، ورأى «أن لغتنا العربية لا تدرّس في مدارسنا وإنما يدرّس فيها شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته».¹

وأكد هذا المنحى الأستاذ المرحوم عباس حسن الذي رأى أن الاضطراب في المادة النحوية والخلافات فيها هي المسؤولة عن الضعف وتدني مستوى التحصيل في اللغة العربية، إذ يقول: «هذا الخلاف والتفرق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكثر العقبات في تحصيلها».²

وعلى هذا النحو أيضاً أرجع الدكتور مراد كامل مسألة نفور المتعلمين من اللغة ولجوئهم إلى العامية إلى «بُعد المادة اللغوية المقدمة عن الحياة النابضة الزاخرة، ومحاولة النحويين الرجوع باللغة الفصحى إلى ما كانت عليه في أول أمرها قبل الإسلام وأيام الأمويين، وفي ذلك إجبار المتعلمين بطريق غير مباشر على أن يهربوا من اللغة ويتركوها إلى لغتهم التي تخدم حاجاتهم خدمة مباشرة مادامت معبّرة وسريعة، بدل أن تستبد بهم لغة صارمة عنيدة، وتسدّ عليهم مسالك

¹ الدكتور طه حسين، في الأدب الجاهلي، طبعة مصر، القاهرة، 1933، ص 7.

² عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بالقاهرة، 1966، ص 66.

الحياة، فلا تتطلق بهم ولا تدعمهم ينطلقون».¹

وثمة مَنْ أرجع السبب إلى المدرّسين غير الأكفيا، فما هو ذا أمين الخولي يقول في محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية: «حدّق في المدارس والتعليم فيها، أولئك المدرسون للمواد المختلفة لا يحسنون لغتهم، ولا يحسنون الإبانة، فهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تأليفهم وعرضهم، وهم لا يلقون لتلاميذهم وطلابهم حقائق منيرة بيّنة، وليس ذلك فحسب، بل هم يبرمون باللغة، ويتأففون ممن يرجو لديهم بياناً بها وصحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية».²

وإذا كان من الباحثين من حمّل المادة اللغوية والتأويلات والمماحكات النحوية والمدرسين مسؤولية النفور من اللغة والضعف في أدائها، فإن ثمة باحثين آخرين حمّلوا طريقة التدريس مسؤولية هذا التدني، فما هي ذي بنت الشاطئ تقول: «يبدو لي أن هذه الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة وإجراءات تلقينية وقواعد صماء نتجرّعها تجرعاً عقيماً، بدلاً من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة، وقد تحكّمت قواعد الصنعة بقولها الجامدة، فأجهدت المعلم تلقيناً والمتعلم حفظاً دون أن تُجدي عليه شيئاً ذا بال في ذوق اللغة، ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا كله إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيداً عن منطق اللغة وذوقها».³

كما أن المجعي الراحل الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله حمّل طريقة تدريس القواعد النحوية مسؤولية التدني في الأداء اللغوي لدى المتعلمين، ففي مذكرة تقدم بها إلى وزارة التربية والتعليم في مصر أشار فيها إلى أن مشكلة الضعف في اللغة لا ترجع إلى تعقيد القواعد وصعوبتها لأن هذه الصعوبة قديمة، وإنما يرجع إلى طريقة التدريس، وإلى هذه الطرائق الجديدة

¹ الدكتور مراد كامل، في مقدمة كتاب اللغة العربية كان حي لجرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ص 15.

² أمين الخولي، محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية، معهد الدراسات العربية، القاهرة 1958، ص 6.

³ الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، لغتنا والحياة، دار المعارف، القاهرة 1969، ص 71.

في تعليم اللغة فيها، فما هو ذا يقول: «وكننت أحسب أن ذلك الضعف مرجعه إلى ما في قواعد اللغة العربية من تعقيد وبعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل، على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى هذه الصعوبات فهي قديمة. أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة، وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية».¹

ويهاجم الطريقة الجديدة في تدريس قواعد اللغة العربية، تلك الطريقة التي تعتمد النصوص أساساً في تقرير القاعدة، مشيراً إلى أن هذه الطريقة تعمل على إضعاف الطلبة في اللغة العربية وجعلهم لأبسط قواعدها، ذلك لأن مبدأ التقديم بنص يناقشه المدرس مع تلاميذه، ثم يستخرج منه الأمثلة التي تعينه على استنباط القاعدة التي يراد تدريسها إنما هو ضياع للوقت، لأن الموضوع لا علاقة له بالقواعد النحوية التي هي موضوع الدرس الحقيقي، وإن الكتاب الذي تضمن هذه الموضوعات إنما هو كتاب نحو، ويجب قبل كل شيء أن يعلم كيف يقرأ قراءة صحيحة، وهذه الطريقة تشغل الطالب بموضوع الإنشاء فتصرفه عن قاعدة النحو المراد شرحها، لأن ذلك يقوم على أساس افتراض أن المعنى أصل والنحو عرض».²

وإذا كان الدكتور محمد كامل حسين قد ركّز على الطريقة الحديثة في تدريس القواعد النحوية على أنها هي المسؤولة عن تدني مستوى الأداء في تحصيل الطلبة، فإن الدكتور حسام الخطيب قد هاجم طرائق تدريس اللغة العربية كافة، ورأى أنها متخلفة، فما هو ذا يقول: «إن أي لغة في العالم مهما تكن درجة صعوبتها وتعقيدها ممكنة التعليم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجحة لتعلمها واكتسابها، ولغتنا العربية غير مخدومة تربوياً وطرائق تعلمها متخلفة وغير علمية».³

¹ الدكتور محمد كامل حسين، مذكّرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو، وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة 1966، ص 1.

² المرجع السابق، ص 2.

³ الدكتور حسام الخطيب، اتحاد المعلمين العرب، المؤتمر التاسع، الخرطوم، 1979، ص 558.

الاتجاه الثاني: ويرى أن مشكلة تدني مستوى الأداء تكمن وراءها عوامل عدة ولا ترجع إلى عامل واحد، فقد أشار الأديب أحمد حسن الزيات في كتابه «في أصول الأدب» إلى أن «مسؤولية تدني المستوى اللغوي ترجع إلى الاقتصار على كتاب واحد للمطالعة وجفاف القواعد وسوء تعليم اللغة ورداءة الكتب وندرة الكتب التي تحبب التلاميذ بالقراءة، وجهل التلاميذ بالغرض مما يدرّس».¹

وذهب الباحث اللغوي «مهدي المخزومي» إلى أن الضعف في اللغة العربية يرجع إلى أسباب خارجية وداخلية، ومن الأسباب الداخلية الأوضاع الاجتماعية المتخلفة والأمية المخيمة على هذه الأمة والعقم في التدريس، وسوء اختيار الكتب المدرسية، ثم عاد وحصر الأسباب في عاملين اثنين هما المدرس والكتب، إذ يقول: «وما ضعف الطلبة حتى المتخرجين منهم في أن يفهموا نصاً أدبياً أو لغوياً، وفي أن يؤلفوا جملة عربية سليمة إلا لأن القائمين على تدريس النحو سلفيون متشددون إلى القديم لأنه قديم، ولأن الكتب المدرسية اليوم هي من مصنفات النحاة المتأخرين الذين عاشوا التخلف، وما زالت مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا تعتمد في تدريس العربية وعلومها المختلفة على مصنفات النحاة المتأخرين التي ليس فيها من النحو إلا صورة باهتة مهزوزة وحلقة مفرغة».²

ولقد أرجع الدكتور محمود السيد مسألة تدني مستوى الأداء اللغوي إلى عوامل متعددة، ولقد شرح هذه العوامل بالتفصيل في كتابه «في الأداء اللغوي»³، ومن هذه العوامل:

1. طبيعة المادة اللغوية المقدمة في المنهاج.
2. العامة وآثارها السلبية في اكتساب المهارات اللغوية.
3. عدم وضوح الأهداف.

¹ أحمد حسن الزيات، في أصول الأدب، طبعة مصر، القاهرة د.ت، ص 97.

² مهدي المخزومي، نحو لغة عربية سليمة، وزارة الثقافة، بغداد 1978، ص 81.

³ الدكتور محمود السيد، في الأداء اللغوي، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2005، ص 103، 108.

4. غلبة طرائق التدريس الإلقائية التلقينية.
5. ضعف إعداد معلمي اللغة.
6. قلة المناشط اللغوية غير الصفية.
7. قلة إقبال الناشئة على القراءة الحرة.
8. القصور في أساليب التقويم.
9. ضالة استعمال التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها.

سادساً: من مستلزمات النهوض بالأداء اللغوي

- ثمة مستلزمات للارتقاء بالأداء اللغوي، ولابد من توفرها حتى يتحسن المستوى، ويكون في المكانة المرغوب فيها على جميع الصعد، ومن هذه المستلزمات:
1. إصدار القرار السياسي اللازم للتعريب في جميع الدول العربية أسوة بالأمم الحية التي تعنى بلغاتها القومية، وكفانا تسويفاً وتلكؤاً من المسؤولين وممن بيدهم القرار.
 2. توفر الوعي اللغوي لدى رؤساء الأمة وقادتها وملوكها وأمرائها حتى يكونوا قدوة حقيقيين وأمثلة حية أمام مجتمعهم في الحفاظ على اللغة القومية، والعناية بها، والاهتمام بإتقانها، وبخاصة أساسياتها.
 3. وضع سياسة لغوية على الصعيد القومي، وتخطيط لغوي في ضوئها، ومن ثم وضع خطة في كل دولة عربية في ضوء السياسة القومية والتخطيط اللغوي في ضوئها.
- وعلى السياسة اللغوية أن تعمل على تحديد الموقف من:¹
- اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية.
 - التعليم باللغة الأجنبية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة.

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، النهوض باللغة العربية والتمكين لها، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2013
ص 36.

- لغات الفئات الخاصة على الأرض العربية.
- العامية والشعر النبطي.
- وضع اللغة العربية في فروع الجامعات الخاصة الأجنبية على الأرض العربية.
- اللهجات الآسيوية في السوق والعمل وفي داخل البيوت في دول الخليج العربي.
- المؤتمرات المنعقدة على الأرض العربية باللغة الأجنبية.
- اعتماد ممثلي الدول العربية اللغة الأجنبية في المحافل الدولية على الرغم من اعتماد العربية لغة رسمية بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة ومنظماتها.
- عدم السماح بالعمل للعاملين على الأرض العربية إلا إذا خضعوا لدورات تعلّم اللغة العربية للحدّ من تأثيراتهم المباشرة السلبية في واقع اللغة داخل الأسر، وعلى الأطفال في سنيهم المبكرة.
- إلزام الشركات والمصانع الأجنبية التي تتعامل معها على ترجمة أسماء كل السلع والبضائع، وما يتعلق بها من كتابات، ودعايات، وتوضيحات إلى اللغة العربية قبل توريدها وإدخالها إلى الأسواق العربية على النحو المستعمل في بعض الأدوية المستوردة من الخارج.
- إزالة الأوهام من صعوبة اللغة العربية إن في نفوس أبناء اللغة، وإن في أذهان الأجانب الراغبين في تعلّمها.
- إزالة الأوهام المتعلقة بأن طبيعة اللغة العربية تشكل عائقاً يؤخر صناعة المحتوى الرقمي العربي من حيث شكل الحروف والحركات وغيرها.
- تنفيذ الدعوات الرامية إلى تعليم المواد العلمية باللغات الكونية، ولا يعدون العربية من اللغات الكونية، وإنما يقصدون بها الإنجليزية والفرنسية، متجاهلين أن العربية أسهمت أيما إسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية، وهي من اللغات الكونية في مسيرة الحضارة البشرية.
- وإذا كانت اللغة الإنجليزية تجتاح العالم، وتحلّ المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرس لغة ثانية في مختلف بلاد العالم، فإننا لا نعرف بلداً واحداً في غير الوطن العربي أقدم أو حتى فكّر أو عمل على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية من فرنسا إلى الصين واليابان

والبرازيل وكوريا وفيتنام وألبانيا والمجر وإسرائيل.... الخ.

4. وضع تشريعات وقوانين لحماية اللغة العربية والحفاظ على حدودها من خطر العولمة ولغتها المهيمنة على الصعيد العالمي من جهة، وخطر اللهجات العامية والهجين اللغوي من جهة أخرى، إذ لا شيء يجمع بين العرب سوى لغة فصيحة، لأن اللهجات العامية الدارجة عامل تقريب بين أبناء الأمة، في حين أن الفصيحة عامل توحيد، ولقد درس المستشرق الفرنسي «كانتينيو» أكثر من عشر لهجات عربية في عمق، ويقول عن تجربته: «إن الاختلاف اللغوي شرّ، والوحدة اللغوية خير عظيم، وإني في حال العرب خاصة لأفهم كل الفهم، وأرى من حق العرب أن يشعروا بحاجتهم إلى لغة واحدة هي رمز وحدتهم الروحية رغم تباعد أقطارهم، وأن هذه اللغة الموحدة لا يمكن أن تكون سوى الفصيحة».

ويقول الكاتب الإنجليزي «هكسلي»: «إن كتابة العلوم والآداب باللهجة العامية يضعف المواهب العلمية أو يقضي على ملكة الإنشاء الفصحى، لذلك ينبغي لنا أن نرقى بعقول العامة إلى فهم لغة العلم والآداب العالمية، لا أن ننزل بالعلماء والأدباء إلى مستوى العامة».¹

ولا يعني الأمر تبيان خطر اللهجات العامية المفترقة فقط، وإنما يعني تبيان خطر الزحف اللغوي الإنجليزي في دول الخليج العربي والفرنسي في دول المغرب العربي في ظل العولمة، وخطر العريبيزي والفرانكو آراب واللغة الفيسبوكية في مراكز التواصل الاجتماعي.

5. تفعيل الترجمة من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات، ومن الأجنبية إلى اللغة العربية وفي جميع ميادين المعرفة ولاسيما ميادين العلوم والتقانة (التكنولوجيا)، ذلك لأن الترجمة العلمية، وتعريب التعليم يُعدّان من وسائل إغناء اللغة العلمية والتقانية للقوى العاملة، ولهذه اللغة الأم دور كبير في تحسين مردود القوى العاملة، ويتنامى دورها مع التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة.

6. نشر اللغة العربية بين الأقليات غير العربية التي تعيش في البلاد العربية، وبين الجاليات

¹ الدكتور محمود أحمد السيّد، النهوض باللغة العربية والتمكين لها، المرجع السابق، ص 35.

العربية والجاليات المسلمة التي تعيش في البلدان الغربية، وبين الناطقين بغير العربية ممن يرغبون في تعلم اللغة العربية.

7. السعي إلى إحداث عولمة للغة العربية في أوساط المسلمين من غير العرب، إذ باستطاعة العرب تقديم برامج علمية وفكرية وقرآنية وشرعية مكتوبة أو مسموعة، على أن تكون مصوغة بالعربية الفصيحة السهلة والميسرة، وعلى أن تأخذ بالحسبان العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقليل شأن اللهجات المحلية لمصلحة الفصيحة.

8. إعادة النظر في مناهج إعداد المعلمين والإعلاميين، وفي برامج تدريبهم، بحيث تكون وظيفية وعملية تركز على الجوانب التطبيقية أكثر بكثير من تركيزها على الجوانب النظرية.

9. الإكثار من البرامج الموجهة إلى الأطفال والمصوغة بالعربية السليمة السهلة والميسرة بوسائل الإعلام المختلفة والمتنوعة، والإكثار من الأناشيد والأغاني المصوغة بالفصيحة.

10. الالتفات إلى الطفولة المبكرة (رياض الأطفال)، وضرورة الاهتمام بمناهجها وألعابها اللغوية وبمربياتها على أن يكون تأهيل هؤلاء المربيات على مستوى جامعي.

11. الإكثار من تقديم المسرحيات والأفلام السينمائية والمسلسلات الإذاعية والتلفزية بالعربية السليمة.

12. الحؤول دون تقديم البرامج الدينية والتوجيهية في وسائل الإعلام بالعامية، والعمل على الارتقاء بلغة الجمهور لا على أن يتخلى الدعاة عن لغة القرآن الفصيحة إلى اللهجات العامية بحجة القرب من مخاطبته بلهجته.

13. وضع الخطط الرامية إلى ربط أبناء الجاليات العربية المهاجرة بثقافة أمتهم ولغتها وتقديم كل دعم مادي لازم لتحقيق ذلك على غرار ما تفعله الأمم الأخرى.

14. السعي الحثيث إلى زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة (الإنترنت)، وتقديم الجوائز والمكافآت لأصحاب أحسن المواقع وأفضل الباحثين الذين يستعملون العربية السليمة في هذا المجال.

..... الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً – القسم الثاني

15. تفعيل أداء المجامع اللغوية العربية في وضع المصطلحات مواكبة لروح العصر، عصر العلوم والتقانة، وعصر التدفق المعرفي، والالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة على الصعيد العربي تجنباً للبلبلة والاضطراب في هذا الميدان.
16. دعم جمعيات حماية اللغة العربية في الوطن العربي، وإنشاء جمعيات ولجان للمحافظة على اللغة، على أن يقوم المجتمع المدني بدوره إلى جانب الجهات الرسمية المعنية بالنهوض باللغة والارتقاء بها.
17. تفعيل العمل التطوعي في تنقية البيئة من التلوث اللغوي، على أن يكون كل متقف مدققاً لغوياً وحريصاً على الالتزام باستعمال لغة سليمة في منأى عن الأخطاء اللغوية الصارخة.

مصادر البحث ومراجعته

1. إبراهيم أحمد حربلي، ظاهرة التعريب ومستقبل الحرف العربي، المجلد الحادي عشر من أعمال المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي 2015.
2. أحمد حسن الزيات، في أصول الأدب، طبعة مصر، القاهرة . د.ت.
3. الدكتور أحمد درويش، التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة، الجمعية العربية لضمان جودة التعليم، القاهرة 2009.
4. أمين الخولي، محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية، معهد الدراسات العربية بالقاهرة 1958.
5. جمانة الشامي، العريبي، تشخيص موجه للعربية، المؤتمر الدولي للغة العربية، المجلد التاسع، دبي 2015.
6. الدكتور حسام الخطيب، اتحاد المعلمين العرب في مؤتمره بالخرطوم، 1976.
7. الدكتور سعيد النل، قواعد الدراسة في الجامعة، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، 1997.
8. الدكتور طه حسين، في الأدب الجاهلي، طبعة مصر، القاهرة 1933.
9. الدكتورة عائشة عبد الرحمن، لغتنا والحياة، دار المعارف بمصر، القاهرة 1971.
10. عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بالقاهرة 1966.
11. الدكتور عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 2، سنة 1988.
12. فهمي هويدي، لغتي هويتي، مدونة تعنى بشؤون اللغة العربية، أهوتك إيه؟ مايو 2009.
13. الدكتور كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت 1967.
14. الدكتور محمد رياض العشيري، العريبي لماذا تحاربه غوغل وتهتم بالعربية الخالصة؟ BBC، 2012.
15. محمد علي الهرفي، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 426 نيسان 2004.
16. الدكتور محمد كامل حسين، مذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو، وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة 1966.
17. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة.
18. الدكتور محمود أحمد السيد، النهوض باللغة العربية والتمكين لها، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق 2013.
19. الدكتور محمود السيد، الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي، بيروت، مؤسسة الفكر العربي 2012.
20. الدكتور محمود السيد وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة العامة لتعريب التعليم، تونس 2011.
21. الدكتور محمود السيد، في الأداء اللغوي، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2005.

..... الأداء اللغوي مصطلحاً وتطبيقاً – القسم الثاني

22. الدكتور محمود خليل، واقع اللغة العربية في الإعلام، المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة، 2012.
23. الدكتور محمود أحمد السيد، في قضايا التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق 2010.
24. الدكتور محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2016.
25. مراد كامل، في مقدمة كتاب اللغة العربية كائن حي لرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة د.ت.
26. الدكتور مهدي المخزومي، نحو لغة عربية سليمة، وزارة الثقافة، بغداد 1978.
27. مؤسسة الفكر العربي، استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي، مجلة التعريب، العدد 43 دمشق 2012.
28. الدكتور نصر عباس، تأثير العاميات في الواقع الثقافي والإبداعي، قراءة حول واقع العاميات في الرواية المصرية، مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 2018.
29. وزارة التربية السورية، المعجم المدرسي، دمشق 2007.
30. وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي المغربية، تكوين الأساتذة المتدربين بالسلك الثانوي، الرباط 2011.

المراجع الأجنبية

- Logman Dictionary of Language Teaching and Applied linguistics second edition, Prentice, NY 1987.
- R.L. Lyman, Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementary educational monographs «Chicago, Illinois».

الحاسوب وصناعة المعجم

أ.د. محمود فهمي حجازي

عضو المجمع - مصر

أصبح الحاسوب أو الحاسب الآلي من أهم وسائل صناعة المعاجم الحديثة. تتعامل به المؤسسات البحثية اللغوية ودور النشر الكبرى المتخصصة في مراحل كثيرة من صناعة المعجم وتنتجه لملايين المستفيدين وهذا العرض رؤية لغوية تطبيقية.

أولاً: التصنيف الكمي

1. تنوعت المعاجم في القرن العشرين تنوعاً كبيراً استجابةً لمتطلبات ملايين المستفيدين من فئات المثقفين والطلاب والتلاميذ والأطفال، وزادت أعدادها بانتشار التعليم في العالم كله وبدرجات متفاوتة. ولم يعد المعجم مرجعاً أحادي الهدف لبحث معاني كلمات صعبة أو نادرة بل تعددت أهداف كل معجم وعليه تحقيق هذه المتطلبات بشكل دقيق ومركز ومفيد. ولهذا كله أصبحت المعاجم الحديثة للغة مثل الألمانية أو الفرنسية بالمئات تتعدد أنواعها وتفاوت أحجامها وتتجدد طبعاتها وتنوع فئات المستفيدين منها.

2. توصف المعاجم طبقاً لعدد المداخل، نجد ذلك على سبيل المثال على غلاف المعجم أو في مقدمته أو في الكتيبات التعريفية به أو في الإعلان عنه. هناك معاجم للأطفال من عدة مستويات ومعاجم مدرسية للتلاميذ ومعاجم الطلاب وجمهور المثقفين ومعاجم متنوعة ومعاجم شاملة ومعاجم لمراحل زمنية في تاريخ اللغة. كما تنتوع إلى معاجم أحادية وأخرى ثنائية أو متعددة اللغات.

3. زيادة حجم المادة في ضوء إمكانات قاعدة البيانات أصبحت من أهم التحولات، لم يعد الاختصار على آلاف الكلمات من مئات أو عشرات النصوص هو المتاح، بل أصبحت قاعدة

البيانات تحسب مادتها بملايين الكلمات الواردة في نصوص آلاف الكتب والمطبوعات، ثم يجري الاختيار منها طبقاً لأهداف المعجم وبمعايير واضحة.

4. تعددت مجالات الإفادة من الحاسوب في صناعة المعجم في أكثر مراحلها من جمع المادة من النصوص إلى المعاونة في الإعداد إلى الإتاحة للمستفيدين. زاد دور الحاسوب وقل العمل اليدوي بنظام البطاقات.

ثانياً: المداخل المعجمية

1. أصبحت المعاجم الحديثة لا تقتصر على التركيز على معاني الكلمات الصعبة والألفاظ البائدة. والمداخل المعجمية ترتبط بهدف المعجم وحجمه والمستفيدين منه. لم يعد الانطباع الفردي معياراً كافياً لإدخال مدخل ما في المعجم أو عدم إدخاله. لاشك أن الخبرة لها دورها ولكن المعايير العلمية والإفادة من الحاسوب صارت من أسس تحديد المداخل بأنواعها. وتتص مئات المعاجم التي أعدت في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين على استعمال الحاسوب.

2. المكونات اللغوية لا تقتصر على بيان الدلالة أو الدلالات بل تتضمن أيضاً معلومات لغوية، ومنها النطق، والتنوعات الإقليمية، والكتابة الصحيحة وصيغ التصريف. ولكن هناك جوانب تتطلب اهتماماً خاصاً وإلا تفقد جدواها، وهي التراكيب السياقية. لا يكفي أن يرشدنا الحاسوب إلى كلمة رغب. بل لابد من ذكر علاقاتها بحرف الجر. (رغب في) لها دلالة مختلفة عن (رغب عن) وعن (رغب إلى).

3. هناك مداخل لها دلالاتها اللغوية ويتطلب التدقيق فيها مراعاة مجالات تخصصها واستعمالها الثقافي. لا يكفي في المادة قهر أن نكتفي بدلالة الفعل، ولابد من ذكر القاهرة. وفي الوقت نفسه هناك كلمات يقتصر استعمالها على المغرب العربي مثل مخبزة وهناك يشار إلى ذلك إذا كان هدف المعجم يتضمن أمثال هذه الكلمات. هذه تُجمع من مطبوعات مناسبة ومن اللغة المنطوقة ثم تشرح لنتخذ أماكنها في المعجم طبقاً لنظامه وهدفه.

4. المداخل المعجمية ليست مجرد تراكم كلمات وتراكيب ومعلومات، بل ترتبط في جمعها بمادة لغوية محددة وتناسب هدف المعجم وتسدّ حاجة المستفيدين منه. وتقوم على جهد بشري للغويين ومتخصصين إلى جانب الإفادة في التخزين والترتيب والإتاحة من الحاسوب.
5. المداخل الموسوعية من أهم مكونات المعجم ولا يجوز الاعتماد فيها على الانطباع، ومنها أسماء الدول والعواصم والمدن الكبرى والحوادث المهمة والشخصيات التي لها دور في التاريخ أو الثقافة أو العلم. لابد من تعرّف هذه المداخل طبقاً لهدف المعجم ثم تشرح وتعرّف لتدخل الحاسوب تمهيداً للإفادة منها.

ثالثاً: قاعدة البيانات اللغوية

1. زاد حجم المدونة لقواعد البيانات اللغوية من سنة 1960م حتى نهاية القرن العشرين من مليون كلمة إلى مئتي مليون كلمة أو أكثر.
2. مفهوم المدونة Corpus في هذا السياق: مجموع النصوص اللغوية التي تختار لتدخل ذاكرة الحاسوب لأغراض البحث اللغوي من حيث الصيغة أو التركيب أو الدلالة. ويكون الاختيار اعتماداً على المستوى اللغوي والحدود المكانية والزمنية وحجم المادة المنشودة.
3. من أمثلة المدونات:
 - أ. مدونة جامعة براون للإنكليزية والأمريكية
 - ب. مدونة بنك اللغة الإنكليزية
 - ج. مدونة Cobuid
 - د. مدونة لانكستر أوصلو/برجين للغة الإنكليزية
 - هـ. مدونة لونغان، وصدرت عنها معاجم كثيرة من أنواع شتى.وهناك مدونات في معهد اللغة الألمانية في مانهايم في ألمانيا ومراكز البحوث اللغوية في دول أوروبية كثيرة.
4. المعايير اللغوية لخطة المدونة:

آ. حجم المدونة

ب. المستوى اللغوي/المستويات اللغوية

ج. مصادر المادة

د. المجالات الدلالية العامة

5. هناك جهود كبيرة بذلت لعمل برامج حاسوبية لتيسير التحليل الصرفي والسياقي والدلالي. وبهذا كله أُنتجت معاجم للغات أوربية، تتفاوت من حيث مدى الاعتماد على العمل اليدوي الإنساني ومدى الإفادة من الحاسوب.

رابعاً: مرصد البيانات والتراكيب السياقية والدلالية

1. كان الحاسوب في بدايات عمله يقدم الكلمات مفردة، ولكن التطور جعل مرصد البيانات تتيح الكلمات الواحدة في سياقات استعمالها. ومن هنا يكون بحث دلالاتها أو دلالاتها ممكناً على نحو أدق. وفي معاجم لونغمان للإنكليزية ومنها المعجم المدرسي المتداول في مصر نجد على سبيل المثال كلمة go تشغل ثلاثة أعمدة (260 + 261 + 262) وذلك لأن دلالاتها الأساسية الكثيرة مع عبارات أو جمل استعمالها يأتي بعدها عشرات التراكيب السياقية، مثل: go after, go along, go back و go by وعددها يتجاوز العشرين ولكل منها دلالة تتضح من سياق الجملة ويشرحها المعجم. والعربية فيها تراكيب سياقية كثيرة مع الكلمات الأساسية. وبذلك تتعدد الدلالات.

2. المادة الكبيرة في مرصد البيانات اللغوية تتيح لِمُعَدِّ المعجم تَعْرِفَ علاقات دلالية، ومن المفيد أن توضع في المعجم. وفي معجم لونغمان المدرسي نجد مع بعض الكلمات علاقة التضاد (opposite) في آخر المداخل، كما نجد إحالات المقارنة مع كلمات أخرى (compare) وإحالات أخرى بعد (see).

3. تتيح قاعدة البيانات الكلمة في سياق أطول، أي في تتابع من عدة كلمات قبلها وبعدها. وهذا ما يتيح تَعْرِفَ جوانب متعددة من استعمال الكلمة.

خامساً: بنوك المصطلحات والمعاجم المتخصصة

1. تكونت فكرة بنوك المصطلحات في موقعين نحو عام 1970م، وذلك في إطار التقدم المطرد لتطبيقات الحاسوب وتقنياته آنذاك. أولهما في أوروبا مع تقدم مراحل التعاون والتكامل بين دولها ذات اللغات الكثيرة، كانت الحاجة واضحة إلى الدقة في المقابلات باللغات الأوروبية المتعددة حرصاً على التعامل بكفاءة ووضوح وسرعة. وظهرت الفكرة أيضاً في إقليم كوبيك الفرنسي اللغة في كندا، حرصاً على الدقة والكفاءة والسرعة في التعامل بين الفرنسية والإنكليزية هناك وعلى استمرار العلاقة اللغوية مع فرنسا.
2. التصنيف الموضوعي للمجالات هو أساس وضع كل مصطلح في مكانه. الترتيب ليس هجائياً والعمل يراعي المجالات الثقافية والمعرفية والإدارية والعلمية. يضم كل مجال كبير عدة مجالات فرعية وفي كل مجال فرعي منظومة من المفاهيم تنتظم بداخلها مصطلحاتها. وبذلك لا يحدث غموض دلالي بأن يستعمل المصطلح لعدة مفاهيم علمية مختلفة. وهذه الفكرة لها أصولها في التراث العربي، على نحو ما نجد في المخصص لابن سيده، وفي كتب لغوية أخرى. ولها بداياتها في معجم روجيه الإنكليزي. في بنك المصطلحات العمل الكبير المنشود يتضمن جميع المصطلحات وتصنيفها ومقابلاتها.
3. لغات بنوك المصطلحات ترتبط بالهدف منه، منها ما يكون بلغتين ومنها ما يكون بأكثر من لغتين. والهدف هنا تيسير الترجمة والتدقيق فيها وعدم التداخل، حرصاً على التعبير الدقيق في الصياغة أو الترجمة. وبعض الشركات الكبرى في أوروبا فيها بنوك مصطلحات تساعد على صياغة العقود والكتيبات الإرشادية والترجمة.
4. بنوك المصطلحات وصناعة المعاجم المتخصصة جانبان متكاملان، بنك المصطلحات هو في الواقع مجموعة معاجم متخصصة وضعت في منظومة. وما أسهل استدعاء مصطلحات تخصص دقيق محدد بلغتين أو أكثر ليكون أمامنا معجم متخصص.
5. الإتاحة من بنوك المصطلحات في داخل كل مؤسسة كبرى أو كل وزارة لها عدة أشكال، منها الطباعة الورقية ومنها الأقراص المدمجة ومنها الطرفيات المرتبطة ببنك المصطلحات

الرئيسي ومنها الاستدعاء الانتقائي لمصطلحات معينة مع مقابلاتها بلغة أخرى.

سادساً: الحاسوب وتصنيف المداخل

1. المعجم عمل لغوي مرجعي لا تقتصر أهميته على شرح دلالة أو دلالات الكلمة الصعبة أو النادرة، بل هو مرجع للقارئ والباحث لبيان نطق الكلمة وتصنيفها الصرفي وعلاقاتها السياقية ودلالاتها ومستوى استعمالها ومنطقة استعمالها وكونها مستعملة أو بائدة.
2. تعدد صيغ التدوين مما يلاحظ في عدد من اللغات العالمية التي لها انتشار في مناطق جغرافية كبيرة. بعض الكلمات الإنكليزية له تدوين بريطاني وآخر أمريكي، وفي العربية كلمات تدون في المشرق العربي تدويناً يختلف عنه المغرب العربي.
3. تدوين النطق عرف مستقر في تقاليد المعاجم في بعض اللغات، ومنها اللغة الإنكليزية. ويتطلب ذلك تحديد المستوى اللغوي المقبول أو المنشود مثل RP في الإنكليزية ولغة المسرح والإعلام في الألمانية، ثم عمل رموز دالة على نطق كل صوت وعلى النبر والتنغيم، وعلى التنوع الجغرافي العام للنطق.
4. التصنيفات الصرفية مهمة في المعجم، ومنها أنواع الكلم والجمع واسم الجمع واسم الجنس والتعدي واللزم والتصغير والنسب وغير ذلك.
5. المعلومات النحوية منها ارتباط الفعل بحرف جر وعلاقات الإضافة والموصوف والصفة والعمل الإعرابي وحركة البناء وغير ذلك.
6. المستوى اللغوي متنوع في اللغات، منه مستوى النصوص الدينية، مستوى فصحي التراث، مستوى الفصحي المعاصرة، مستوى لغة الإعلام، عامية المثقفين، عامية محلية... إلخ. وتحديد هذه المستويات وعمل رموز لها مهم عند التخطيط للمعجم.
7. التوزيع المكاني للعربية واضح بين المشرق والمغرب، وهناك استعمالات إدارية خاصة بقطر من الأقطار. وفي الإنكليزية نجد استعمالاً أمريكياً أو استرالياً أو هندياً إلى جانب بريطانيا.
8. زمن الاستعمال يشار إليه في بعض المعاجم بذكر رمز دال على كون الكلمة بائدة أو كون

الكلمة جديدة في لغة الشباب، وقد تذكر دلالتها في قرن محدد.

سابعاً: خبرات عربية

1. مشروع أسماء الأعلام جرى بالتعاون بين سلطنة عُمان وجامعة القاهرة (1985م). أفاد من الحاسوب في عمليات متعددة بعضها خاص بالمادة اللغوية. روافد متن المعجم كانت متعددة: التدوين الصوتي، التحليل الصرفي، المعلومات الجغرافية عن انتشار اسم العلم، استعمال الاسم في عدة أجيال، وأشهر من سُمي بالاسم. وكل هذه الروافد دخلت في أماكنها في الحاسوب أمام كل اسم. وأخذت الصيغة النهائية للعمل كله بطريقة حاسوبية إلى المطبعة.
2. تضم الدول العربية عدة مجامع ومراكز للبحث اللغوي، وفي أكثرها مشروعات للإفادة من الحاسوب، ومنها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مشروع معجم لغة الشعر، وثمة عمل تسجيلي يقوم به الحاسوب في المعجم الكبير ومعاجم المصطلحات العلمية. وفي الجزائر والمملكة العربية السعودية مشروعات لغوية حاسوبية، منها الذخيرة اللغوية العربية في الجزائر ومشروعات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية. أما مشروع المعجم التاريخي فينفذه اتحاد المجامع اللغوية العربية بمشاركة عدد من المجامع.
3. اللغة العربية ذات تاريخ طويل ومكانة حضارية وأهمية معاصرة والدول العربية كثيرة وهنا دور نشر متعددة. ولهذا كله لابد من التفكير في مشروعات لغوية حاسوبية ضخمة، وذلك بتعرف المشروعات الحالية والخبرات العالمية في استعمال الحاسوب في صناعة المعاجم والبحوث اللغوية.

ثامناً: الإتاحة

1. بدايات الإتاحة الورقية للمعاجم كانت في صورة المخطوطات، وكان عددها من كل معجم قليلاً جداً، كما يتضح لنا من فهارس المخطوطات وحدث التحول الكبير منذ خمسمئة عام مع ظهور المطابع وأصبح المعجم الواحد متاحاً في مئات النسخ. ومع انتشار التعليم زادت

- الحاجة إلى المعاجم وأصبحت المعاجم تطبع منها آلاف النسخ الورقية.
2. الإتاحة من خلال شبكات المعلومات اتجاه جديد، بدأ بتخزين المعاجم الورقية. وبذلك أصبح الحصول على مادة المعجم سهلاً دون الارتباط بوجود المستفيد في مكان محدد، والمستقبل واعد لهذا النوع من الإتاحة، وعلى وجه الخصوص بعد ارتفاع أسعار الورق وضخامة أحجام بعض المعاجم.
3. الإتاحة من خلال الأجهزة الإلكترونية بدأ بإدخال معجم كامل أو عدة معاجم متكاملة في الحاسوب، مثل معجم اللغة الإنكليزية مشروح بها ومعجم لها مع اللغة الوطنية ومعجم ثالث للغة الوطنية مع الإنكليزية. ويكون وجود المعجم الأحادي للغة والمعجمين المزدوجي للغة تيسيراً للطالب ولغيره.
4. المنافسة بين المعجم الورقي والمعجم الحاسوبي قائمة حالياً في إطار ارتفاع أسعار المعاجم الورقية ورخص الإتاحة عن طريق الحاسوب. وعلى الرغم من تحفظ مجمع اللغة العربية بالقاهرة فإن عدة دور نشر وضعت بعض معاجمه في الحاسوب وأتاحتها من خلال شبكات المعلومات.
5. المادة المحوسبة يمكن إدخالها إلى المطابع المتقدمة بشكل إلكتروني مباشر. ويمكن أخذ هذه المادة المحوسبة إلى قواعد البيانات اللغوية، وبذلك يرتفع رصيدها إلى نصوص بملايين الكلمات.

تاسعاً: اللغويون والحاسوبيون في صناعة المعاجم

1. تختلف صناعة المعجم في عصر الحاسوب عن تأليف المعاجم على مدى عصور التاريخ:
 - أ. المعجم كان عملاً فردياً يقوم به لغوي معجمي وأصبح عملاً مؤسسياً.
 - ب. في عصر الاستعمال الورقي كانت البطاقات وسيلة تدوين المادة، وأصبح الحاسوب وقواعد البيانات مرادف المصطلحات وسائل العمل في المادة اللغوية.
 - ج. كانت اعتماد كثير من المعاجم القديمة على معاجم أقدم تختار منها المداخل والشروح،

وأصبح الاعتماد على قواعد البيانات.

د. الشواهد كانت بالآلاف، ولكن قواعد البيانات أصبحت تتيح مادة أكبر بكثير.

2. هناك مراحل في صناعة المعجم في عصر الحاسوب لا تتم إلا بالعمل البشري:

أ. التخطيط للمعجم: الهدف، المستفيدون، المادة اللغوية، معايير اختيار المداخل، الكلمات

المأخوذة من المداخل، نظام الشرح، المستوى اللغوي.

ب. إضافة المعلومات اللغوية عن الكلمة واستعمالها.

ج. إضافة الشروح الدلالية للكلمات في سياقاتها.

د. المراجعة النهائية لمتن المعجم.

هـ. إضافة المقدمات والملاحق.

3. هناك مراحل في صناعة المعجم يمكن أن يقوم بها الحاسوبيون:

أ. عمل البرامج الحاسوبية المناسبة تطبيقاً لخطة المعجم

ب. التحليل الصرفي للكلمات

ج. وضع المعلومات عن الاستعمال اللغوي ومناطق استعمال الكلمة

د. بناء قاعدة بيانات لغوية

هـ. وضع برامج للاختيار من قاعدة البيانات

و. إتاحة المادة اللغوية للمعجميين.

ز. عمل نظام الإحالات الدلالية بين الكلمات

وهناك زيادة مطردة في إمكانات الإفادة عن الحاسوب لتستوعب مجالات أخرى.

عاشراً: آفاق التعاون العربي والدولي

1. تبادل المعلومات عن المشروعات المنجزة والقائمة ليس بهدف الإعلان أو الفخر بل للإفادة

منها والبناء عليها وتعرف جوانب النقص لعمل مشروعات جديدة. وهناك مشروعات منجزة

في بعض الدول لعمل قواعد بيانات لغوية نفذتها جهات حكومية أو شركات الحاسوب. وثمة

- مشروعات طموحة في بعض البلدان في هذا المجال وكذلك في مجال المصطلحات.
2. تكامل المادة المتاحة مطلب مهم، هناك اهتمام بالفصحى المعاصرة في بعض المشروعات، وثمة مجال لإتاحة المادة اللغوية لمطبوعات عربية كثيرة لتدخل نسق قاعدة البيانات. أما الجهود التي تركز على اللغة في مراحلها التاريخية القديمة فقد تكررت في مشروعات المعجم التاريخي، وبعضها توقف وبعضها بدأ من جديد.
3. توزيع المشروعات الكبرى على مجامع اللغة العربية والمؤسسات البحثية المعنية باللغة العربية مطلب متجدد ومهم. وهناك بدايات واعدة في اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية. وفي هذا السياق لابد من تكوين وعي جديد بأن المشروعات الكبرى لا تكون جديرة بالقبول العربي العام إلا بمشاركة عدة دول عربية فيها تخطيطاً وتنفيذاً وإتاحة.
4. توسيع قاعدة الإتاحة ولا تكون المادة مقصورة على مجمع أو مؤسسة واحدة أو العاملين فيها. لقد أصبح التواصل عبر الأنظار بين المؤسسات المعنية ممكناً على نحو يوفر المال والجهد ويتيح عدم التكرار. ومن المناسب أن تنتسج قاعدة الإتاحة للعمل المنجز للجامعات والوزارات والمعنيين.
5. عمل شروط المحافظة على حقوق الملكية الفكرية يقلل من شك بعض المؤسسات في أن عملها سيصبح مشاعاً ولا يستمر ملكاً لها. وقد لوحظ أن المعاجم المنجزة تنشرها المؤسسات التي أعدتها ولا تتاح على المستوى العربي العام للمستفيدين منها. لابد من قواعد تزيل هذه الشكوك والتحفظات من أجل الإتاحة الواسعة للمعاجم المعدة والتي تعد، ولا شك أن للتقنيات الحديثة دوراً في ذلك كله.
6. هذا كله يمهد لعمل علاقات منظمة مع المؤسسات الأوربية المعنية بالمعاجم والمصطلحات بعدة لغات. بنوك المصطلحات المتقدمة وتضم المصطلحات بلغتين أو أكثر، وتكون مصنفة طبقاً للتخصصات ثم في داخل كل تخصص طبقاً للمجالات مع تعريف كل مصطلح. أما الطرف الآخر فيأخذ هذا كله ويضيف المقابل العربي، ويعيدها إلى بنك المصطلحات الأول

فيكسب لغة جديدة تضاف إلى ما عنده، ويوفر بنك المصطلحات أعباء التصنيف إلى تخصصت ومجالات ويعتمد أيضاً على التعريفات التي تعد في بنك المصطلحات الأول. ومن الممكن تطبيق هذا النظام مع الدول العربية في حالة وجود عدة مرادف للمصطلحات تتعاون وتتكامل.

المستوى الكتابي في وسائل التواصل الاجتماعي

د. ليلى السبعان

جامعة الكويت

واجهت اللغة العربية قديماً تحدياً كبيراً، وتواجه اليوم تحديات قوية، وتحاول أن تبدو صامدة، والأمواج عالية، تحاول بشتى الطرق أن تغرقها ولكن الأمل معقود بالله سبحانه، الذي تكفل بحفظ كتاب الله، ومن ثم تتبع هذا لغة القرآن في شأن الحفظ.

منذ كانت لغتنا العربية تواجه صعوبات بالغة، ومن ذلك تلك اللهجات التي كانت تمثل معاييب واضحة في كثير من لهجات بعض القبائل كالتأتأة والثأأة وغير ذلك، مما جاهدت فيه لغة قريش حتى بدت هذه اللغة في أوج نضجها فأنزل الله كتابه على لسانها.

وعلى مر العصور تواجه لغتنا خطر العاميات في نطقها وكتابتها، أما الآن فالخطر جلي والخطب عدي، وذلك منذ أن دعا عبد العزيز باشا فهمي، وهو في معقل حماية اللغة العربية (مجمع اللغة العربية) دعا إلى كتابة اللغة العربية بأحرف اللاتينية، زعماً منه بأنه يريد التيسير على طلابها، ومَرّت سنون على ذلك وهذا الأمر وظلّ محصوراً في مواجهة العامية والفصحى، إلى أن ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي، فبدأت بالخلط بين العربية وغيرها من اللغات، إلى أن وجدنا لغة وضع لها أبناؤنا قانوناً، ذلك بأن حَلَّت الأحرف اللاتينية محل العربية، فيما سموه بالفرانكوأراب، فهبَّ رجالات اللغة العربية وحُماتها، للرد على تلك الدعاوى غير المبررة، قمتُ بعمل هذه الورقة التي أتمنى أن تكون لمحة مضيئة لأهل اللغة العربية.

وقد تناولت الورقة، جانبين مهمين في تاريخ العربية:

الأولى: الدعوة إلى العامية تاريخاً وواقعاً.

الثانية: الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية من دعوة سابقة إلى واقع مرئي في وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله التوفيق والسداد لحماية اللغة العربية وحراسها، وبخاصة مجامع اللغة العربية على امتداد الوطن العربي.

التحدي: فلدينا من التحديات:

الأول: استعمال العامية: وتلك مشكلة لها أصلاتها قديماً وحديثاً.

الثاني: الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.

فما العلاقة بينهما من جهة وبين وسائل التواصل الاجتماعي.

التواصل الكلامي والتواصل الكتابي

لقد عرّف ابن جني اللغة: بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم¹.

فاللغة هي الوسيلة الخاصة بالبشر التي تنتقل نشاطهم الفكري والتواصل².

فالأصل في وظيفة اللغة أنها أساس للتواصل بين أفراد المجتمع.

ومن مفاهيم النص التي أشار إليها بعض الألسنيين أن النص عبارة عن "ملفوظات لغوية ذات أشكال خاصة منطوقة ومكتوبة"³.

ومن أهم وظائف اللغة التي نادى بها جاكوبسون وظيفة التواصل... إلا أن لهذه الوظيفة طابعاً ثنائياً... يكمن في وجود شكلين من التواصل:

التواصل بالكلام communication orale، والتواصل بالكتابة communication écrite

¹ ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 391 هـ)، الخصائص 33/1.

² فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون 193.

³ نعمان أبو قرّة، لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس والإجراء) 23، دار الكتب العلمية طبعة أولى 2012م.

فالتواصل بالكلام أو التواصل اللفظي... هو التواصل بالوسائل اللفظية بين فردين...،
والكتابة... هي تعبير عن اللغة المحكية (الكلام) بوساطة إشارات خطية (مكتوبة).

وذلك لأغراض شتى منها: حفظ الكلام الذي يزول فور إلقائه شفهيًا، أو نقله من المكان الذي
ألقي فيه، ففي حين يزول الكلام بمرور الزمن، تبقى الكتابة دعامة مهمة ثبوتية... فالكتابة هي
نظام سيميائي مرئي¹.

ومن كلام فاطمة الطبال ننطلق: إذ بينتُ أنَّ للتواصل مستويين: التواصل بالكلام والتواصل
بالكتابة، أما التواصل بالكلام فقديم قدم الإنسان، ولما كثر الخلق، احتاج الناس إلى تنظيم حياتهم
وبخاصة في مسألة الحقوق والواجبات باستعمال الكتابة، ولا يُعرف متى بدأت الكتابة بالضبط،
ولكن ما يعيننا هنا هو أن الإنسان قد أولى الكتابة عناية فائقة، حتى الكتب السماوية والأرضية
دعت إلى الكتابة، وقد تناول القرآن الكريم مسألة الكتابة في غير موضع من المصحف، فمن
ذلك قوله تعالى ﴿تَ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾²، وقوله في ذم بعض أهل الكتاب الذي يحرقون الكتب
السماوية فقال ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾³ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ⁴.

ولك أن تعرف أن الكتابة كانت وسيلة من وسائل الأعراف الاجتماعية بين أفراد المجتمع
الإسلامي، فكانت أطول آية في القرآن تتحدث عن وجوب كتابة الدين بين الناس فقال ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ

¹ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون 49.

² القلم 5.

³ البقرة 78-79.

مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ
وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ
أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوا
صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا
يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾¹

ولقيمة الكتابة التي تحفظ الحقوق ذكرت معظم اشتقاقات الكتابة في تلك الآية.

واستعمل الإملاء إشارة إلى طرف يُملَى وطرف يكتب ما يُملَى عليه.

فقد اعتنى المسلمون بالمستوى الكلامي والمستوى الكتابي ونذكر في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم شرط على من لا يملك فداء نفسه بالمال من أسرى بدر أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فداء له من أسره، بل إن العرب كانت تعني بالكاتب العالم.

وقد أحسنت فاطمة الطبال حينما قالت: "إنني لا أرى إمكانية دراسة اللغة المحكية في مجتمع توجد فيه الكتابة دون دراسة اللغة المكتوبة... إن ظاهرة الكتابة تفتح آفاقاً جديدة للكلمات لا تختفي أبداً، تستطيع أن تراها من جديد... فأهمية اللغة لا تتبع من أهمية التواصل الشفوي بالكلام فحسب، بل من أهمية التواصل الكتابي الذي يقوم على نقل التابع الكلامي من الحيز الزماني إلى إشارات مكانية..."².

وقد أعجبني قولها إن الكلام يزول فور إلقائه شفهيًا... تبقى الكتابة دعامة مهمة أكثر ثبوتية.

¹ البقرة 282.

² فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، 50.

..... المستوى الكتابي في وسائل التواصل الاجتماعي

ولذا ورد في الأثر: قيدوا العلم بالكتابة. ولا شك أن اللغة المنطوقة هي المسيطرة على التعامل اليومي بين البشر، وقد تبين أثرها حينما ظهرت وسائل السماع والمشاهدة في بداية القرن الماضي من راديو، وتلفاز، ومسجل، وهاتف وقد كان الناس يعتمدون حتى وقت قريب في أفراحهم وأتراحهم على التلجراف، أو البرقية القصيرة، والتي تعد رسالة قصيرة تعبر عن التواصل الكتابي بين أفراد المجتمع، ولكن الغالب هو التواصل بالكلام، إلى أن خطا الإنسان خطوات واسعة في ميدان التقدم فعاتت للكتابة أهميتها في التواصل بين الناس فيما يعرف بوسائل التواصل الاجتماعي، فصار التواصل الكلامي جنباً إلى جنب مع التواصل الكتابي.

ولأن اللغة المحكية اللفظية الكلامية كانت سائدة وسيدة ظهرت الدعوة إلى العامية، وفي تلك الحقبة ظهرت دعوات لكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، لكنها لم تلق شهرة وذبوعاً، لأن الاعتماد في تلك الحقبة كان على الوسائل الحديثة كالمنذاع والمسجل والحوارات اللفظية، ولكن لما ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي خطاً فيها كل من يعرف ولا يعرف، حتى صار يهرف كثير منهم بما لا يعرف، واحتاج الأمر من وجهة نظرهم إلى تيسير اللغة بدعوى صعوبة حروف العربية، وأنها أيسر في التعبير، وغير ذلك من دعاوى.

ومعلوم أن الإنسان إذا أراد أن يتقن لغة ما، فلا بد أن يفكر بها، كيف يفكر بها، أي يفكر بنظامها في التركيب الجملي، ونظامها النحوي حتى يتقنها، فلكل لغة نظام خاص تخضع له، نظام تفكير، ويرتبط هذا النظام الفكري: بالفكر (نظام لغوي) والتعبير (الكلام)، والكتابة (رمز للفكر والتعبير).

ولذلك أرى أن كتابة أي لغة بنظام غير نظامها يخرجها عن أصلها إلى لغة أخرى لا فكر لها، أو أنه يخضعها إلى نظام غيرها، فيبرز من تلك اللهجة المهجنة مولود مشوه لا معالم له ولا أوصاف.

ولذلك من يريد أن يتعلم أي لغة بسرعة كالوجبات السريعة، يؤلف له بعض الناس كتاباً يقولون له فيه: تعلم اللغة بدون معلم.

فهل يصح أن نطلق على من يقرأ تلك الكتب أنه تعلم هذه اللغة، أو أتقنها، هل سيفكر بها، إن الأمر جد صعب. لقد كان عبد العزيز فهمي باشا يجهد نفسه ويتعب هو ومن يحالفه الرأي لكي تتجح دعوته إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، ولكن هيهات أن يكتب لهذه الدعوة النجاح في ذلك الوقت الذي انبرى له فيه علماء كثر للرد عليه، كالعقاد ومحمد كرد علي. وقد رد عليه الدكتور عبد الوهاب عزام بمقالين بمجلة الرسالة (العدد 587، 591، وذلك في 1944/10/2م).

وقد نقل أنور الجندي هذه المعركة كاملة في كتابه المعارك الأدبية¹، ولكن هذه المعركة خَفَتَ صوته حتى نهض العالم نهضة تكنولوجية كبيرة، فأصبح الأمر دون عناء من عبد العزيز فهمي وغيره سهلاً يسيراً، فوجدنا أبناءنا وبناتنا يكتبون بهذه الأحرف، بل إن كثيراً من الصفحات في وسائل التواصل تضع معجماً لهذه الأحرف بدلاً من العربية، بل إنها تضع أرقاماً وصوراً بدلاً عن الأحرف العربية.

لقد اختلطت الأنظمة اللغوية، ومن ثم ضاع التفكير اللغوي الصحيح، فالتواصل أصبح انقطاعاً.

كنا ندعو إلى ترك العامية في حديثنا، والآن ندافع عن عربيتنا من هذا الكابوس الكتابي الذي يتبناه أبناؤنا ومجتمعنا.

فمن أين بدأت؟ وكيف بدأت:

أولاً: الدعوة إلى العامية (نطقاً وكتابة).

ثانياً: الدعوة إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية.

الدعوة إلى العامية: تناولت الدكتورة نفوسة زكريا² في رسالة الدكتوراه التي تقدمت بها سنة 1954م إلى جامعة الإسكندرية وعنوانها تاريخ الدعوة إلى العامية، وقد كَفَتَ وَوَقَّتَ في عرضها، فمن أراد أن يتعرف أصول الدعوة إلى العامية في تاريخ العربية فليعد إلى هذا المرجع المهم في

¹ المعارك الأدبية في مصر منذ 1914-1939م، أنور الجندي (102-90)، مكتبة الأنجلو المصرية 1983م.

² نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر - الطبعة الأولى 1964م، دار نشر الثقافة بالإسكندرية.

مكتبتنا العربية، وقد أحسنت في جمعها للمادة، وفي تحليلها لهذه الفكرة.

وقد يسأل سائل لم أعرض لهذه القضية وما علاقتها بالمستوى الكتابي في وسائل التواصل الاجتماعي؟

أولاً: لأننا كما قلنا إن اللغة مستويين: مستوى كلامي ومستوى كتابي، والدعوة إلى العامة كانت تسير في الجانبين النطقي والكتابي.

ثانياً: إن الدعوتين (الكتابة بالعامة والكتابة بالأحرف اللاتينية) في اللغة العربية، لهما أثر سلبي بالغ في لغتنا العربية.

أولاً: اللغة العامة

ذهبت الدكتور نفوسة زكريا إلى أنه لما انتشر الإسلام بالفتوحات الإسلامية ازداد اختلاف لهجات المحادثة بسبب اختلاط العرب بالأعاجم وانتقال العربية إلى الأمصار... وكان من أول مظاهر ابتعاد القبائل عن الفصحى اللحن...

وقد قيل إن اللحن ظهر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ روي أن رجلاً لحن بحضرته فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل.

وروي أن عبد الملك كان يحذر أبناءه من اللحن... ويرى أن اللحن من منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه...

ولما طرأت على اللسان العربي تغيرات من أثر اللحن والتحريف... اتجه علماء اللغة إلى كلام العامة محاولين إصلاحه... فألفوا عشرات الكتب التي تشير إلى لحن العامة، منها:

- ما تلحن به العامة للكسائي (189 هـ)

- ما تلحن فيه العامة لأبي نصر الباهلي صاحب الأصمعي (321 هـ)

- البهاء فيما تلحن به العامة ليحيى بن زياد الفراء (207 هـ)¹.

¹ نفوسة زكريا 19، تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر 20 (بتصرف وإجاز).

وذكرت الدكتورة نفوسة أن هذه الكتب أُلِّفَتْ لا من أجل تمجيد العامية وإباحتها، وإنما لإصلاح اللسان العربي، وبيان ما ينتمي منها إلى الفصحى.¹

ثم بينت اهتمام الأجانب بدراسة اللهجات العربية العامية... فأنشأت النمسا (1754 م) مدرسة في فينا (مدرسة القناصل) لتعليم لغات الشرق ومنها العربية بلهجاتها العامية، فألَّف كتابه بعد 100 سنة حسن المصري، الذي ألَّف كتاباً في العامية المصرية (1769 م) وهو "أحسن النخب في لسان العرب".

وكذلك فعلت فرنسا (مدرسة باريس للغات الشرقية الحية) 1757م ودرس فيها ميخائيل الصباغ السوري وألَّف كتاباً في العامية الشامية والمصرية عنوانه (الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج (1886 م)).

وكذلك في روسيا وألمانيا وإيطاليا والمجر وإنجلترا على ما جاء من تفصيل ذلك في تاريخ الدعوة للعامية للدكتورة نفوسة زكريا².

ومنذ أن بدأت اللغة العربية في الاختلاط بغيرها من اللغات بعد الفتوحات الإسلامية ظهر مستويات ثلاثة وهي: لغة الحياة اليومية من جهة، ولغة الكتابة من جهة ثانية ولغة الكتابة الأدبية من جهة ثالثة، فظهرت العاميات في وقت مبكر، وليس في ذلك ضير فالتأثير والتأثر بين اللغات أمر لا يستطيع أحد أن ينكره فالعربية أثَّرت وتأثرت، أخذت الدرهم والدينار وغيرهما، وأعطت غيرها الجمل والزرافة وغيرهما، ولكنها حين أخذت بعض الكلمات أخضعتها لنظامها العربي فيما يعرف بالمعرب، وكذلك اللغات الأخرى حينما أخذت من العربية ألفاظاً أخضعتها لقوانين لغتها، حتى تتناسب مع التفكير اللغوي الخاص بها.

ومع ذلك فقد كانت العامية تسير جنباً إلى جنب والفصحى، وبخاصة في مجال الأدب، فهناك دراسات تهتم بالأدب الشعبي، وبلغته وتؤلف به وبألفاظه كتباً، ونرى الشعر العامي،

¹ المرجع السابق 21 بتصرف.

² المرجع السابق (بتصرف وإيجاز).

والزجل، والشعر الشعبي والنبطي، والمواويل المكتوبة والمنطوقة تقوم عليها دراسات سواء بسواء مع الاهتمام بالتراث العربي الفصيح، إلى أن ظهرت دعاوى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية على غرار ما حدث مع اللغة التركية، ومن هذا المنطلق سذهب بعيداً ليحط بنا الركاب في وسائل التواصل الاجتماعي والمستوى اللغوي الكلامي والكتابي.

ثانياً: كتابة العربية بالأحرف اللاتينية

قدم عبد العزيز فهمي باشا - وكان عضواً في مجمع اللغة العربية في يناير 1944م اقتراحاً باتخاذ الحروف اللاتينية لرسم اللغة العربية.

وقد ذهب في تقريره إلى أن اللغة كائن كالكائنات الحية ينمو ويهرم ويموت مخلفاً من بعده ذرية لغوية متشعبة هي أيضاً في تطور مستمر، ولم يستطع قوم للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الطبيعية...

وقد مثل لذلك باليونانية القديمة لغة وشعراً فلما اشتد التبلبل في ألسنة أهلها اضطروا أن يتخذوا من عاميتهم لهجة جعلوا لها قواعد نحو وصرف... وكانت اللاتينية لغة الإمبراطورية الرومانية فأتى عليها التطور فاشتقت منها الإيطالية والفرنسية والإسبانية وغيرها...

ثم يقول: إن أهل اللغة مستكروهم على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع... هذا الاستكراه هو الذي يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى... وقد اعتبر من الظلم إلزام الناس بالحديث بغير لهجتهم... واعتبر أن رسم الكتابة العربية هو الكارثة... وفكر في الحل فوجد أنه في اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية... ومثل أيضاً بما أحدثه مصطفى كمال أتاتورك حين قام باستبدال الحروف اللاتينية بالعربية... وأشار إلى أنه يبتغي التيسير ومواكبة ركب التطور من وجهة نظره.

وقد رد عليه محمد كرد علي وإسعاف التشاشيبي وعباس محمود العقاد، ومحمود محمد شاكر وإسماعيل مظهر.

التعريب العدد السادس والخمسون . حزيران (يونيه) 2019م

وردّوا ما ذهب إليه بحجج كثيرة ذكرها أنور الجندي في كتابه (المعارك الأدبية)، كما نشر عبد العزيز فهمي كتاباً عنوانه (الحروف اللاتينية لكتابة العربية) وتوسع في عرض فكرته ومثّل لها، ولكن العجيب أن عبد العزيز فهمي استعمل في عرضه هذا لغة فصيحة، إذ لم يجد ما يُعبّر به عن فكرته غير اللغة العربية الفصيحة التي كتب بحروفها دراسته.

ولنتبين الصورة التي عرضها وكيف تحققت في الكتابة المستعملة في وسائل التواصل الاجتماعي نعرض لملاحق كتابه (الحروف اللاتينية لكتابة العربية) وهي على ما يلي:

ثم وضع ملحفاً بيّن فيه أحرف الهجاء العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية، وما لزم من العربية مع أسمائها

ألف ا	a	زاي ز	z	قاف ق	q
باء ب	b	سين س	s	كاف ك	h
تاء ت	t	شين ش	t	لام ل	L
ثاء ث	tt	صاد ص	ص	ميم م	m
جيم ج	ج	ضاد ض	ض	نون ن	n
حاء ح	ح	طاء ط	ط	هاء هـ	h
خاء خ	خ	ظاء ظ	ظ	واو و	w
دال د	d	عين ع	ع	همزة ء	z
ذال ذ	at	غين غ	غ	ياء ي	y
راء ر	ra	فأ ف	F		
أما أحرف الحركة فهي: (a) للفتحة و(u) للضمّة و(i) للكسرة		وأما الأحرف التي لا شبيهة لنغمتها في العربية فهي: C.q.j.p.v.x		ويلاحظ أن الحروف المرسومة هنا هي حروف عادية، أما الكبيرة اللاتينية (majuscules) فمعروفة، وتكبير الحروف المأخوذة من العربية بتكبير رسمها عالية رؤوسها دون كاساتها	

ووضع ملحقاً آخر بيّن فيه طريقة رسم بعض الأمثلة الواردة بالاقتراح، ثم ألحقه بمثال تطبيقاً على ما يبتغيه.

المستوى الكتابي في وسائل التواصل الاجتماعي

ولا شك أن هناك مستويين في الكتابة في وسائل التواصل الاجتماعي:

- فهناك من يستعمل لغة فصيحة سليمة في تركيبها ونحوها، وإن كان الخطأ قد ورد في كتابة الهمزة فحسب فيها ونعمت، وذلك على قول أحدهم: "صباح الخير على الناس الطيبين الطاهرين الذين يحبون الخير للآخرين اللهم نسألك هذا اليوم فتحه ورزقه وأن يبارك لنا فيه وسائر الأيام اللهم نسألك حفظ البلاد وأهدي العباد"
- لغة فصحي ولكنها غير ملتزمة بالقواعد النحوية: "من يتقي الله ويكون مخلص في عملة ولم يؤدي أحد ويحب الخير للناس فهو من الناس الطيبين". فلم يحذف حرف العلة في الفعلين (يتقي) و(يؤدي)، ووضع تاء على هاء لضمير (عمله)، ولكن التركيب اللغوي صحيح، وقد أدخل على جواب الشرط الفاء، بما يقتضيه كون جواب الشرط جملة اسمية.
- استعمال العامية العربية بأحرف عربية في الكتابة: "الحاجة الوحيدة اللي بتصبرك على كل حاجة بتحصل في مصر الناس الطيبين دول". فكتبت الوحيدة بالهاء لا بالتاء، ودخل حرف الجر على الفعل تصبرك وتحصل، واستعملت كلمة دارجة هي دول. فالخطأ إملائي، نحوي، لفظي.

- استعمال الحروف اللاتينية في التعبير بالإنكليزية، ولكن بشكل مختصر:

Be right back

والعجيب أن أبناءنا يختصرونها فيقول (BRB).

ومن أعجب ما قرأت قولهم:

إن شاء الله يختصرونها على النحو التالي: ISA

ويختصرون عبارة أخرى لا يصح أن تختصر، وهي قولنا: الحمد لله فيقولون: EL7

ويكتبون جملة وهي بالعامية، يكتبونها بأحرف إنكليزية، بل الواضح الاستعاضة بالأرقام عن الحروف، وذلك قول أحدهم:

Ana bah3lm ba3dk A3esh أنا بتعلم بعدك أعيش

حتى في التهنة بأعياد الميلاد، لا ضير في أن تستعمل اللغة الإنجليزية بصورتها الصحيحة والمقصودة ، ولكن أن تستعملها على هذا النحو فنقول:

عام سعيد

ياجميل عقبال سنين كثير وتحققي كل اللي بتتمنيه

Happy Birthday

Ya gamel 3o2bal snen kteer we t7a2e kol el be ttmeH

وواضح أن الاتجاه الآن هو إلى تحويل ترجمة العربية بأحرف لاتينية إلى الأرقام، وقد صنفوها على النحو التالي:

أ = 2

ع = 3

ش = 4

خ = 5

ح = 7

غ = 8

والمقابلة على النحو التالي:

2 = A

3 = ea

4 = sh

5 = kh

7 = ha

8 = GH

إلى آخر ذلك من كتابات تريد أن تعصف بلغتنا العربية.

وقد ظهرت المصقات المعبرة التي تحمل دلالات معينة، وإن كانت المصقات أو الصورة لها دور مهم في التعبير الفكري والإنساني.

ولابد أمام هذه الريح العاتية من:

- تطوير مناهج العربية.

- الاهتمام بحصة الإملاء والخط في جميع المراحل التعليمية.

- تدريس الكتب التي تهتم بتصحيح الأخطاء الشائعة نطقاً وكتابة، وما أكثر هذه الكتب ولكن القائمين على المناهج يغضون الطرف عنها (لماذا؟).

- مواكبة التطور الحادث أو الثورة التواصلية، ونشر مواقع تحبب إلى الناس لغتهم، وتجذب الشباب إليها، وذلك بإبراز مواطن الجمال فيها من خلال نصوص مختارة بعناية فائقة، تناسب المرحلة وتواكب التطور الحادث.

- تنشيط الندوات والمحاضرات التي تقوم بتوعية أفراد مجتمعنا العربي لما يحاق به وبتراثه من فصل وفراق متعمد.

- أن يكون القضاء على الأمية مشروع أمة.

خاتمة

الحمد لله أن جعلنا من أمة العرب، التي قرأت كتاب الله فكانت لديها القدرة على فهمه واستيعابه، أضف إلى ذلك أن الحمد لله الذي اختار للقرآن هذه اللغة لينزل بها، فكتب لها الحفظ كما تكفل بحفظ كتابه، فمهما تطاولت الأزمان وتباعدت الأجيال فلغتنا محفوظة بحفظ كتابه، بل إن من مظاهر حفظها أن يعتني بها غير أهلها، فيأتي إلى بلادنا طلاب من مشارق الأرض ومغاربها ليتعلموا هذه اللغة وكلهم شوق وحفظ، بل إن من يدعو إلى كتابة العربية بغير لفظها نراه لا يكتب مقالاً إلا بالفصحى، إذ لم يجد معبراً عن فكرته إلا هذه اللغة فالحمد لله أولاً وآخراً، وبعد فاسأل الله أن يكون لهذه الورقة أثر في تحريك المياه الراكدة.

مصادر البحث

1. أنور الجندي، المعارك الأدبية في مصر منذ 1914-1939م، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 391 هـ)، الخصائص 33/1.
3. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، الطبعة الأولى 1413 هـ 1983م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
4. نعمان أبو قرة، لسانيات الخطاب "مباحث في التأسيس والإجراء"، دار الكتب العلمية طبعة أولى 2012م.
5. نفوسة زكريا تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر - الطبعة الأولى 1964 م، دار نشر الثقافة بالإسكندرية.

شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

أ.د. صادق عبد الله أبو سليمان

عضو مجمع اللغة العربية المراسل بالقاهرة
من فلسطين*

مدخل

أزعم ان الخليل بن أحمد الفراهيدي إن لم يكن هو العالم الأول الذي فتح باب حوسبة اللغة في العالم كله فهو العالم العربي الأصل في عروبته وعربيته الذي أسس عقله العبري الفد لمبادئ هذا الباب فيما عرفت في عصرنا بـ "علم حوسبة اللغة" أو "علم اللغة الحاسوبي" أو "Computational Linguistics".

إنه وهو زاهد¹ في خصه الذي استغنى به عن وصال الحاكم وعطاياه قدم الكثير من أصول العلوم على أسس حوسبية يباهي بإنجازها صناعة إنسان اليوم المعاصر، وإن لمن أبدع ما قدمه

* أستاذ اللغة والعروض، ونائب رئيس جامعة الأزهر للشؤون الأكاديمية، وعضو مجامع اللغة العربية (القاهرة، بيت المقدس، مكة المكرمة).

¹ ومن أدلتنا على زهد الخليل وقناعته بما قسمه الله له أن والي الأهواز سليمان بن علي طلب منه القدوم إليه في الأهواز لتعليم أبنائه، فأخرج الخليل إلى رسول هذا الوالي خبزاً يابساً، وقال: ما عندي غيره، وما دمت أجد فلا حاجة لي في سليمان، وطلب منه ان يبلغه هذه الرسالة، وقال:

أبلغ سليمان أنني عنه في سعة وفي غنى غير أنني لست ذا مال
سئى بنفسى أنني لا أرى أحدا يموت هزلاً ولا يبقى على حال

السيارفي، أبو سعيد الحسن: أخبار النحويين البصريين، ص 39+. الزبيدي، أبو بكر محمد: طبقات النحويين واللغويين، ص 47، القفطي، جمال الدين أبو الحسن: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج1/ص344.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

سجلفر ، وهكذا".¹

واستفاد علماء العربية من تقاليد الخليل لحروف العربية وتبديل مواقعها في توليد جذور اللغة العربية المستعملة والمهملة، وأضافوا إليها وَصَلَ الجذور التي تشترك بحروفها الأصول بمعنى عامٍ يربط بين معانيها ومعاني مفرداتها التي تُشتقُّ منها.

وبرز في هذا المجال العالمُ اللغويُّ أبو علي الفارسي (ب. 377هـ) وتلميذه ابنُ جني (ب. 392هـ) الذي وقف عند هذا الاستنباط تفصيلاً في "باب في الاشتقاق الأكبر"، فقال: هذا موضعٌ لم يُسمَّه أحدٌ من أصحابنا؛ غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويُخلدُ إليه، مع إغواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يُسمَّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروحُ إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التقلب لنا نحن. وستراه فتعلم أنه لقبٌ مُستحسنٌ. وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين، كبير وصغير؛² فالصغير مافي أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذُ أصلاً من الأصول فتتفرقه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه؛ وذلك كتركيب (س.ل.م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه؛ نحو (سلم ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمي، والسلامة، والسليم: اللديغ؛ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة. وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته. وبقية الأصول غيره؛ كتركيب (ض.ر.ب) و(ج.ل.س) و(ز.ب.ل) على ما في أيدي الناس من ذلك. فهذا هو الاشتقاق الأصغر... وأما الاشتقاق الأكبر³ فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقدَ عليه وعلى تقاليد الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحدٍ منها عليه، وإن

¹ تنظر مقدمة الخليل في معجمه، كتاب العين: ج 1/ ص 58-59.

² ينظر في تصنيف أنواع الاشتقاق ومفهوم كل منها بدقة بحثنا: (1) أنواع الاشتقاق في العربية بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نقدية، مجلة جامعة بيت لحم المجلد (11 و 12) 1992-1993م، ص 131-161. (2) النحت وأثره في تنمية مفردات العربية - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، مجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق/ فرع بنها، ج. م. ع، 6/ع. 6 يناير 2000م، ص 119-137.

³ لعلك لاحظت - عزيزي القارئ - أن ابن جني قد رادف بين مصطلحي الصغير والأصغر، والكبير والأكبر، وأنتك تعرف أن هناك من علماء العربية من فرق بين "الاشتقاق الكبير" و"الاشتقاق الأكبر"، راجع الباحثين المشار إليهما في الهامش السابق.

تباعدَ شيءٌ من ذلك عنه رُدُّ بِلُطْفِ الصَّنْعَةِ والتأويلِ إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.¹

وهي الطريقة ذاتها التي نفذها الخليلُ في الدوائر العروضية علم العروض الذي تفرد في وضعه، وذلك في حصره للبحور العربية المستعملة والمهملة وفكَّ بعضها من بعض خلال نظام المقاطع العروضية، وكذلك أحصى مباني قوافي القصيدة العمودية، وحلَّ رموزها المقطعية وفق نظام الصوت الساكن والمتحرك.²

وكان مما يشهدُ لبراعته في هذا المجال تقنيُّهُ لقواعد وأصولٍ في علمي العروض والقافية، وذلك بوضعه رمزي الصوت المتحرك والساكن؛ ليكون هذا التأسيس نظاماً مُطَرِّداً تتبنى على أسسه المقاطع العروضية وتنوعاتها، وهي التي تشكلُ أساساً مميزاً وضابطاً لنظام التفاعيل مكونات أوزان بحور الشعر العربي وتنوعات إيقاعاتها المنبثقة عن تمام بناء التفعيلة وما قد يصيبها من تغيير في نظم الشعر، وهو التغيير الذي اصطُلحَ على تسميته بقواعد "الزحافات والعلل"، وجائزٌ وقوعٌ - بصفةٍ عامة - في تفاعيل بيت الشعر كلّها.

وكما هو معروف فإن التفريق بين هذه القواعد يعتمدُ تحديده، والإحساسُ بتأثيره البنائي والإيقاعي في موسيقا الشعر على نوع التغيير حذفاً أو زيادة، ومكان وقوعه في التفعيلة في حشو بيت الشعر أو عروضة أو ضربه.

وهكذا فإننا أمام وصفٍ نظامٍ إيقاعيٍّ تطريزيٍّ مُحَكَّمٍ مُطَرِّدٍ في تآلف مكوناته من الصوت فالمقطع فالتفعيلة فالبحر وزناً وقافية، وهي مكوناتُ تبدأ بالأصغر فالصغير فالكبير فالأكبر: وصفها الخليل - عالم الحوسبة الأول - في أشكالها المفردة والمركبة وصفاً حوسبياً دقيقاً، وقدمها جاهزةً مُجَرَّبَةً لمهندس الحاسوب المعاصر.

¹ ينظر هذا النص في كتاب ابن جني: الخصائص، ج2/ ص 133-139.

² ينظر بحثنا "حوسبة اللغة في فكر الخليل/ القافية نموذجاً - دراسة وتحليل ونقد"، الذي أُلقي في ندوة الخليل بن

أحمد الفرهيدي الدولية (23-25/7/2006م)، كتاب الندوة، م1428/1 هـ - 2007م.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

وإذا ما انتقلنا إلى مجال حوسبة الصوت وبنائه فسنجد أننا أمام عقلٍ حوسبيٍّ قد عبّر عنه ما يمتلكه صاحبه من معرفةٍ متينةٍ بخصائصِ أصواتِ لغتنا العربيةِ الفصحى، ودراسةٍ عميقةٍ بقواعدِ انثلاثها ونسجها في كلماتٍ وتراكيب، وهو ما ستتكفل السطورُ التاليةُ بالكشفِ عن بعض ملامحه من خلال ما ستعرضه من شواهدٍ لغويةٍ في حوسبةِ الصوتِ والكلمةِ في فكر الخليل وأثره في علماء العربية.

1. تكوين الصوت اللغوي وصفاته:

يتبين لدارس إنتاج الخليل العلمي كيف تمكّن هذا الرجل من تحديد أماكن اكتمال تكوين الصوت الإنساني اللغوي بدقة، وبيان خصائصه التي تتضافر كع هذه الأماكن في تمييز كل صوتٍ عن غيره من الأصوات، ولاسيما المتشابهة منها، حيث وجدناه يتحدث عن مصطلحات الأحياز والمدارج والمخارج في مجال تكوين الأصوات؛ "والحيّزُ عندهُ أوسعُ من المخرج؛ لأنه قد يحتوي على أكثر من صوت...، أما المخرج فهو يدلُّ عنده على ما يسميه المُحدّثون بموضع النطق "point of articulation".¹

والحيّزُ هو المكان الأوسع الذي يشغل صوتين متماثلين مخرجاً أو أكثر، قال الخليل: "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء... ثم الهاء...، فهذه ثلاثةُ أحرفٍ في حيّزٍ واحدٍ بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيّزٍ واحدٍ كلُّهُنَّ حَلْقِيَّة، ثم القاف والكاف لهوَيَتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والصاد في حيّزٍ واحدٍ... إلخ".²

أما مَدْرَجَةُ الصوت فهي مَمَرُ هواء الصوت عند بداية تشكُّله في مخرجه، أو هو عضوُ النطق أو الجزء منه الذي يتحكّم في هواء الصوت وتشكيله في موضعٍ منه، بل في مخرجه؛ قال الخليل: "اعلم أن الحروفَ الدَّلَقَ والشَفَوِيَّةَ سِتَّةٌ، وهي: (ر.ل.ن) (ف.ب.م)؛ وإنما سُمِّيَتْ هذه الحروفُ دُلَقاً؛ لأنَّ الدَّلَاقَةَ في المنطق إنما هي بِطرفِ أَسَلَةِ اللسان والشَفَتَيْنِ؛ وهما مَدْرَجَتَا هذه

¹ التفكير الصوتي عند الخليل: ص 23.

² العين: ج1/ ص 57-58.

الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة (ر.ل.ن)، تخرج من دَلَقِ اللسان من طَرَفِ غَارِ الفم، وثلاثة شفوية (ف.ب.م) مَخْرُجُها من بين الشفتين... إلخ.¹

ومِمَّا يُوضَّحُ هذا الفهم لمصطلح "مَدْرَجَةِ الصَّوْتِ" تعليلُهُ لتسمية مصطلح "حروفِ الجَوْفِ"، حيث قال: "وسُمِّيتْ جَوْفًا؛ لأنها تخرجُ من الجَوْفِ فلا تقع في مَدْرَجَةٍ من مدارجِ اللسان، ولا من مدارجِ الحلق، ولا من مدارجِ اللهاة؛ إنما هي هاويةٌ في الهواء فلم يكن لها حَيِّزٌ تُسَبِّبُ إليه إلا الجَوْفُ"²، وكان يسمِّي "الألفَ اللينةَ والواوَ والياءَ هوائيةً؛ أي أنها في الهواء."³

وكما أرى فإنَّ نسبةَ الخليل لهذه الأصواتِ إلى الهواءِ أو الجوفِ - وهو الفراغ الذي يحتوي على أعضاءِ النطقِ التي تتحكمُ في إنتاجِ الأصواتِ وتمييزِ بعضها عن بعض - تدلُّ على أنَّ الأصواتِ الجوفيةَ ليس لها أعضاءٌ تُطَقُّ خاصَّةً تَحْصُرُ هواءَها، وتتحكَّمُ في تكوينها وخصائصها النطقيةِ والسمعيةِ كما في نطقِ نظائرها الصوامتِ؛ وعليه فإنه يمكننا القولُ بأنَّه ليس لهذه الأصواتِ الهوائيةِ مخرجٌ أو مدرجٌ يمكنُ أن تتميزَ به، وكذلك ليس لها جميعها حَيِّزٌ خاصٌّ بها يُمكنُ أن تنحصرَ فيه، أو تؤثرَ فيها مدارجُها.

وإذا كان لنا أن نجتهدَ في نسبتها إلى حَيِّزٍ فنحن نرى أنَّ لها أحيازاً غيرَ فاعلةٍ فيها، بل مبادئَ أحيازٍ متعددة؛ فهذه الأصواتُ - الألفُ والواوُ والياءُ، وهي الحركاتُ الممتدةُ بقدرِ ما تُسَعِّفُ الأنفاسَ - يقتَرَنُ نطقُها بسبقِها بصامتٍ؛ لذا فإننا نرى أنَّ حَيِّزَ كُلِّ منها تتحدَّدُ بدايَتُهُ بل خصائصهُ ببدايةِ نطقِ الصَّامِتِ الذي يقتَرَنُ به؛ فنقول مثلاً: (عا - عي - عو). أمَّا نهايَتُهُ فيتحكمُ فيها طولُ النَّفْسِ وقصرُهُ دونَ أي مؤثِّرٍ سوى طاقةِ مَصَدَرِهِ على الإمدادِ، أو حاجةِ الكلامِ إليه؛ وعليه فإنَّ للألفِ - فيما نرى أيضاً - أحيازاً بعددِ الصوامتِ التي تقتَرَنُ به، وكذلك حالُ الواوِ أو الياءِ.

¹ السابق: ج/1 ص 51.

² السابق: ج/1 ص 57.

³ السابق: ج/1 ص 57.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

ولعلّ لنا في نصّ الخليل الذي نسب فيه الصواميت إلى مخارجها ما يُستفاد منه أيضاً في تلمس خصائص الأصوات الجوفية، قال الخليل: "قالعين والحاء والحاء والغين - والهاء-؛¹ لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهَوَيَّتَان؛ لأنّ مبدأها من اللهاة...، والياء والواو والألف والهمزة² هوائية في حيزٍ واحدٍ؛ لأنها لا يتعلّق بها شيء، فنُسبَ كلُّ حرفٍ إلى مدرّجته وموضعِهِ الذي يبدأ منه".³

وفي مجال التمييز بين "الصواميت" بل الصّاح⁴ - بمصطلح الخليل - التي تشترك في أحيازها ومدارجها ومخارجها فقد وجدنا الخليل يتحدث عن صفات الصّاح، حيث وجدناه مثلاً يشير إلى فروق بين الأصوات الحلقية، فيقول: "ولولا بُحَّةٌ في الحاء لأشبهت العينَ لقربِ مخرجها من العين، ... ولولا هَنَّةٌ في الهاء، وقال مرة: هَهَّة، لأشبهت الحاءَ لقُربِ مخرجِ الهاءِ من الحاء".⁵

¹ السابق: ج/1 ص 53.

² أرى أنه لا تستقيم للخليل إضافة الهمزة إلى هذا الأصوات في هذا السياق، وإنّ تبريرَ تبدّلها بهذه الأصوات في مواضع معينة من مباني الكلمات لا يستقيم في هذه السّياق أيضاً.

³ العين: ج/1 ص 58. وإذا كان الخليل في هذه النص يجمع بين هذه الأصوات الأربعة فإنّ الغريب أن نراه يفرق بينها وبين الهمزة في نص آخر، يقول فيه: "الألفُ الواوُ والياءُ في حيزٍ واحدٍ، والهمزةُ في الهواء لم يكن لها حيزٌ تُنسب إليه" (العين: ج/1 ص 58)، فهل الألف هي الهمزة (ه) التي تتبادل المواقع مع الواو والياء المتحركتين، كما في: (أوائل والقائل وصحائف بائع ويؤمن) التي يقول الخليل والصرفيون صناعةً علمية: إن أصلها: (أوول وقاول وصحايّف وبايّع ويؤمن)؟، وهل الهمزة هي الألف الممتدة - وقد لاحظنا من القدماء من سمى الألف همزة، والهمزة ألفاً - كالواو والياء، ويمكن لها أن تتبادل المواقع معهما، كما في: (صام وباع) التي يقولون: إن أصلها (صَوَم وَيَبِع)، وكذلك في: (ياْمَن وسال وقُرآن) في لغة من لا يهمز، حيث ينطقها من يهمزون: (ياْمَن وسال وقُرآن)؟!؛ أسئلة تطرح نفسها، ليس المقام مقام التفصيل فيها.

⁴ الصحيح وجمعه الصّاح جاء عند الخليل مصطلحاً صوتياً دالاً على الصوت الصامت، وصرفياً دالاً على الفعل أو الاسم الصحيح المقابل لنظيريهما المعتل.

⁵ العين: ج/1 ص 57.

تقسيم الأصوات:

قَسَمَ الخليل أصواتَ اللغة - وَعَدَّهَا عندهُ تسعةً وعشرون صوتاً¹ - وفق طبيعة تكوينها ودورها البنائي إلى قسمين عامَّين هامين:

- الأصوات الجَوْفِيَّة: وهي - كما سبق - أربعة أصوات: (ء.ا.و.ي) وسَمَّاها أيضاً العِلل، وسمَّى اللفظَ الذي يكونُ في أصولِه صوتٌ منها أو أكثرُ مُعْتَلًّا².
- الأصوات الصَّحاح: وهي بقية أصوات اللغة، وعدَّها خمسةً وعشرون صوتاً، وقد قَسَمَهَا إلى قسمين عامين:

* الأول: الأصوات الصحاح الذَّلُوق: وتُسمى المَذْلَقَةُ³، وحروف الذَّلَاقَةُ⁴ أيضاً، وهي ستة أصوات، وتنقسم إلى قسمين متساويين، ذَلِيقَةٌ: وتشمل أصوات (ر.ل.ن)، وشفوية: وتشمل أصوات (ف.ب.م)، وهي تنقسم بخفتها على اللسان، وكثرة وقوعها في ألفاظ العربية، يقول الخليل: "فلَمَّا ذَلَقَتِ الحروفُ الستة، وَمَذَلَّ بِهِنَّ اللسانُ، وَسَهَلَتْ عَلَيْهِ في المنطق، كَثُرَتْ في أبنية الكلام".⁵

وجاء عن الأخفش أيضاً في تعليل تسميتها وخَفَّتْها قوله: "سُمِّيتِ الحروفُ مَذْلَقَةً؛ لَأَنَّ عملها في طرف اللسان، وطرف كلِّ شيء ذَلْفُهُ، وهي أَخَفُّ الحُرُوفِ وأَحْسَنُها امتزاجاً بغيرها".⁶

* الآخر: الأصوات الصَّحاحُ الطَّلُوق والصُّنْم: أما صفة الطَّلُوق أو الطُّلُوق⁷ فشملت - عند الخليل - صوتي العين والقاف، وقد وصفهما بـ "أنهما أطلق الحروف، وأضخمهما

¹ السابق: ج 1/ ص 58.

² السابق: ج 1/ ص 59-60.

³ ينظر كتاب جمهرة اللغة: ج 1/ ص 45.

⁴ ابن جني، أبو الفتح سر صناعة الإعراب: ج 1/ ص 64.

⁵ العين: ج 1/ ص 52.

⁶ كتاب جمهرة اللغة: ج 1/ ص 45.

⁷ ينظر لسان العرب: مادة (ط.ل.ق)

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

جَرَساً¹، وأنهما صوتانِ ناصعان². ولعله ألحقَ بهما صوتي السين والdal لليونتِهما،³ وإن كان لم يُدرِجْهما في إطارِ مصطلحهما، يقول الخليل: "فَمَهُمَا جاء من اسمِ رباعيٍّ منبسطٍ مُعَرَّى من الحروفِ الذَّلَقِ والشَّقَوِيَّةِ فَإِنَّهُ لا يعرى من أحدِ حَرْفِي الطَّلَاقَةِ أو كليهما، ومن السينِ والdal أو أحدهما، ولا يَضُرُّ ما خالفَ من الحروفِ الصُّنْمِ".⁴

وكما هو واضحٌ فَإِنَّ الحروفَ الصُّنْمَ عند الخليل من الأصواتِ الصَّحاحِ، وتشملُ ما عدا أصواتِ الذَّلَقِ (ر.ل.ن - ف.ب.م)؛ وصوتي الطلق (ع.ق)، وصوتي السين والdal؛ وعليه فَإِنَّ أصواتِ الصُّنْمِ عنده هي: (ت.ث.ج.ح.خ.ذ. ز.ش.ص.ض.ط.ظ.غ. ك.ه)، وهي - كما هو واضحٌ - خَمْسَةٌ عَشَرَ صَوْتاً صحيحاً.⁵

ويُشكِّلُ هذا التقسيمَ الخليليَّ ومصطلحاته الدَّالَّةُ على هذه الأصواتِ الأساسِ المُعْتَمَدَ الذي بنى عليه الخالفون من بعده في دراساتهم، وإن رأينا منهم - كالجوهري (ت. 453هـ) صاحب معجم الصحاح - من ذكر أن "الحروف الصُّنْمَ ما عدا أصواتِ الذَّلَقِ"،⁶ أو استعملَ مصطلحَ المُصنَّمَةِ بدلاً من الصُّنْمِ مصطلحَ الخليل، وعلل الأخفش لهذه التسمية بـ "أنها أُصنِّمَتْ أَنْ تختصَّ بالبناءِ إذا كَثُرَتْ حروفُه لاعتياصِها على اللسان".⁷

والحق ان مصطلح "المُصنَّمَةِ" قد ذاع عند جمهرة علماء اللغة والتجويد للدلالة على ما عدا أصواتِ الدَّلَاقَةِ السَّتَةِ فحسب، كابن دريد (ت. 321هـ) في معجمه جمهرة اللغة،⁸ وابن جني

¹ العين: ج 1/ ص 53.

² السابق: ج 1/ ص 53.

³ السابق: ج 1/ ص 45-53.

⁴ السابق: ج 1/ ص 54.

⁵ تنظر مادة (ص.ت.م) في معجمات العين، وتهذيب اللغة، والمحيط في اللغة.

⁶ الصحاح: مادة (ص.ت.م).

⁷ كتاب جمهرة اللغة: ج 1، مقدمة المعجم: ج 1، ص 45.

⁸ السابق: ج 1/ ص 45.

(ت. 392هـ)،¹ ومكي بن أبي طالب القيسي (ت. 437هـ) من علماء التجويد والتلاوة؛² وابن سيده (ت. 458هـ) في معجمه "المُحْكَم"،³ والزمخشري وابن يعيش (ت. 430هـ)،⁴ وابن سنان الخفاجي (ت. 466هـ)،⁵ وابن الجزري (ت. 833 هـ) في منظومته "المقدمة"،⁶ والزبيدي (ت. 1205هـ) في "تاج العروس من جواهر القاموس" ... إلخ.⁷

على أننا وجدنا الخليل في مادة (ص.ت.م) يقول: "الحروف الصُّنْمُ التي ليست من الحلق"، وتبعه في هذا التعريف في المادة ذاتها الأزهري (ت. 370هـ) في "تهذيب اللغة"، والصاحب بن عباد (ت. 382هـ) في معجمه "المحيط في اللغة"،⁸ وابن منظور الذي نقل التعريف السابق في معجمه "لسان العرب" وأضاف إليه ما قاله ابن سيده: "ولذلك معنى ليس من غرض هذا الكتاب"، وفعل الزبيدي فعله لكنه أشار إلى معجم المُحْكَم مصدراً له.

وقد جاءت تسمية هذا المصطلح عند مكي بن أبي طالب بحسب رواية محقق كتابه "الرعاية" بـ "الأصوات الصُّم"، وقد نرى أنَّ هذا التغيير في التسمية يعودُ إلى تحريفِ ناسخٍ أو مُحَقِّقٍ؛⁹ ولعلَّ ما قد يؤيِّدُ هذا الرأي أننا لم نلاحظ ورود مصطلح "الحروف الصُّم" عند الخليل أو غيره ممَّنْ أطلعنا على مصنفاتهم في هذه الدراسة.

¹ سر صناعة الإعراب: ج 1/ ص 64.

² ينظر كتابه: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 111.

³ ابن سيده المرسى: المُحْكَم والمحيط الأعظم في اللغة، يُنظر مادة (ذ.ل.ق).

⁴ ابن يعيش بن علي: شرح المفصل، م 2/ ج 10/ ص 130-128.

⁵ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ط 1/ ص 31.

⁶ ينظر شرح المقدمة الجزرية، ص 39، 43-44، وشرح الجزرية لابن يالوشة: ص 29، 31، وقد سار الشارحان على نهج المصنّف.

⁷ تاج العروس من جواهر القاموس: مادتا (ذ.ل.ق) و(ص.ت.م).

⁸ تهذيب اللغة والمحيط في اللغة: مادة (ص.ت.م).

⁹ ذكر المحقق في هامش تحقيقه أنَّ مصطلح "الحروف الصُّم" قد ورد في نسخة أخرى، ولكنه لم ينقل روايتها. يُنظر الرعاية لتجويد القراءة: ص 111-112.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

وقد يكون الأمر على غير هذا التعليل، وهو أنَّ مَكْبًى - وهو كما يتضح من قراءتي له عالمٌ مُفَصَّلٌ مُدَقَّقٌ - التقت إلى عدم منطقية إطلاق مصطلح "الصنم" على معنيين مختلفين، فجاء بهذا المصطلح بدلاً من مصطلح "الصنم"؛ ليتسنى له عدم الوقوع في هذا التناقض، أو أنه وقع على هذا المصطلح مُحَرِّفاً في إحدى نسخ معجم "العين" فأثره، على أنَّ ما يعيبه في هذه الحالة هو أنه نسب إلى الخليل ما لم يقله، وهذا ما قد لا أَرْجُحه.

هندسة بناء الأصوات

وإذا كانت السطور السابقة قد أوضحت أن الخليل بنى تقسيمه السابق للأصوات وفق طبيعة تكوينها ودورها الوظيفي في بناء الكلمات العربية، فإننا سنراه في السطور التالية يجعل الاستقراء أو الإحصاء، الموضَّح لكثرة ورود ظاهرة ما في نسج الكلام العربي المستعمل، أساساً معتمداً في بيان خصائص تأليف الكلمات العربية، أو إن شئت فقل بمصطلحنا: خصائص هندسة أصوات الكلمات العربية، كقوله مثلاً: "وجدتُ كلَّ ياءٍ وألفٍ في الهجاء لا يعتمدُ على شيءٍ بعدها يرجع في التصريف إلى الياء؛ نحو ألف يا وباواطوا ونحو ذلك"،¹ وقوله أيضاً "لا يأتلف مع الغين والجيم إلا عَوَجٌ، وجَمَلٌ عَوَجٌ؛ أي عريض الصدر، وفرس عَوَجُ اللبان، قال: عَوَجُ اللبَّانِ يقاد".²

أقول: تمكَّن الرجل من خلال خبرته هندسة الكلمات العربية من تعرُّف طرائق العرب في رَصْفِ أصوات كلماتها، وتحديد هويَّتها، أهي عَرَبِيَّةٌ أم دَخِيلَةٌ؛ وفي هذا المجال يأتي صوغُهُ لقاعدة لغوية عامة، أو إن شئت مصطلح علماء اللغة المحدثين Linguists فقل: وجدناه ينبه إلى قانون لغويٍّ عامٍّ في اللغة العربية: هو قانون وظيفة الأصوات الدليقة في بناء الكلمة العربية، حيث لحظ خفتها وكثرة ورودها في كلام العرب، يقول: "فلما دَلَّغَتِ الحروفُ السَّتَّةُ، ومَدَّلَ بهنَّ اللسان وسَهَّلَتْ عليه في المنطق، كثرت في أبنية الكلام، فليس شيءٌ من بناء

¹ كتاب العين: ج 8/ ص 445.

² المصدر السابق: مادة (غ.و.ج).

الخماسي التام يَغرى منها أو من بعضها".¹

وهكذا يخلص الخليل من هذه الملحوظة إلى قانون بل قاعدة لغوية رصينة يمكن حوسبتها، والاستفادة منها في تعرف مدى أصالة عربية الكلمة وتمييزها عن اللفظة الدخيلة، وقد رأيناها يُفصلها حين قال: "فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعية أو خماسية مُعرّاة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مُحَدَّثَةٌ مُبْتَدَعَةٌ؛ ليست من كلام العرب؛ لأنك ليست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر".²

على أنه يمكن صياغة هذه القاعدة الخليلية - التي احتذاها علماء العربية من بعده -³ على هذا النحو من المعادلة:

* بناء رباعي أو خماسي فيه من أصوات الذلق والشفقة ← كلمة عربية أصيلة

* بناء رباعي أو خماسي مجرد من أصوات الذلق والشفقة ← كلمة دخيلة غير عربية

وفي توضيح إحصائي لهذه القاعدة بل المعادلة الصرفية يُقسّم الخليل البناء الرباعي المنبسط إلى قسمين، هما:

الأول: الرباعي المنبسط الذي لا يَغرى من الحروف الذلق:

ويذكر الخليل أن الجمهور الأعظم من الرباعي المنبسط "لا يَغرى من الحروف الذلق، أو من بعضها، إلا كلمات نحواً من عشرِ جُنْ شواذاً، ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقُسْطُوس والقَداحس

¹ العين: ج 1/ ص 52.

² السابق: ج 1/ ص 52.

³ ينظر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر: ابن جني: سر صناعة الإعراب: ج 6/ ص 65، وابن يعيش م 2/ ج 10/ ص 128 و 130، وشهاب الدين الخفاجي (ت. 1039هـ) شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل: ص 40-41، وابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم: مادة (ذل.ق)، وابن منظور: لسان العرب، مادتا (ذل.ق) و(ع.س.ج.د)، والزيدي: تاج العروس، مادة (ع.س.ج.د).

⁴ في الأصل: "كنن"، ولكنها وردت في مقدمة المحققين "جنن"، وينظر، كتاب العين: ج 1، ص 12.

والدُعشوقَةُ والهُدُعة والرُّهْزُقَةُ¹.

ونراه يعلل لهذا الشذوذ بوجود خصائص صوتية في أصوات العين والقاف والسين والدال، فيلفت إلى ما في صوتي العين والقاف من خصائص الطلاقة والنصاعة وضخامة الجرس؛ لذا فإنهما - كما يقول: "لا تدخلان في بناءٍ إلا حسّنتاه"²، وينبه إلى لزوم السين أو الدال معهما في الاسم، فيقول: "إذا اجتمعتا أو أحدهما في بناءٍ حسن البناء لنصاعتهما، فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف"³.

ويخلص من ذلك إلى أنه "مهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرّي من الحروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرّي من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما، ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرّ ما خالف من سائر الحروف الصنم، فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم"⁴.

وهكذا فإن الخليل - من خلال تطلّعه من كلام العرب - نراه وهو يلتفت إلى ما في أصوات العين والقاف والسين والدال من خصائص تُعرِّزُ مجيئها من الرباعي المنبسط ولا سيما الاسم لا ينسبُ لها كالأصوات الذليقة دوراً في التمييز بين كلام العرب وما طرأ عليه من دخيل.

وكذلك لاحظنا الخليل في سياق الرباعي المنبسط يلتفت إلى نوع الحركة في بنية الكلمة، وذلك حين اتخذ منها قاعدة لغوية تمييزية؛ وذلك حين قال في العين في مجال عَرْضِهِ لكلمة (عُنْصُر): "العُنْصُرُ: أصل الحسب. إنما جاء عن الفُصحاء مضموم العين منصوب الصاد، ولا يجيء في كلامهم من الرباعي المنبسط على بناء فُعْلَل إلا ما يكون ثانيه نوناً أو همزة نحو الجُنْدَب والجُوْدَر. وجاء السُّودْدُ كذلك، كراهية أن يقولوا: "سُودْدُ فتلقتي الضمات مع الواو؛ وهذا

¹ العين: ج 1، ص 53.

² السابق: ج 1، ص 53. وينظر سر صناعة الإعراب: ج 1، ص 65.

³ العين: ج 1، ص 53.

⁴ السابق: ج 1، ص 54.

يدلُّ على عُمقِ تضلُّعِ الخليل من اللغة، وقوَّةِ ذاكرتهِ المحوسِّبة، وفطنته، وتوقُّدِ ذكائه.

الثاني: الرباعي المنبسط المُعرى من الحروف الذلق:

ويقسمه إلى قسمين:

1. قسم الحكاية المؤلفة: وقد عرِّفه بأنه البناء الذي يكونُ حرفُ صدره موافقاً لحرفِ صدرِ ما ضمَّ إليه في عَجْزِه، ومثَّلَ له بكلمتي "دهداق" و"زهزاق"، "فكأنهم - كما يقول - ضَمُّوا (د هـ)" إلى "دق" فألفوهما، ولولا ما جاء فيهما من تشابهِ بين الحرفين ما حَسُنَّت الحكايةُ فيهما؛ لأنَّ الحكايات الرباعيات لا تخلو من أن تكونَ مؤلَّفةً أو مُضاعَفةً¹.

وهكذا فإنَّ الخليل يجعلُ من تجانسِ الحرفين في البناءِ الرباعيِّ سبباً في الحكم على عربيته²، لذا فإنه يلفت النظر إلى كلمة "الهُعُخُع" التي لا يراها عربية؛ لأنها ليست من باب الحكاية؛ فصدرها ليس كَعَجْزِها، يقول: "ولو كان الهُعُخُع من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب، وإنَّ كانت الخاءُ بعد العين؛ لأنَّ الحكاية تحتلُّ من بناء التأليف ما لا يحتمل غيرها...، ولكن لما كان الهعخُع فيما ذكر بعضهم اسماً خاصاً، ولم يكن بالمعروفِ عند أكثرهم، وعند أهل البَصَرِ والعِلْمِ منهم رُدٌّ ولم يُقْبَلْ"³.

وعلى هذا فإنَّ الخليل - وبناءً على استقرائه لكلام العرب، ودرايته بقوانين صياغته - لا ينسُبُ كلمة الهُعُخُع إلى العربية لسببين رئيسين:

¹ السابق: ج 1/ ص 54.

² ومما يمكن أن يدخل في باب التجانس أيضاً ما أشار إليه الخليل في تفخيم الصاد مع القاف، قال في مادة (ق.ص.ع) "والقصاعُ جمعُ القصعة. والقاصعاء: جُحُرُ الزُّبُرُوعِ الأول الذي يدخل فيه، اسم جامع له. ولا تجوز السَّيْنُ في الكلمة التي جاءت القاف فيها قبل الصاد إلا أن تكون الكلمة سينية لا لغة فيها للصاد"، وجاء في العين في مادة (ص.ق.ع) أيضاً "قال الخليل: كل صَادٍ قِيلَ القاف إن شئت جعلتها سينا لا ثبالي مُتَّصِلَةٌ كانت بالقاف أو مُنْفَصِلَةٌ، بعد أن تكون في كلمة واحدة، إلا أن الصَّادَ في بعض الأحيان أحسن، والسَّيْنُ في مواطن أخرى أحوذ".

³ العين: ج 1، ص 54-55.

أ. ليست حكاية مؤلفة، بل اسماً

ب. مخالفتها لنسج الكلمة العربية، حيث لم يُسمع عن العرب وقوع الخاء بعد العين.

2. قسم الحكاية المضاعفة: وهو ما يُعرف عند الصرفيين بمضعف الرباعي،¹ ويعرفه الخليل بأنه " ما كان حرفاً عجزه مثل حَرْفِي صَدْرِهِ"،² وذلك مثل: الصلصلة والزلزلة، ويذكر أن هذا البناء " يستحسنه العرب" وأنه "يجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل ومن الذلق والطلق والصنم".³

وينبه الخليل في هذا المقام إلى قانون لغوي عام بل قاعدة لغوية عامة في بناء حكاية المضاعفة فيذكر أنه يجوز في بنائها ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف؛ "لأنَّ المُضاعَفَ - كما يقول - جائز فيه كلُّ عَثٍّ وَسَمِينٍ مِنَ الفصولِ والأعجازِ والصُّدُورِ وغير ذلك"،⁴ وليدلل على صدق قاعدته نراه يستشهد بجواز تعاقب الضاد والكاف تعاقباً مباشراً في نحو الضنكضاكة من النساء،⁵ وذلك بخلاف المعروف عن هذين الصوتين؛ فالعرب لا تستحسن تعاقبهما في أبنية الأسماء والأفعال إلا بالفصل بينهما بصوتٍ لازمٍ أو أكثر، كما في: الضنك والضحك وأشباه ذلك.⁶

¹ يَرُدُّ الخليل الحكاية المضاعفة إلى البناء "الثنائي؛ لأنه يضاعفه، ألا ترى الحكاية أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول: صلصل اللجام، وإن شاء قال: صل، يُخَفَّفُ مَرَّةً اكتفاء بها، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك، فيقول: صل، صل، صل، يتكلف من ذلك ما بدا له، ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف؛ ألا ترى أن الضاد والكاف إذا أُلْفَتَا فَبَدَأَ بالضادِ ففعل: (ضك) كان تأليفاً لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصلاً بين حَرْفِيَّيْهِ بحرف لازمٍ أو أكثر من ذلك الضنك والضحك وأشباه ذلك". ينظر العين: ج1/ ص 55-56.

² السابق: ج1/ ص 55.

³ السابق: ج1/ ص 55.

⁴ السابق: ج1/ ص 56.

⁵ السابق: ج1/ ص 56.

⁶ السابق: ج1/ ص 56 بتصرف.

وعلى هذا فإنه يمكن صياغة هذا القاعدة اللغوية التي يُمكن حوسبتها والاستفادة منها في صياغة مفردات العربية على النحو الآتي:

* تعاقب الضاد والكاف غير جاز إلا في إحدى هاتين الحالتين:

أ. أبنية الحكاية المضاعفة

ب. الفصل بينهما في أبنية الأسماء والأفعال بحرفٍ لازمٍ أو أكثر " مثل: الضنك والضحك وأشباه ذلك.

ووجدنا في مجال تأليف الحرف لِنَسْجِ كلماتِ اللغة العربية بل هندستها - بمصطلح الدراسة أيضاً - أنَّ علماء العربية الأوائل تحدثوا عن قاعدة صوتية عامة لفتوا فيها إلى أنَّ تقارب مخارج الأصوات ينتج عنه ثقلٌ في نطق الكلمة؛ وأنَّ اتفاق صوتين في مخرجٍ يُشكِّلُ علةً مانعةً لتتاليهما في الكلمة الواحدة.

وقد وجدنا الخليل بن أحمد ينبه في معجمه على هذه القاعدة البنائية العامة في لغة العرب، وذلك حين نصَّ فقال: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق من ذلك فعلٌ من جمع بين كلمتين، مثل: (حيّ على)، كقول الشاعر: - (البحر الطويل)-

ألا رُب طيفٍ باتَ منك مُعانقي إلى أن دَعَا داعي الفلاح فحَيَّعَلا

يريد: قال: "حيّ على الفلاح" أو كما قال الآخر: - (البحر الوافر)-

فبات خيال طيفك لي عنيقاً إلى أن حَيَّعَ الداعي الفلاحا

أو كما قال الثالث: - (البحر الوافر)-

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيلة المنادي

فهذه كلمة جُمِعَت من "حيّ" ومن "على" وتقول منه: (حَيَّل يُحَيِّلُ حَيْعَلَةً)، وقد أكثرت من الحَيْعَلَةِ؛ أي من قولك: (حيّ علي)...؛ فبني من الكلمتين كلمة، فهذا من النَّحْت، فهذا من الحَجَّة في قولهم: حَيَّلَ حَيْعَلَةً، فإنها مأخوذة من كلمتين حيّ على. وما وُجِدَ من ذلك فهذا بابه".¹

¹ ينظر في السابق "باب العين مع الحاء والهاء والخاء والغين": ص 60.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

وإذا كانت العين لا تأتلف مع الحاء في بنية كلمة واحدة لقرباً في المخرج فإنها وفق قانون اللغة العربية العام لا تأتلف - كما نصّ الخليل - "مع هذه الحروف: الغين والهاء والحاء والحاء"¹؛ ولذا فإنها جذور أو كلمات "مُهمّلات"².
ونصّ كذلك وفق قاعدة تقارب المخارج على أنه: "ليس في كلام العرب... كلمة صدرها (نر)".³

وهكذا نستنتج مما ورد في فكر الخليل الحوسبي قانوناً لغوياً يمكن إعمامه في اللغة العربية، وهو أنّ تقارب الحروف يُشكّل أساساً مهمّاً في عدم تألف الحروف المتقاربة مخرجاً في بنية الكلمة الواحدة؛ وهذا يعني استنتاج قانون لغوي آخر، وهو أنّ تباعدها يُستحسن في بناء الكلمة الواحدة، وأنّ هذين القانونين يمكن لمهندس الحاسوب برمجتهما في التمييز بين الكلمات العربية الأصل وغيرها من الكلمات الدخيلة.

وقد استفاد علماء العربية مما جاء عن الخليل في هذا المجال، وأسهموا في إحكامه وتقصيل بُنوده، يقول ابن دريد (ت. 321هـ): "واعلم أنّ الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت...، وإذا تباعدت مخرج الحروف حسن وجه التأليف"⁴.
ويقول ابن جني (ت. 392هـ): "واعلم أنّ هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولاسيما حروف الحلق"⁵.
وقد عقد ابن جني هذا العالم الفذ في كتابه: "سر صناعة الإعراب" فصلاً تحدث فيه عن "مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما يحسن، وما

¹ السابق: ج1/ ص 61.

² السابق: ج1/ ص 61.

³ السابق: ج1/ ص 53.

⁴ جمهرة اللغة: ج1/ ص 46.

⁵ سر صناعة الإعراب: ج1/ ص 65.

يقبح، وما يَصِحُّ¹؛ وفيه يوضحُ قوانين العربية في تآلفِ الحروف، ويُقسِّمُها إلى ثلاثة أضرب: أحدها- تأليف المتباعدة، وهو الأحسن، والآخر - تضعيف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحُسْن، والآخر - تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين؛ فلما رُفِضَ البتة، وإما قلَّ استعماله".

وتراه في موضعٍ آخرَ ينصُّ على أنَّ القياسَ ألا يأتلف المتجاوران، "وإنَّ تجشُّموا ذلك بدؤوا بالأقوى من الحرفين،² وذلك نحو: (أزل) و(وَزَل) و(وَتَد) و(مَحْتَد)، فبدأوا بالراءِ قبل اللام، وبالتاء قبل الدال، لأنهما أقوى منهما".

ووضحَ ابن جني قوانين تأليف حروف العربية على النحو الآتي:

- أقل الحروف تآلفاً بلا فصلٍ حروفُ الحلق: فسبيل هذه الحروف متى اجتمع منها في كلمةٍ اثنانٍ أن يكونَ بينهما فصلٌ...، وحكمها ألا تتجاوز غير مفصولةٍ إلا في ثلاثة مواضع:

* أحدها أن تُبتدأ الهمزة، فيجاورها من بعدها واحدٌ من ثلاثة أحرفٍ حلقيّة، وهي: الهاء والحاء والخاء...

* الثاني ائتلاف الهاءِ مع العين، ولا تكون العينُ إلا مُقدِّمة...

* الثالث ائتلاف العين مع الخاء، ولا تكون الخاءُ إلا مقدِّمة.

- حروف أقصى اللسانِ هي القاف والكاف والجيم، وهذه لا تتجاوز البتة، لا تجد في الكلام نحو (فَج)، ولا (جَق)، ولا (كَج)، ولا (جَك)، ولا (قَك)، ولا (كَق)، فأما قول رُوبة:

لواحقُ الأقربِ فيها كالمَققُ

وقولهم: يَأَجُّجُ وَمَاجُّجُ وَسِكَّكَ فَإِنَّمَا جاز ذلك، وإن كان متكرراً من قِبَلِ أَنَّ المَكْرَرَّ مُعْرَضٌ في أكثر أحواله للإدغام، ألا تراك تقول: فَرَسٌ أَمَقَّ، وَمَجَّ فوه، وَأَجَّت النارُ، وَسِكَّة، والحرفان".

¹ المرجع السابق: ج 2/ ص 811-820.

² سبق لابن دريد أن أشار إلى صعوبة تجاوز حروف الحلق، وإلى قانون البدء بالأقوى من الحرفين، وتأخير الأثنين، ينظر معجمه، جمهرة اللغة: ج 1/ ص 46-47.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

- الشين لا تُؤلف مع الصاد؛ لما بينهما من التجاوز والاستطالة.
- يجوز الجمع بين الشين وحروف وسط الفم - الصاد والسين والزاي - شريطة البدء بالشين التي هي أقوى، ولو قدمت واحدة من الصاد أو السين أو الزاي على الشين لم يجز، ألا ترى أنه ليس في الكلام نحو: سَشْ، ولا رَشْ، ولا صَشْ.
- لا يجوز تركيب حروف الصفير الصاد والسين والزاي بعضها مع بعض....، وكذلك الطاء والدال والتاء لا يركبن إلا أن تتقدم الطاء والتاء على الدال، نحو: وَتَد، وَمَحَد، ووَطَد، وكذلك الطاء والذال والتاء.
- يجوز تقدم الراء على اللام أو النون؛ لأنها أقوى منهما، نحو: وَرَل، وَأُرَل، وَرَنَّة، وَرَنَد، ولا يجوز تقديم واحدة منهما على الراء؛ لأنه "ينبغي إذا تدانى الحرفان أن يبدأ بالأقوى منهما، فيعتمد عليه، ويتلوه الآخر تبعاً له، فأما الخُلَر فاسمٌ أعجميٌّ، وإنما كلامنا على اللغة العربية، وأما قولهم: دَنَرٌ يُدَنَرُ وَرَجُلٌ مُدَنَّرٌ وَمُزَنَّرٌ فَإِنَّمَا جازَ فيه أن تتقدم النون على الراء، لأن النون مشددة، فقويت بذلك، فصار لها حكمٌ لولا التشديد لم يكن... وانضاف إلى تشديد النون أيضاً أن الحرفين متأخران، وليست النون في أول الكلمة".

ونخلص من عرضنا لما جاء عن ابن جني إلى أنه يتفق مع الخليل في قانونه اللغوي الذي ينصُّ على أنَّ تقارب الحروف صوتياً لا يسمح بتألفهما في كلمة عربية واحدة، ويُرجع تجاوزهما في بعض الكلمات العربية إلى أحد القوانين اللغوية الآتية:

- قانون تكرير صوت في الكلمة
- قانون قوة الصوت، حيث تبدأ الكلمة العربية في حالة تجاوز صوتين متقاربين بالأقوى فيهما، وإن تشديد الحرف يُقوِّيه ويجعله يجتمع مع الأقوى منه ممَّا يُقَارِبُهُ صوتياً في الكلمة الواحدة.
- مخالفة الكلمة لقوانين تأليف الأصوات يُدخلها في مجال الكلمات الشاذة أو الأعجمية، يقول ابن جني: "ولا تكاد تجده - التضعيف - أولاً البتة إلا شاذاً، نحو دَدَن، وَبَبَان....، وأما بَبَر فأعجمي، فالفاء والعين لا يكونان من لفظٍ واحدٍ إلا شاذاً، لاسيما إذا توالتا ولم يُفصل بينهما"،

وذلك بخلاف التضعيف في الفاء واللام، كما في نحو: سلس وقلق، وفي العين واللام، كما في: صددت ومررت والشَّمم والبَدَد، فهما جائزا الوقوع في العربية.

وإذا انتقلنا إلى عالم لغويّ بل علماء جاؤوا بعد الخليل وابن جني فسجدهم يحومون في دوائر ما جاء عن سابقهم، فابن سنان الخفاجي (ت. 466هـ) نراه يكرر قانون "تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج" وقانون اجتتاب "الناظم تكرر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام: واجتتاب ذلك في اللفظة الواحدة"، لكنه يضيف أن هذا التكرار "في التأليف أقبح؛ وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد، أو تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلف إذا طال وأشع. وما زال أصحابنا يَعْجَبُونَ من البيت: (البحر البسيط)

لو كنتُ كنتُ كتمتُ الحبَّ كنا نكونُ ولكنْ ذاكَ لم يكنِ
كنتُ كما

وليس يحتاجُ إلى دليلٍ على قبحه للتكرار أكثر من سماعه.¹

مجال التمييز بين الكلمات العربية والأعجمية:

وجدنا من علماء العربية من استفادوا من سابقهم في تحديد قوانين العربية فأفردوا الكتب للتمييز بين ما في اللسان العربيّ من كلماتٍ دخيلة، ووجدناهم يشيرون في مصنفاتهم أو

¹ سر الفصاحة: ص 97، وينظر شواهد ابن سنان واستثناسه على قبح التكرار في التأليف بغيره كأبي الحسن الرماني (ت. 384هـ)، ونقل عنه "أن التتافر أن تتقارب الحروف في المخارج، أو تتباعد بعداً شديداً"، وأنه "حكى ذلك عن الخليل بن أحمد، ولكن ابن سنان يناقش الرماني فيقول: "والذي أذهب أنا إليه في هذا ما قدّمت. ولا أرى التتافر في بُعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القرب، ويدلُّ على صحة ذلك الاعتبار؛ فإن هذه الكلمة (ألم) غير متتافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج، لأن الهزمة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما... فأما الإدغام والإبدال فشاهدان على أن التتافر في قرب الحروف دون بُعدها؛ لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلاّ فراراً من تقارب الحروف. وهذا الذي يجب عندي اعتماده". ثم يخرج عن قيود القوانين إلى سياق مناسبة المقام للمقال أو ملائمة الخطاب لمقام المخاطب؛ كأن يكرر المتحدث اسم المحبوب أو الشيء الذي يريد بيانه ينظر، ص 98 وما بعدها.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

يُصَدَّرُونَهَا بالقواعد أو القوانين التي تُرْشِدُ إلى معرفة الكلمة الدخيلة في العربية، ومن هذا ما جاء عن الجوهري (ت. 393هـ) حين قال: "الطَّيِّجُ والطَّاجُنُ: الطابِق يُقَالُ عَلَيْهِ، وَكِلَاهُمَا مُعَرَّبٌ؛ لِأَنَّ الطَّاءَ وَالْجِيمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي أَصْلِ كَلَامِ الْعَرَبِ".¹

وجاء في لسان العرب في مادة الجيم أَنَّ الجوهري قال: "الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن يكون مُعَرَّباً، أو حكاية صوت مثل كلمات ذكرها هو في موضع واحد، ونفرقها نحن هنا بترجم في أماكنها ونشرح فيها ما ذكره هو وغيره".

وفي المادة ذاتها نسب ابن منظور إلى الليث أنه ذكر أن "القاف والجيم جاءتا في حروف كثيرة أكثرها مُعَرَّبٌ، قال وأهملنا مع الشين والصاد والضاد" وأن ابن بري نقل عن "الجواليقي في المعرَّب - قال -: لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية إلا بفصل، نحو جلوبق وجرنق".

وإذا ما انتقلنا إلى أبي منصور الجواليقي (ت. 540هـ) فنستقرُّه في "باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي" يبحث فيما يصيب الأسماء الأعجمية من تغيير على ألسنة العرب.²

وفي باب ما يُعرفُ من المُعَرَّبِ بانتلاف الحروف³ نجده يُحدِّد القوانين اللغوية التي يمكن من خلالها تمييز كلمات العربية عما سواها من كلام البشر، وذلك على النحو الآتي:

- لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية؛ فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها مُعَرَّبة.

- ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية...

¹ ينظر الصحاح: مادة (ط.ج.ن)، ونقل عنه ابن منظور في لسانه، ووجدناه - متأثراً بالأزهري - في تهذيب اللغة ينسب إلى الليث القول بعدم اجتماع الطاء والجيم معاً، قال في مادة (ط.ج.ن) "الطَّاجُنُ: المِقْلَى، وهو بالفارسية تابه. والطَّجُنُ: قَلْوُكٌ عَلَيْهِ، دَخِيل. قال الليث: أَهْمِلْتَ الْجِيمَ والطَّاءَ في الثلاثي الصحيح، ووجدناها مستعملة، بعضها عربية وبعضها مُعَرَّبة، فمن المُعَرَّبِ قولهم: طنجة بلد معروف، وقولهم للطابق الذي يُقَالُ عليه اللحم الطاجُنُ، وَقَلِيَّةٌ مُطَجَّنَةٌ، والعامة مُطَجَّنَةٌ.

² ينظر المُعَرَّب من كلام الأعجمي على حروف المعجم: ص 6-10.

³ ينظر المرجع السابق: 11-12.

- وليس في أصول أبنية العرب اسمٌ فيه نونٌ بعدها راء...
- وليس في كلامهم زايٌ بعد دالٍ إلا دخيل...
- ولم يَحْك أحدٌ من الثقات كلمةً عربيةً مبنيةً من باءٍ وسينٍ وتاء...
- فإذا جاءك مثالٌ خماسيٌّ أو رباعيٌّ بغير حرفٍ أو حرفين من حروف الذلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم¹؛ أي ليس من كلام العرب.
- الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان، وإنما جاء في (الصراط) و(الأصطم)؛ لأن أصلها السين².
وجاء شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت. 1069هـ) ليتحدث عما ورد في العربية من الدخيل فاستفاد من القوانين اللغوية التي جاءت عن سابقه ولاسيما الجواليقي الذي أطرى مُصنّفه، وكان أولَ مَنْ ذكر اسمَه في كتابه، واقتبس منه³.
على أن المُطَّلَع على كتاب شهاب الدين الخفاجي يلحظ أنه بدأ بـ "فصلٍ في تغيير المعرب وإبداله"، و"باب اطراد الإبدال في الفارسية"؛ ليبين طرائق التعريب تطبيقاً، ويظهر من خلالها بين ما طرأ على اللفظ المعرب من تغييرٍ في الصوت أو الوزن، وما استفاده من اللغويين سابقه⁴.
ومما ذكره الجواليقي في سياق قوانين ائتلاف الحروف هذه القوانين: "لم يجتمع في العربية سينٌ وزايٌ، ولا سينٌ وذالٌ معجمةٌ إلا في كلمةٍ مُعرَّبةٍ كساذجٍ معربٍ ساد...، ولا يجتمع الطاء والجيم في كلمة، وفي المُحكَّم ليس في كلام العرب شيئٌ بعد لامٍ في كلمةٍ عربية...، ولا تجتمع الصادُ والطاءُ في كلمةٍ عربية"⁵.
وهكذا فإن لنا في حصر علماء العربية للمفردات الأعجمية التي دخلت في اللغة العربية

¹ ينظر السابق: ص 11-12.

² ينظر السابق: ص 44.

³ ينظر كتابه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل": ص 32-33، ووازن ما جاء فيه من مقدمات بما في كتاب سابقه الجواليقي "المعرب من الكلام الأعجمي على حرف المعجم"، ص 3-12.

⁴ ينظر شفاء الغليل: ص 33-46.

⁵ ينظر السابق: ص 38-39.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

ودراستها في مصنفاتٍ مستقلة أو فصولٍ فيها عاملاً ميسراً للمقارنة بين قوانين متن اللغة العربية وغيرها من متون اللغات الدخيلة صوتاً وبنيةً وتركيباً، واستنباط الخصائص التي تفرق بينها. ويأتي معجم العين للخليل والكتاب لسيبويه في مقدمة المصنفات التي وقفت عند الدخيل في لغة العرب، واستفاد منهما علماء العربية قداموهم ومحدثوهم كابن دريد في "جمهرة اللغة"، و"المخصص" لابن سيده، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"المزهر في علوم اللغة وأنواعها" و"الإتقان في علوم القرآن" وهما للسيوطي... إلخ.

ومن المصنفات التي تخصصّ منثها بالمُعَرَّب والدخيل كتاب "المُعَرَّب" للجواليقي، و"شفاء الغليل" للشهاب الخفاجي، و"المهذب فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب"، و"المتوكلي"، وكلا الكتابين للسيوطي، و"رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية" لأحمد بن كمال باشا، و"رسالة الكلمات العربية الواقعة في القرآن الكريم" لحمزة فتح الله، و"الألفاظ الفارسية المعربة" لأدي شير، و"معجم الدخيل في اللغة العربية" لطاهر باقر، و"الألفاظ التركية في اللهجات العربية وفي لغة الكتابة" لأحمد فؤاد متولي... إلخ.

تقع دراسة أبنية اللغة في مجالٍ علم الصرف، وهو أحد علوم اللغة المهمة، وتُشكّل موضوعاته في جملتها نماذج صالحة للحوسبة اللغوية، وتأتي الأوزان التي جرّدها الصرفيون لتمثيل مفردات اللغة في مقدمة الموضوعات الصرفية التي تُيسّر لنا حوسبتها، والكشف عمّا يخرج عن مفردات العربية.

ومما ييسّر مهمة حوسبة أوزان العربية اعتناء بعض علماء العربية بدراستها وحصرها في كتبهم اللغوية، وذلك على النحو الذي وجدناه في بعض معجماتنا كمعجم "ديوان الأدب" للفارابي، و"شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم" لنشوان بن سعيد الحميري، "مقدمة الأدب" للزمخشري. وقرأناه أيضاً في هذه المصنفات التي أفردتها أصحابها لدراسة أبنية مفردات مجالٍ أو أكثر من مجالات متن اللغة العربية الفصحى، مثل: "المنقوص والممدود" للفراء، و"المقصود والممدود" لابن السكيت، أو نفطوية، و"الممدود والمقصود" لأبي الطيب الوشاء، و"المذكر

والمؤنث" للفراء، أو المبرد أو ابن التستري، و"فعلت وأفعلت: لأبي حاتم السجستاني... إلخ.

إنَّ قيام لغويي العربية المعاصرين باستقراء إحصاء شامل لأبنية العربية الفصيحة في بيئاتها وأزمنتها المختلفة لِيُشكِّلَ عملاً جليلاً سيعود على العربية بالفائدة الكبيرة، وسييسِّرُ هذا التقدم الكبير في أنظمة الحوسبة، وذلك بما تمتلكه من إمكانيات متقدمة في الاستقراء والإحصاء وسهولة التعديل والتصنيف والتمييز بسرعة البرق، وما إلى ذلك من أمور لم تكن متوفرة للعلماء والدراسين قبل هذه الأيام.

ومما يدخل في مجال القوانين اللغوية العامة التي التفت إليها علماء العربية الأوائل أيضاً قوانين كمية الأصوات الصوامت الأصول التي تتكون منها أبنية الكلمات العربية، حيث وجدنا رائدهم الخليل يقسِّمها إلى أربعة أصناف: البناء الثنائي، مثل: قد، لم هل؛ والثلاثي، مثل: ضرب، خرج، عَمَر، جَمَل؛ والرباعي، مثل: دَحْرَج، قَرطَس، عَبَّر، جُنْدب؛ والخُماسي، مثل: اقْشَعَرَّ، سَفَرَجَل.¹

وإذا كان الخليل قد جعل الثنائي جزءاً من هذا التصنيف لأبنية العربية فقد وجدناه يُلحِظ إلى أنَّ البناء الثلاثي هو الأصل الذي يُمكن ردُّ بناء الاسم الثنائي إليه، وذلك تطبيقاً لقانونه اللغوي الذي نصَّ فيه على أنَّ "الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثة أحرف: حرف يُبتدأ به، وحرفٌ تُحشى² به الكلمة، وحرفٌ يوقَّف عليه؛ فهذه ثلاثة أحرف، مثل سَعَد وعَمَر ونحوهما من الأسماء".³

إنَّ ردَّ الخليل الاسم الثنائي إلى الثلاثي أراه قد يُضعفُ الرأي الذي قال أصحابه: إنَّ الخليل من القائلين بأنَّ الكلمات العربية ترتدُّ إلى أصولٍ ثنائية، أو إنَّ العربية بدأت جذورها ثنائية ثمَّ تطورت إلى الثلاثي والرباعي والخُماسي.

وتأتي الأوزان أو الصيغ أو الأبنية التي جرَّدها الصرِّفيون لتمثيل مفردات اللغة العربية في

¹ العين: ج/1، ص 48-49.

² الأصل "يحشى"؛ انظر العين، ج/1، ص 49.

³ العين، ج/1، ص 49.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

مقدمة الموضوعات الصرفية التي تُعين حوسبتها على الكشف عما تختلف أبنيتها عن أبنية مفردات العربية، وإنَّ اعتناء بعض علماء العربية بدراستها وحصرها في مصنفاتهم اللغوية لما ييسّر لنا مهمة حوسبة أوزان العربية.

يقول ابن القطاع: "قد صنّف العلماء في أبنية الأسماء والأفعال، وأكثروا منها، وما منهم من استوعبها. وأول من ذكرها سيبويه في كتابه، فأورد للأسماء ثلاثمئة مثالٍ وثمانية أمثلة، وعنده أنه أتى به - أي بالحصر -، وكذلك أبو بكر بن السراج ذكّر منها ما ذكره سيبويه، وزاد عليه اثنين وعشرين مثلاً. وزاد أبو عمر الجرمي أمثلةً يسيرةً، وزاد ابن خالويه أمثلةً يسيرة، وما منهم إلا من ترك أضعاف ما ذكر، والذي انتهى إليه وسعنا، وبلغ جُهدنا بعد البحث والاجتهاد، وجمع ما تفرّق في تآلف الأئمة ألفُ مثالٍ ومِئتا مثالٍ وعشرة أمثلة".¹

وقد وجدنا بعض علماء العربية يُفرد مصنفات مستقلة لأبنية العربية، وذلك على النحو الذي وجدناه في كتبهم الصرفية بصفة عامة، وبعض معجماتنا كمعجم "ديوان الأدب" للفارابي، و"شمس العلوم ودواء كلام العرب في الكلوم" لنشوان بن سعيد الحميري، و"مقدمة الأدب" للزمخشري. ومنهم من أفرد لها حيزاً من كتابه كسيبويه في "الكتاب"، والمبرد في "المقتضب" وابن يعيش في "شرح المُفَصَّل"، والسيوطي في "المزهر في علوم اللغة"، ومنهم من أفرد المصنفات لدراسة أبنية مفردات مجال أو أكثر من مجالات أبنية متن العربية، مثل: "المنقوص والممدود" للفراء، و"المقصود والممدود" لابن السكيت، أو نفطويه، و"الممدود والمقصود" لأبي الطيب الوشاء، و"المذكر والمؤنث"، المبرد، أو ابن التستري، و"فعلت وأفعلت" لأبي حاتم السجستاني... إلخ. ومما يصبّ في هذه الخانة حديث علماء العربية عن الأوزان النادرة في العربية، ومن ذلك مثلاً ما جاء في كتاب السيوطي بعنوان: "ذِكْر نوادر من التأليف" و"ذِكْر ضوابط واستثناءات في الأبنية وغيرها".²

¹ المزهر في علوم اللغة، ج/2، ص 4.

² المزهر في علوم اللغة، ج/2، ص 42-119.

وكذلك ما جاء عن الجواليقي الذي اتخذ من وجود الوزن أو عدمه وسيلةً تمييزيةً بين مفردات العربية وغيرها، ومن ذلك نصُّه: "ليس في الكلام شيءٌ على أفعول"، وتنبههُ إلى أن إسْكَندَر وأُسْكَندَر بكسر الهمزة وفتحها... هي كلمةٌ أعجميةٌ ليس لها في كلام العرب مثال، و"مَحْشَلَبٌ وَمَشْخَلَبٌ على القلب... لم يُنقل عن العرب هذا البناء"، وأنه "ليس في كلامهم فُعْلِيل والضمُّ"، و"ليس في الكلام أصل فَعْلَلٌ بفتح الفاء"، و"إن جاء بناءً على فَعْلَل في شعرٍ قديم فأزده، فإنه مصنوع، وإن بنى مؤلِّد هذا البناء واستعملهُ في شعرٍ أو كلامٍ فالزُّد أولى به".¹

وكذلك وجدنا شهاب الدين الخفاجي يقف عند أوزانٍ ينصُّ على عدم عربيتها، مثل قوله: "وليس في كلامهم فُعْالان فخراسان" أعجمية، ولا فاعيل، ولذا قيل: أمين عبراني، ولا فَعْلَل بكسر الفاء، وفتح اللام إلا دَرَهَم وهَبْلَع وبَلْعَم، ضِفْدَع في لغةٍ ضعيفة".² وأضاف "ليس في كلامهم إِفْعِيلَل بكسر اللام، لكن بفتحها إلا إِهْلِيلَج وإِزْيَسَم".³

إنَّ عملية حَصْر أوزان اللغة ستشكُل طريقاً آمناً للعلماء يجوبونه لصياغة قوانين أبنية لغتهم، وقد وجدنا علماء العربية يصوغون القوانين التي يُمكنُ حوسبتها والاستفادة منها في صياغة الكلمات أو التحقق من أصولها، ومما يمكن الاطمئنان إليه في هذا المجال قوانين صوغ الفعل المضارع والأمر، وإِسناد الفعل، والفعل المبني لما سُمِّيَ فاعله، وما لم يُسمَّ فاعله؛ والمشتقات كأسماء الفاعل والمفعول والتفضيل والزمان والمكان؛ وفعل التعجب؛ ومصدر المرة والهيئة والميمي؛ وجمع المذكر السالم وصنؤه جمع المؤنث السالم؛ والتصغير، والإعلال والإبدال... إلخ. وفي مجال بيان أنواع الكلمة في لغتنا العربية ذكر علماؤنا هذه الأنواع، وحسروا العلامات التي تُميِّزُ كلَّ نوعٍ منها، وقد دلَّ ابن مالك على أنواع الكلمة بقوله:

¹ ينظر كتابه "المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم"، ص 22، 41، 176، 209، 315 و 332.

² ينظر كتابه "شفاء الغليل"، ص 38.

³ ينظر كتابه "شفاء الغليل" ص 41. هذا وقد صحح د. محمد كشاش في حواشي الكتاب هذا النص مستعيناً بما جاء عن الجواليقي، فقال: "افْعِيلَل خطأ، والصواب افْعِيلَل، والعبارة تصبح افْعِيلَل، ولكن افْعِيلَل مثل إِهْلِيلَج وإِزْيَسَم.

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

كَلَامُنَا لَفْظٌ مَفِيدٌ كَأَسْتَقِمُّ اسْمٌ وَفَعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلَمِ

وفي التمييز بين الفعل والاسم أطلقوا قانون "لا جرَّ في الأفعال، ولا جزم في الأسماء". وفرقوا بين علامات الأسماء والأفعال والحروف بذكر خصائص كل منها، وفي هذا المضمون قال ابن مالك:

وَمُسْنَدٌ لِلْاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلُ	بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنَّدَا وَأَلْ
وَنُونٌ أَقْبَلَنَ فَعْلٌ يَنْجَلِي	بِتَا فَعُلْتُ، وَأَتَتْ، وَيَا أَفْعَلِي
فَعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ كَ (يَشْمُ)	سَوَاهُمَا الْحَرْفُ كَهْلٌ وَفِي وَلَمْ
وَبِالنُّونِ فَعْلٌ الْأَمْرِ، إِنْ أَمَرَ فُهِمَ	وَمَاضِي الْأَفْعَالِ بِالتَّامِزِ وَسِمَ

الخلاصة

وكما تلاحظ - عزيزي القارئ - فقد سعت الدراسة إلى الإتيان بشواهد على جهد علماء العربية في استنتاج قواعد أو قوانين علمية عامة ومطرّدة في كلام العرب الفصيح يمكن برمجتها حوسبياً للاستفادة منها في تعليم الناشئة قواعد اللغة العربية، وتمكين الحاسوب من اكتشاف الأغلاط التي قد يقع فيها العقل البشري في الكلام. وأبرزت في هذا السياق ريادة الخليل عالم اللغة العربية الأول في هذا المجال الحيوي.

وليس في شك في أن هناك شواهد لغوية أخرى يمكن لعلماء العربية ودارسيها استدراكها واستثمارها في التقعيد المطرّد لخصائص لغة الضاد في الحاسوب، وجعله يصحح كلّ من يقع في خطأ فيها.

وإني لأدعو كل غيورٍ على سلامة لغة القرآن والعروبة على الجدّ في استثمار وسائل التّقنيات المعاصرة في الحفاظ على سلامة خصائص العربية صوتاً وبنية وتركيباً وإملاءً، ونشر التراكيب السليمة والبدائل العربية الفصيحة بدلاً من المصطلحات والألفاظ الحضارية الدخيلة والعامية التي تعجّ بها لغات الأقطار العربية الفصيحة والرسمية والدارجة في هذه الأيام.

المصادر والمراجع

- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة: **كتاب القوافي**، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1390هـ - 1970م.
- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: **نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب**، تحقيق د. شعبان صلاح، مطبعة التقدم، الناشر: دار الثقافة العربية - القاهرة، ط 1 / 1990م.
- التبريزي، الخطيب: **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق الحساني حسن عبد الله، دار الجيل للطباعة، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، 1977م.
- التتوخي، أبو علي عبد الباقي: **القوافي**، تحقيق عوني عبد الرؤوف، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ط 2 / 1978م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**، دراسة وتحقيق، د. حسن هنداي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ط 2 / 1413هـ = 1993م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد: **المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق وشرح أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، طبعة بالأوفست - طهران، 1966م.
- أبو الحسن العروضي، أحمد بن محمد: **كتاب في علم العروض**، حققه وعلق عليه د. جعفر ماجد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1 / 1995م.
- حلمي خليل: **التفكير الصوتي عند الخليل**، الفنية للطباعة والنشر، الناشر: دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية، ط 1 / 1988م.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر: **شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل**، قدّم له وصححه ووثق نصوصه وشرح غريبه د. محمد كشّاش، منشورات محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، ط 1، 1418هـ = 1998م.
- الخفاجي ابن سنان، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد: **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، ط 1 / 1402هـ = 1982م.
- الدماميني، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **العيون الغامزة على خبايا الرامزة**، تحقيق الحساني حسن عبد الله، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ط 2 / 1415هـ = 1994م.
- ابن رشيقي، القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الجين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت/لبنان، ط 4 / 1972م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر،

..... شواهد من حوسبة العربية الفصحى في فكر الخليل وأثره في الدرس اللغوي العربي

1392هـ - 1973م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **القسطاس في علم العروض**، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط 1/ 1397 هـ - 1977م.
- أبو سليمان، صادق عبد الله محمد مبارك:
 - **أنواع الاشتقاق في العربية بين القدماء والمحدثين**، دراسة لغوية نقدية، مجلة جامعة بيت لحم، المجلد 11 و12، 1992-1993م.
 - **الدراسات اللغوية الحديثة في مصر في الفترة من 1932-1962م**، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1987م.
 - **حوسبة اللغة في فكر الخليل/القافية نموذجاً - دراسة وتحليل ونقد**، ألقى في ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي الدولية 23-25/7/2006، وحدة الدراسات العُمانية في جامعة آل البيت - الأردن، ينظر كتاب الندوة، م 1/ 1428هـ - 2007م.
 - **النحت وأثره في تنمية مفردات العربية - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث**، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق/ فرع بنها، مصر، م 6، ع 6، يناير 2000م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن: **أخبار النحويين البصريين**، اعتنى بنشره وتهذيبه فريتسركو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - بول كتنر، باريس، 1936م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1401هـ - 1981م.

المعجمات:

- الأزهرى: **تهذيب اللغة**، وابن دريد: **كتاب جمعة اللغة**، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المُرسي: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، والصاحب إسماعيل بن عباد: **المحيط في اللغة**، الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، وابن منظور: **لسان العرب**.

التحريج العدد السادس والخمسون . حزيران (يونيه) 2019م

التغير الصوتي في أسماء الأعلام في الخطط التوفيقية لعللي باشا مبارك

د. محمد حماد

الخبير بلجنة اللهجات والبحوث اللغوية
في مجمع القاهرة

مقدمة:

تتلخص فكرة البحث في دراسة التغيرات الصوتية التي طرأت على بعض أسماء الأعلام الواردة في موسوعة (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة)، وهذه الموسوعة من تأليف علي باشا مبارك¹.

ويتحدد الإطار العام لهذا البحث من خلال النقاط الآتية:

- الاقتصار على دراسة الأعلام التي حدث في استعمالها تغير صوتي سجلته (الخطط) بمراحله أو بمراحلتيه، أو سجلت مرحلته الأولى التي تغيرت في استعمالنا الحالي².

¹ تقع هذه الموسوعة في عشرين جزءاً من الحجم الكبير، وقد اعتمدنا على طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث الصادرة عام 2008م.

² من الأمثلة التي ذكرت (الخطط) مرحلتها الأولى: (اسبارته: 9/15) و(ترواده: 202/18)، ومن الأمثلة التي ذكرت في (الخطط) مرحلتها: (دلجة: 46/11، ودلجا: 140/10) و(انبو: 228/8، وامبو: 302/8)، وأما الأمثلة التي مرت بأكثر من مرحلتين، وذكرتها (الخطط) فمنها ما مر بثلاث مراحل، مثل: (الخانقاه: 176/15، والخانكاه: 188/15، والخانكه: 176/15)، ومنها ما مر بأربع مراحل، مثل: (توسون: 131/10، وطوسون: 240/14، وطوسن: 175/6، وطسن: 214/12)، ومنها ما مر بخمس مراحل، مثل: (باشناق: 101/2، وبشتاق: 311/2، وباشتاك: 137/4، وبشتاك: 102/2، وبشتك: 107/4).

- تشمل الأعلام المدروسة أسماء الأماكن، والبلاد، والأزمنة، والأشخاص والأشياء... الخ، وتتضمن هذه الأعلام ما كان عربياً أصيلاً، وما كان أجنبياً معرباً أو دخيلاً.
- عدم التعرض للتغيرات الصوتية الناشئة عن القلب المكاني¹، ولا التغيرات الصوتية التي وضع في استعمالها الاختلاف اللهجي²، أما ما غيرته العامة - بتعبير علي باشا مبارك نفسه - فيدخل في إطار البحث؛ لأن العامة هنا هم عامة المصريين.
- تستغرق الحقبة الزمنية لاستعمالات المادة المدروسة عصوراً عديدة، أشار علي باشا مبارك إلى كثير منها عندما كان ينص على مصادره العلمية التي اعتمد عليها في كتابة موسوعته، وتبدأ هذه العصور بما قبل الميلاد، وتنتهي بالمرحلة التي أنهى المؤلف فيها كتابة موسوعته في عهد الخديو توفيق.

مجال البحث:

ينحصر مجال البحث في استعراض التغيرات الصوتية، وتحليلها، وتصنيفها، أما التغيرات الصرفية والنحوية فقليلة جداً؛ لتعلقها بالصيغ والتراكيب دون الكلمات أو المفردات، أما التغيرات المعجمية فكثيرة كثرة واضحة، وتحتاج إلى بحث موسع مستقل، إضافةً إلى أن معظم التغيرات الحادثة فيها تعود إلى أسباب غير لغوية.

ومما يرجح التحديد السابق، ويوضح قلة التغيرات الصرفية والنحوية أن البحث لم يعثر في مجال النحو إلا على مثال واحد، هو التحول من التركيب الجامع بين الإضافي والنعتي في (سفع

وتفتح صور الاستعمال هذه أبواباً عديدة للدراسة والتحليل؛ للخروج بملاحظات، وأفكار بحثية عن هذه التغيرات المتوالية وأسبابها، وطبيعة الأسماء التي وقع فيها التغيير.

¹ من أمثلة القلب المكاني التي ذكرتها الخطط: (طهراقا، وطرهاقا: 116/7)، و(جبل براموس، وبرماوس: 141/17).

² من أشهر الأمثلة للتغيير الصوتي اللهجي: قلب الحيم دالاً أو قلبها ياء، مثل: دجرجا (145/13) في جرجا (174/13)، وجزيرة جرارا، أو درارا (114/17)، وبنوحدير في بني حجير (14/12)، وكذلك: سوهائي، وسوهائي (181/12) في: سوهاج (172/12) وسوهاجي (180/12).

.....التغير الصوتي في أسماء الأعلام

الجبل المقطم: 164/5) وبعده التركيب الإضافي ثم الاختصار على استعمال المضاف إليه، وذلك في:

- الجبل المقطم (171/5)، جبل المقطم (159/5)، وسفح المقطم (138/5)، والمقطم (23/12) الذي يغلب عليه استعماله الآن.

أما التغير الصرفي فقد رصد البحث منه النماذج الآتية:

- التحول من الجمع المعرّف بالألف واللام إلى المفرد المحذوف منه الألف واللام، في كلمتي: السمسطات (231/19)، والقايات (230/19) اللتين تستعملان الآن: سمسطا وقاي (339/19)، وقد يلحق بهما التحول من المضاف إلى الجمع، إلى المضاف إلى المفرد، في كلمة: أشمون جريسات (238/8) وأشمون جريس (238/8).

- التحول من المؤنث إلى المذكر كما في: فيزانة (108/13)، وفيزان (108/13)، وكذلك في: سرس الليانة (50/12)، والمستعمل الآن: سرس الليان.

- التحول من المفرد المعرف بالألف واللام إلى المفرد المحذوف منه الألف واللام، كما في: الانكلترة (319/14)، وانكلترة (322/14)، وكذلك في: الإسكندرية (300/20)، واسكندريه (240/20)، والأمريكة، وأمريكه (318/14)، وغير هذا كثير من هذا النموذج بالقياس إلى ما سبق.

ولهذا كله حدد البحث مجاله وإطاره العام في دراسة التغيرات الصوتية وأمثلتها من اللغة في جانبها المنطوق، وفي جانبها المكتوب، كما سيتضح مما يلي.

التصنيف العام للتغيرات الصوتية

جمع البحث أمثلة كثيرة لأسماء الأعلام التي حدث في استعمالها تغير صوتي، وقد صنفها البحث إلى الأنواع الآتية:

- النوع الأول: التغيرات الصوتية البسيطة: وهي التي حدثت في صوت واحد من أصوات

الكلمة، من الهمس إلى الجهر، أو من الجهر إلى الهمس، أو من التخميم إلى الترقيق، أو غير ذلك من تغيرات.

- النوع الثاني: التغير الصوتي بالحذف أو الزيادة: وهي التغيرات الصوتية التي يمكن نسبتها إلى التغيرات الصوتية البسيطة، أو نسبتها إلى التغيرات الصوتية غير البسيطة.

- النوع الثالث: التغيرات الصوتية غير البسيطة: وهي التي حدثت في صوتين فأكثر من أصوات الكلمة، كأن يجمع التغير بين التحول من الهمس إلى الجهر، ومن التخميم إلى الترقيق.

- النوع الرابع: التغيرات الصوتية في تمثيل الأصوات الأجنبية: وهي أصوات الشين المركبة، والجاف الفارسية أو الجيم غير المعطشة، والفاء المهجورة.

النوع الأول: التغيرات البسيطة

وسوف يجري تقسيم هذا النوع بحسب المعايير العامة لدراسة الأصوات اللغوية وتصنيفها، وتتلخص هذه المعايير في الآتي:

- وضع الأوتار الصوتية من حيث الذبذبة وعدمها.
- وضع مؤخر اللسان مع سقف الحنك من حيث التراجع أو الاستواء.
- مواضع اعتراض الهواء الخارج أثناء التصويت.
- طرق مرور الهواء أثناء التصويت.

التغير الصوتي بين الهمس والجهر:

يخضع هذا النوع من التغير لمعيار (وضع الأوتار الصوتية) من حيث الذبذبة وعدم الذبذبة؛ وهذا ما ينشئ الجهر أو الهمس، وقد وردت في الخطط كلمات تغير الاستعمال فيها من الهمس إلى الجهر، أو من الجهر إلى الهمس، ويلاحظ هنا أن أمثلة التغير الأول كثيرة ومتنوعة، أما أمثلة التغير الثاني فقليلة.

أولاً: التحول من الهمس إلى الجهر: وردت في الخطط أمثلة تحول الاستعمال فيها من

الهمس إلى الجهر، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

• التحول من التاء إلى الدال: وقد ظهر هذا التحول في الكلمات التالية:

- متبول (147/5)، المتبولي (277/1)، المتبولية (129/1).

- التكرور (295/3)، التكروري (401/3).

- بستان التكة (141/1).

- اتكو (7/15)، وبحيرة اتكو (132/7)، والاتكاوية (163/14).

- تانوشر (165/11).

- إتقا (144/8).

- اتقو (80/13).

وتستعمل هذه الكلمات الآن بالدال، وقد ورد بعضها بالدال في الخطط، ومنها:

- ادكو (162/8)، وبحيرة إدكو (162/8) والنسبة إليها، وهي: الإدكاوي (165/8).

- دنوشر (165/11)، والنسب إليها: الدنوشري.

- الدكة (174/3)، وجمعها دكك (174/3)، وكوم الدكة (192/7).

- إدفا (144/8).

- إدفو (304/8).

ونستعمل كذلك: مدبول، ومدبولي، والمدبولي، والدكور، والدكورري.

• التحول من السين إلى الزاي: ظهر هذا التحول في الكلمة:

- سيزينيا (182/7)، وقد وردت: زيزينيا (201/7).

- كرموس (195/7) والمستعمل الآن: كرموز.

• التحول من الطاء إلى الضاد: ورد هذا التحول في الكلمة التالية:

- أناطول (213/18) التي وردت كذلك: أناضول (129/11).

• التحول من الطاء إلى الضاد: ذكرت (الخطط) كلمة تحول الصوت فيها من الهمس إلى

الجهر، وهي:

- قرية كرشا (113/17)، وقرية جرشا (113/17).
- ونفهم من كلام (الخطط) أن الكاف المهموسة تحولت إلى (الجاف) المجهورة، وهنا يثار سؤال: هل يمكن قياس أمثلة أخرى وردت مرة بالكاف ومرة أخرى بالجاف على هذا المثال؟
من هذه الأمثلة:

- انكلترا (322/14)، وانجلترا (161/18).
- الانكليز (63/11)، والانجليز (220/18).
- تيمورلنك (113/1)، وتيمورلنج (71/20).

ثانياً: التحول من الجهر إلى الهمس: وردت أمثلة قليلة لهذا النوع من التغير، وقد تمثل في النماذج الآتية:

• التحول من الدال إلى التاء في:

- جزيرة كريد (188/1)، والنسب إليها في: الشيخ الكريد لي (324/3)، وقد وردت: جزيرة كريت (139/2) بالتاء، وهو استعمالنا الآن.

• التحول من الزاي إلى السين في:

- باريز (23/11)، والمنسوب إليها باريزي (65/7)، وتستعمل الآن بالسين، وقد وردت في الخطط باريس (151/13).
- قرطزي (43/8)، وقرطسا (43/8).
- لوبز الخامس عشر (136/20)، والمستعمل الآن: لويس.

• التحول من العين إلى الحاء في:

الكعك (291/20)، والمنسوب إليها: الكعكي (39/5)، وقد ورد هذا المنسوب بالحاء: الكحكي (282/3)، فتحول الاستعمال من العين إلى الحاء.

التغير الصوتي بين التفخيم والترقيق:

يخضع هذا النوع من التغير لمعيار (تراجع مؤخر اللسان نحو الطبق، أو الحنك اللين) مما

ينشأ عنه التفخيم، فإذا أخذ مؤخر اللسان وضعه العادي نشأ الترقيق، وقد وردت في الخطط كلمات تغير الاستعمال فيها من التفخيم إلى الترقيق، أو من الترقيق إلى التفخيم، ويلاحظ على الأمثلة الواردة في هذا اللون من التغير عدة ملاحظات، منها: غياب التحول من الظاء إلى الدال، ومن الدال إلى الظاء؛ لاختفاء استعمال الصوتين على ألسنة العامة من المصريين، ومنها: تحول الظاء إلى زاي مفخمة؛ فصار التحول الصوتي من التفخيم إلى الترقيق بينها - الزاي المفخمة - وبين الزاي الفصيحة المرفقة.

ومن هذه الملاحظات كذلك ورود التحول من السين إلى الصاد، ومن الصاد إلى السين في الخط والكتابة دون النطق غالباً؛ لأن السين في معظم الكلمات تنطق صاداً أو قريبة من الصاد، لاسيما في الكلمات المشتمة على صوت (طاء) أو صوت (القاف).

وتتمثل الملاحظة الأخيرة في كثرة الكلمات الواردة في النوعين - من التفخيم إلى الترقيق، ومن الترقيق إلى التفخيم - بدرجة تكاد تكون متقاربة، ويتضح كل ما سبق من تأمل أمثلة التحولين التاليين:

أولاً: التحول من التفخيم إلى الترقيق: وردت أمثلة كثيرة الدوران في الخطط تحول الاستعمال فيها من التفخيم إلى الترقيق، وذلك على التفصيل التالي:

• **التحول من الصاد إلى السين:** ورد من هذا التغير عدة أمثلة مستعملة بالصاد، ونستعملها الآن بالسين، وبعضها ورد في الخطط بالسين، وهي:

- اطصا (253/8)، واطسا (314/19).

- صقارة (237/13)، وسقارة (359/19).

- الأصطول (236/12)، والأسطول (47/1).

- تل بصطة (139/19)، وتل بسطة (135/19).

- صنرو (94/17)، وسنرو (124/10).

- صرت (105/13)، والآن نستعمل: سرت.

- طقص (260/1)، والآن نستعمل: طقس.

• **التحول من الضاد إلى الدال:** ورد منه عدة أمثلة، هي:

- الفِرْضَة (184/1)، والفِرْذَة (216/1).

- الضاغستان (72/20)، والداغستان (69/20).

- ضُمُور (130/17)، في معنى (دُمُور) الآن (وهو نوع من القماش).

• **التحول من الطاء إلى التاء:** ورد منه عدة أمثلة، وهي:

- البوسطة (262/12)، والبوستة (210/11)، وورد كذلك البوستانجي (53/7).

- هيرودوط (262/12)، وهيرودوت (9/16).

- اللاطينية (37/20)، واللاتينية (37/20).

- قلو ط ببيك (96/12)، وقلوت ببيك (213/12).

- أرض ملطان (116/15)، وأرض ملتان في الاستعمال الحالي.

• **التحول من الظاء المفخمة إلى الزاي المرفقة:** ورد من هذا النوع مثالان من الكلمات المعربة،

وهما:

- قوقاظ (408/3)، وقوقاز (202/12).

- نياطي (408/3)، والمستعمل الآن: نيازي.

ثانياً: التحول من الترقيق إلى التفخيم: وردت أمثلة كثيرة الدوران في الخطط تحول

الاستعمال فيها من الترقيق إلى التفخيم، وتصنيفها فيما يأتي:

• **التحول من التاء إلى الطاء:** ورد من هذا النوع الكلمات التالية:

- إيتاليا (152/17)، وإيطاليا (62/7).

- التليانية (15/15)، وتليانية (244/1)، والطياني (222/13)، وطيانية (129/13).

- توسون (131/10)، وطوسون (240/14).

- انتوان (114/7)، وانطوان (302/8).

- النترون (254/1)، والنطرون (243/6).

- ترشجية (248/1)، والمستعمل الآن: طرشجية.
- اسبارتة (9/15)، والمستعمل الآن: اسبارطة.
- تروادة (9/15)، والمستعمل الآن: طروادة.
- التحول من السين إلى الصاد: ورد من هذا النوع الكلمات التالية:
 - قبرس (106/1)، وقبرص (240/7)، والقبرصلي (338/2).
 - السقالبة (210/6)، والصقالبة (143/3).
 - سهرجت (240/18)، وصهرجت (164/19).
 - جمسة (155/16)، وجمصة.
 - بلاد السرب (184/20) وبلاد الصرب.
 - أسفون (184/8)، وأصفون (228/19)، والمنسوب إليهما: الأسفوني (187/8)، والأصفوني (187/8).
 - سفت، التي وردت كثيراً في الخطط مفردة (سفت)، ومنسوبة (السفطي)، ومضافة إلى كلمات كثيرة تزيد عن عشرين كلمة؛ لأنها تستعمل مضافة للدلالة على قرى مصرية كثيرة، مثل: سفت راشين، وسفت اللبن،... الخ، ومن المعلوم أن التحول من السين إلى الصاد وقع هنا بسبب الخضوع لقانون المماثلة بينهما وهذا استعمال قديم.
- التحول من الزاي المرققة إلى الزاي المفخمة: ورد هذا النوع من التغير في الكلمات التالية:
 - البلوزة (353/12)، وجمعها البُوز (238/1)، ويُوْظ (115/3)،
 - ناحية بلوزة (121/7)، والمستعمل الآن: بلوطة.
 - لازوغي (176/1)، والمستعمل الآن: لاطوغي.

التغير الصوتي بين مخارج الأصوات:

يخضع هذا النوع من التغير لمعيار (مواضع النطق) أو (المخارج)، وهي المواضع التي يحدث فيها اعتراض الهواء في أثناء عملية التصويت، وتصنيف الأصوات المنطوقة بحسب هذا

المعيار، وقد وردت كلمات كثيرة في الخطط وقع التغير فيها بين صوت ينتمي إلى مخرج من المخارج، وصوت آخر ينتمي إلى مخرج آخر مجاور للسابق، وذلك حسب التصنيف الآتي:

• التحول من القاف إلى الكاف:

وردت كلمات كثيرة وقع التغير الصوتي فيها بين القاف والكاف، مما يمكن نسبته إلى اختلاف المخرج بين اللهاة والحنك اللين، ومن هذه الكلمات ما يلي:

- الأمريقا (186/7)، والأمريكا (229/7).
- الأمريكانية (242/7)، والأمريكانية (229/7).
- بشتاق (311/2)، وبشتاك (102/2).
- البلجيقا (249/12)، والبلجيكا (251/7).
- الخانقاه (157/10)، والخانكاه (198/10).
- رقوده (101/7)، وركوتي (191/11).
- قرمان (139/2)، وكرمان (237/3).
- القرماني (113/3)، والكرماني (91/3).
- قлот ببيك (213/12)، وكلوت ببيك (209/6).
- اللوقاندة (229/3)، واللوكاندة (197/7).
- القومبانية (196/12)، والكومبانية (192/12).
- ناحية قرمان (139/2)، وكرمان (288/8).

وهناك كلمات وردت في الخطط بالصورة الأولى، وهي القاف، ونستعملها الآن بالصورة

الثانية، وهي الكاف، ومنها:

- قندة (202/12)، ونستعملها الآن: كندا.
- أرقادية (53/17)، ونستعملها الآن: أركاديا.

• التحول من الكاف إلى القاف:

وردت كلمة تحول الصوت فيها من الكاف إلى القاف، وكان استعمالها في الخطط كثيراً جداً،

.....التغير الصوتي في أسماء الأعلام

ومع إمكان إدراج هذا المثال في التغير المعجمي إلا أن النفس تميل إلى جعله من التغيرات الصوتية، وهذه الكلمة هي:

- قصر الشوك (94/2) التي تحولت في استعمالنا إلى قصر الشوق.
- وهناك مثال آخر تحولت فيه الكاف إلى قاف تحولاً صوتياً خالصاً، وهذا المثال هو:
- كمبيز (212/18)، وقمبيز (69/7).

• التحول من الشين إلى السين:

- ومن أمثلة هذا التحول في (الخطط):
- منية الشيرج (206/18)، ومنية السيرج (404/3).

• التحول من السين إلى الشين:

- ومن أمثلة هذا التحول في (الخطط):
- سندي (391/12)، وشندي (186/1).

• التحول من الصاد إلى الشين:

- ومن أمثلة هذا التحول في (الخطط):
- صنفاص (17/13)، وشنفاص (17/13).

• التحول من النون إلى الميم:

وردت كلمات تحول الصوت فيها من النون إلى الميم، أي من مخرج اللثة إلى مخرج الشفتين، ومن ذلك:

- انبو (228/8)، وامبو (302/8).
- إنبابة (228/1)، والنسبة إليهما: الإنبابي، وقد وردت الكلمتان في الخطط كثيراً جداً، ثم تحول الاستعمال إلى الميم: امبابة.
- ميدون (40/16)، وميدوم (242/16).
- بهتين (370/3)، وبهتيم (147/5) التي وردت بالميم كثيراً.

• التحول من الميم إلى النون:

وهذا النوع عكس السابق، ومن أمثله في (الخطط):

- أشموم (223/8)، وأشمون (236/8).

• التحول من الباء المهموسة إلى الفاء:

حدث هذا التحول في بعض الكلمات المعربة، أو الدخيلة التي تضمنت صوت الباء المهموسة، أو الباء الفارسية، وربما كان هذا سبب تحوله إلى الفاء العربية لقرب المخرج، وتيسير النطق، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- التحول من الباء المهموسة إلى الفاء:

حدث هذا التحول في بعض الكلمات المعربة، أو الدخيلة التي تضمنت صوت الباء المهموسة، أو الباء الفارسية، ويُعد هذا الصوت غربياً على أصوات العربية الفصحى، وربما كان هذا سبب تحوله إلى الفاء العربية لقرب المخرج، وتيسير النطق، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- برشوط (215/14)، وفرشوط (215/14).

- منبالوط (274/15)، ومنفالوط (273/15).

- بيروز (70/20)، وفيروز (70/20).

وقد نقل علي باشا مبارك عن السابقتين ما يفيد أن الاستعمال القديم، أو الأصلي، كان بالباء المهموسة، أو الفارسية، ثم تحولت إلى الفاء العربية المهموسة، وهذا الأمر يعني تحولاً من المخرج الشفوي إلى المخرج الشفوي الأسناني.

وإذا كان التحول في الكلمات السابقة حاسماً لمصلحة الفاء؛ فإن هناك أمثلة ت أرجح استعمالها

بين الفاء المهموسة والباء العربية المجهورة، ومن ذلك ما يلي:

- أصبهان (72/20)، وأصفهان (71/20).

- البهلوي (37/20)، والفهلوي (37/20).

- بيلاق (177/9)، وفيلاق (177/9).

• التحول من الثاء إلى السين:

ورد هذا التحول في استعمال كلمة (مارث) بمعنى الشهر الميلادي المعروف (مارس)، وقد كثر استعماله بالثاء كثرة واضحة، ومنها: مارث (258/1).

• التحول من الحاء إلى الهاء:

ورد هذا التحول في استعمال كلمة: طحطا (272/8) بالحاء، والمنسوب إليها: الطحطاوي (86/5)؛ إذ تحول الاستعمال إلى كلمة: طهطا (228/9) بالهاء، والنسبة إليها: الطهطاوي التي استعملت كثيراً وما زالت.

التغير الصوتي وفق حالة مرور الهواء:

يتحكم معيار طريقة مرور الهواء، أو حالة مرور الهواء في تصنيف الأصوات اللغوية إلى قسمين كبيرين بحسب حرية المرور أو اعتراض المرور، هما: الحركات، أو الأصوات الصائتة، ومعها أشباه الحركات، والصوائت أو الأصوات الصحيحة.

كما يتحكم هذا المعيار في تصنيف الصوامت نفسها بحسب طريقة المرور في أثناء الاعتراض أو المخرج، وتصنيف الأصوات الصامتة هنا إلى انفجارية أو شديدة واحتكاكية أو رخوة، ومزدوجة أو مركبة، وأنفية وجانبية، وتكرارية أو ترددية، ويبدأ البحث في هذا الموضوع بتصنيف التغيرات الصوتية التي حدثت في الصوامت وفق هذا المعيار، وأولها:

• التحول من الراء إلى اللام:

ورد هذا التحول في كلمة (الخرق) التي تكرر استعمالها كثيراً في الخطط مسبقة بكلمة (باب): باب الخرق (141/1)، ونستعملها الآن: باب الخلق.

• التحول من اللام إلى النون:

ظهر هذا التحول في كلمة: سلطيس (105/12) التي وردت بالنون: سنطيس (105/12).

• **التحول من النون إلى اللام:**

ويعد هذا التحول عكس التحول السابق، وقد ظهر في كلمة (برتقانة 252/1، وبرتقان: 252/1) التي تحولت إلى البرتقال.

• **التحول من اللام إلى الراء:**

وردت كلمة في الخطط تحولت فيها اللام إلى الراء وأدغمت الراء المتحولة في الراء السابقة عليها، وهي كلمة: الكارلو (256/1) التي تحولت إلى الكارو.

• **التحول من الميم إلى النون:**

من الأمثلة التي وردت في الخطط بالميم مرات، وبالنون مرات كثيرة كلمة: أشموم (223/8) التي تحولت إلى: أشمون (236/8).

التغير الصوتي بين الصوامت والحركات

يعد التحول من استعمال الهاء إلى الفتحة، أو الفتحة الممالة من أبرز التغيرات الصوتية بين الصوامت والحركات، وقد رصد البحث نموذجين لهذا التحول، يتضحان فيما يلي:

1. التحول من الهاء إلى الإمالة إلى الباء:

أوضح كلمة يظهر فيها هذا التحول هو كلمة (ديروط) التي وردت لها في الخطط صور الاستعمال الآتية:

- دهروط (4/11)، ووردت كذلك النسبة إليها، وهي: الدهروطي (12/11).

- دروط (3/11)، والنسبة إليها، وهي: الدروطي (10/11).

- ديروط (239/11)، والنسبة إليها، وهي: الديروطي (13/11).

ويلاحظ المتأمل في الخطط أن الصورة الأولى (دهروط) قد تكون بداية الاستعمال، ثم تحولت الهاء إلى فتحة ممالة غير مكتوبة في (دروط) ثم استقر الاستعمال على الصورة الثالثة حتى الآن (ديروط).

• التحول من الهاء إلى الواو:

- ورد مثال لهذا التحول في (الخطط)، وهو:
- شهر مايه (261/1)، وشهر مايو (258/1).

• التحول من الهاء إلى الألف:

وردت أمثلة كثيرة لهذا النوع من التحول، وقد سجلت الخطط الصورتين في كثير من الأمثلة، ووردت من بعضها الآخر صورة واحدة، ويتضح ذلك من تأمل الكلمات المنتهية بتاء تأنيث تنطق هاء في حالة الوقف، ثم تتحول هذه الهاء إلى ألف مدّ، أو فتحة طويلة، ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- آبه الوقف (361/12) وآبا الوقف (124/13).
- آتربية (98/8)، وأترربي (98/8).
- آثينة (326/8) وأثينا (84/7).
- آسية (130/8)، وآسيا (135/8).
- الأمريقه (127/10)، والأمريقا (186/7).
- أمريكه (109/18)، وأمريكا (141/7).
- انكلتره (322/14)، وانكلترا (191/1).
- بسطة (382/12)، وبسطا.
- البلينة (218/9)، والبلينا (218/9).
- البهنسه (361/14)، والبهنسا (190/12).
- ترسه (155/12)، وترسا (67/10).
- تفهنه (85/10)، وتفهنا (85/10).
- رومة (308/8)، وروما (102/7).
- زفته (263/7)، وزفتي (230/6)، وزفتا (105/10).

- طحله (123/19)، وطحلى (89/13).
- طره (107/19)، وطرا (356/12).
- طلخه (78/19)، وطلخا (95/13).
- طمه (147/4)، وطما (221/4).
- عكه (239/15)، وعكا (277/8).
- فيشة (160/16)، وفيشا.
- قره قول (275/5)، وقرا قول (158/2).
- قلمه (356/14)، وقلما.
- قويسنة (83/19)، وقويسنا (85/10).
- كسلة (248/7)، وكسلا.
- كيفه (71/20)، وكيفا (78/1).
- مراقية (128/15)، ومراقيا.
- مرصفة (128/15)، ومرصفى (120/15).
- المنية (47/7)، والمنيا (169/13).
- المنيه (51/7)، والمنيا (190/12).
- مهمشه (95/1)، ومهمشا (55/1).
- ناهيه (41/17)، وناهما (41/17).
- نهيه (32/17)، ونهيا (371/3).
- نؤسه (265/14)، نؤسا (47/1).
- هولنده (186/7)، وهولندا (220/18).
- وادي حلفه (248/7)، ووادي حلفا (108/17).
- الواسطة (247/7)، والواسطى (162/17).
- يافه (138/15)، ويافا (138/15).

- جزره (127/11)، وجزرا (110/13).
 - جنوه (240/7)، وجنوا (141/7).
 - منية حلقة (174/16)، ومنية حلفا (240/16).
 - دلجة (46/11)، ودلجا (140/10).
 - دندره (300/12)، ودندرا (412/14).
 - الزرقة (169/19)، والزرقا (177/19)، والزرقاء (240/11).
- ويلاحظ على الأمثلة السابقة مجموعة من النقاط والمسائل تتضح فيما يلي:
- تتلخص المسألة الأولى في تحول نطق تاء التأنيث في آخر الكلمات السابقة إلى هاء؛ بسبب الوقوف عليها بالسكون لغياب الإعراب في الأغلب الأعم.
- وهذا السلوك اللغوي ليس غريباً على العربية حتى في عصور استعمالاتها المبكرة جداً؛ فقد تحولت تاء التأنيث في آخر الأسماء في عربية النقوش الجنوبية، وفي النقوش الثمودية والصفوية من العربية الشمالية إلى هاء في النقوش اللحيانية بصورة تاد تكون مطردة.
- كما تحولت بعض أمثلة هذه الهاء إلى ألف مقصورة أو ممدودة، مثلما حدث مع أمثلتنا المجموعة التي تنطق الآن بألف مقصورة، أو حتى بألف ممدودة في بعض الأمثلة التي عثر عليها البحث، ومنها:
- مينة (51/7)، والمينة (234/7)، ومينتها (81/7)، ومينا (101/7)، والمينا (84/7)، ثم الجمع المكسر على "المين" (218/7)، وجمع المؤنث السالم "المينات" (219/7).
- وقد تحول الاستعمال الآن إلى (ميناء) وجمعها (موانئ) بالألف الممدودة في العربية المكتوبة، مع استمرار الاستعمال بالألف المقصورة، أو الهاء في منطوقات اللهجة المصرية.
- مومية (258/12)، وجمعها: الموميات (66/16)، والمستعمل الآن: مومياء، بألف المدّ، والجمع مومياوات.
- وتنتضح المسألة الثانية من خلال الرصيد اللغوي للمسألة الأولى السابقة، وملخصها وجود

علاقة صوتية تاريخية بين تاء التأنيث، وهائه والألف المقصورة والألف الممدودة، وهي مسألة حقيقية واقعية.

- وقوع هذا التحول الذي مثلته خطط علي مبارك في كلمات عربية أصلية، مثل: (حلفة، وعكة، ونهبة)، وفي كلمات أجنبية معربة، مثل: (أثنية، ورومة، ويافة)، ويعني ذلك قدرة العربية على هضم الكلمات الأجنبية بتعريبها، وصبغها بالصبغة العربية.

- أما طريقة التعبير عن الألف المتحولة عن الهاء فقد سلكت مسلكين: كتابتها بالألف في كثير من الكلمات، وكتابتها بالألف اللينة أو الياء في بعض الكلمات، وقد جمعت الخطط بين النوعين في كلمة واحدة، وهي: آبه الوقف التي كتبت - بعد تحول هائها إلى ألف - مرة بالياء: آبي الوقف (47/7)، ومرة بالألف: آبا الوقف (124/13)، وهي المستمرة في الاستعمال حتى الآن.

- وتأتي آخر مسألة في هذا المقام، وملخصها أن الأسماء السابقة قد ورد كثير منها بالصورتين - الهاء والألف - في صفحات الخطط، وورد بعضها بصورة الهاء فقط في الخطط، وهي مستعملة الآن بالألف، فهل حدث التحول بعد زمن علي باشا مبارك؟

التغير الصوتي بين أحرف المد والحركات القصيرة:

وردت كلمات كثيرة حدث فيها التغير الصوتي بين أحرف المد والحركات القصيرة، أو بين ما يسمى الحركات الطويلة والحركات القصيرة، وتتنوع هذا التغير بين التحول من الحركة الطويلة إلى الحركة القصيرة، أو التحول من الحركة القصيرة إلى الحركة الطويلة على الرغم من صعوبة الحسم في هذه المسألة؛ لصعوبة القياس الدقيق حاول البحث تصنيف التغيرات الصوتية بقدر المستطاع، وذلك حسب التوزيع الآتي:

*** التحول الصوتي من ألف المد إلى الفتحة القصيرة:**

كثر أمثلة هذا النوع كثرة واضحة، وقد ورد معظمها في (الخطط) بالألف مرات؛ وبالفتحة مرات أخرى، كما ورد بعضها منسوباً، أو في صورة المصدر الصناعي، ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- باسوس (120/19)، ويسوس (130/19)، والمنسوب منهما:
- الباسوسية (127/19)، والبسوسية (30/19).
- براموس (141/17)، وبرموس (149/17).
- بشتاك (393/3)، ويشتاك (395/3).
- تفاهنه (176/19)، وتفهنه (85/10).
- الخانكاه (197/7)، والخانكه (112/19).
- سرياقوس (157/10)، وسريقوس (157/10).
- سفت راشين (3/10)، وسفت رشين (151/17).
- السلاحدار (84/1)، والسلحدار (92/2) والمنسوب أو المصدر الصناعي منهما:
- سلاحدارية (87/1)، وسلحدارية (111/1).
- سلاقوس (104/12)، وسلقوس (119/14).
- سلامون (182/19)، وسلمون (114/12).
- سمالوط (242/6)، وسلمون (6/11).
- شبيرامنت (178/5)، وشبرمنت (255/15).
- طامية (348/19)، وطمية (348/19).
- فرانسا (294/12)، وفرنسا (112/18)، والمنسوب منهما مذكراً ومؤنثاً.
- الفرانساوي (239/12)، والفرنساوي (211/12).
- الفرانساوية (311/12)، والفرنساوية (220/18).
- قانصوه (39/14)، وقنصوه (46/19).
- كارموس (208/7)، وكرموس (195/7).
- لوكانده (197/7)، ولوكنده (153/16).
- ماريوط (126/7)، ومريوط (124/7).
- المناوات (228/16)، والمنوات (228/16).

• هولانده (186/7)، وهولنده (85/12).

*** التحول من الفتحة القصيرة إلى ألف المدّ:**

- اسمعيل (113/12)، واسماعيل (195/18).
- الأنضول (79/20)، والأناضول (129/11).
- بلقس (111/19)، وبلقاس (208/9).
- بونبي (240/7)، وبونباي (216/18).
- خُرسان (74/20)، وخُراسان (77/20).
- الخزندار (112/9)، والخازندار (200/11).
- سلمون (113/12)، وسلامون (339/12).
- اللتيني (314/8)، واللاتيني (262/8).
- لتيني (316/8)، ولاتيني (315/8).
- اللتينية (317/8)، واللاتينية (211/8).

*** التحول من واو المدّ إلى الضمة القصيرة:**

وردت أمثلة كثيرة لهذا النوع من التغير في (الخطط)، بعضها يسهل ملاحظة الانتقال فيه، وبعضها الآخر تصعب ملاحظته، ومع ذلك تميل النفس إلى إدراجه هنا، ومن أمثلة هذا التحول ما يلي:

- أوزوريس (165/8)، وأزريس (178/8).
- أوسطى (414/3)، وأسطى (147/3)، وجمعها: أسطاوات (213/1).
- بغلوطاق (74/10)، وبغلطاق (74/10).
- البورجية (134/3)، والبرجية (133/1).
- جوغرافية (116/10)، وجغرافية (116/10).
- جانبوليون (165/9)، وجانبليون (295/12).

- جوريجي (16/4)، وجريجى (384/3).
- خريوطلي (98/1)، وخريطلي (108/2).
- خورشيد (324/3)، وخرشد (48/15).
- خوشقدم (119/2)، وخشقدم (192/6).
- شوريجى (290/12)، وشريجى (331/12).
- طوسون (240/14)، وطوسن (175/6)، وطُسن (215/12).
- النورمنديون (38/20)، والنرمنديون (76/20).

*** التحول من الضمة القصيرة إلى واو المدّ:**

- وردت أمثلة قليلة على هذا النوع منالتغير، وبعضها يصعب تحديده بدقة، منها ما يلي:
- هلاكو (84/20)، وهولاكو.
 - بغاز (193/11)، وبوغاز (62/7).
 - كبرى (346/19)، وكوبرى (34/20).
 - والتحديد في المثال الأخير أكثر صعوبة.

*** التحول من ياء المدّ إلى الكسرة القصيرة:**

- وردت أمثلة كثيرة تحولت فيها الحركة الطويلة - ياء المدّ - إلى حركة قصيرة، وهي الكسرة، ومن ذلك ما يلي:
- الأوبيرا (241/18)، والأوبرا (240/18).
 - بينتو (112/20)، وبننتو (112/20)، والمعرف بأل منهما كذلك:
 - البيننتو (309/20)، والبننتو (244/18).
 - تيزمنت (292/19)، وتزمنت (363/19).
 - الدنيمارك (265/7)، والدنمارك (265/7).
 - شيبين القناطر (113/19)، وشبين القناطر (114/19).

- شيبين الكوم (389/12)، وشيبين الكوم (32/9).
- كفر شيبين (114/19)، وكفر شيبين (389/12).
- النيمسا (141/12)، والنمسا (220/18).

*** التحول من الكسرة إلى ياء المدّ:**

والأمثلة الواردة لهذا النوع أقل من أمثلة النوع السابق، ومنها ما يلي:

- جزيرة بلاق (354/12)، وجزيرة بيلاق (155/8).
- جنكزخان (43/13)، وجنكيزخان (44/13).
- دسمبر (361/1)، وديسمبر (192/12).

*** التحول من الإمالة إلى الفتح:**

وردت في (الخطط) مجموعة من الكلمات بصورتين فأكثر من صور الاستعمال، مكتوبة مرة بالياء، ومرة بالألف، والذي فهمناه أن الصورة الأولى كانت فيها تمثيلاً للإمالة التي تحولت بعد ذلك إلى الفتح الخالص الذي عبر عنه بألف المدّ في الصورة الثالثة، ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- فيخورة (28/4)، وفاخوره (288/5).
- بيسوس (160/17)، وباسوس (18/9).
- بيلوزة (188/9)، وبلوزه (121/7).
- بيام (6/10)، وبام (6/10).

النوع الثاني: التغير الصوتي بالحذف أو الزيادة

يعرض البحث هنا نوعاً من التغير الصوتي الذي يمكن نسبته إلى التغيرات الصوتية البسيطة، أو نسبته إلى التغيرات الصوتية غير البسيطة، وقد يتصل بسبب من الأسباب إلى التغير الصرفي لاتصاله ببنية الكلمة، لكننا أثّرنا وضعه في إطار التغيرات الصوتية لعدم ترتب أي جانب دلالي عليه، ومن ثم يعد من التغيرات الصوتية الخالصة.

وقد سجلت الخطط أسماء كثيرة وردت بالزيادة مرات، وبالحذف مرات أخرى، ويلاحظ على الأمثلة المجموعة إمكان تصنيفها في عدة أنماط، أو نماذج تتضح فيما يلي:

أولاً: ما ورد بدون الهمزة مرة، وبها مرة أخرى: يذكرنا هذا النموذج باستعمال اللهجة المصرية لكلمات وردت في الفصحى بالهمزة، وفي العامية المصرية بدونها، وهي: (براهيم، في إبراهيم)، و(سبوع، في أسبوع)، و(هناسيا، في إهناسيا)، ... الخ.

ويمكن تصنيف أمثلة هذا النمط إلى النماذج الآتية:

1. ما يبدأ بـ (بو) مع الحذف، وأبو مع الزيادة:

ذكرت (الخطط) مجموعة من الكلمات ورد استعمالها بدون الهمزة مرة، وبالهمزة مرة أخرى، ويفهم مما ورد من الأمثلة أن استعمال الحذف ورد أولاً في (الخطط) ثم جاء الاستعمال بالهمزة، ومن هذه الكلمات ما يلي:

- بوباسط (170/9)، وأبو باسط (93/10).
- البوبكري (53/5)، والأبو بكري (179/2).
- البوبكرية (53/5)، والأبوبكرية (179/2).
- بوتيج (68/13)، وأبوتيج (69/13)، وقد ورد المنسوب إلى الاستعمال الأول: البوتيجي (59/8).
- بوجرج (143/8)، وأبو جرج (91/12).
- بوصير (271/5)، وأبوصير (126/7)، والمنسوب الوارد هو: البوصيري (134/5).
- بو قرقاص (53/12)، وأبو قرقاص (295/19).
- بو قير (26/10)، وأبو قير (181/7).
- بلمشط (195/5)، وأبو المشط (29/19).
- وهناك ما ورد في الصورة الأولى، والمستعمل الآن هو الصورة الثانية، ومن ذلك:
- بوشناق (115/19).

2. ما يبدأ بدون الهمزة مع الحذف وبالهمزة مع الزيادة:

ذكرت (الخطط) عدة كلمات مستعملة بصورتين، الأولى بدون الهمزة في أولها، والثانية بالهمزة، وقد استقر الاستعمال بالهمزة، ومن هذه الكلمات ما يلي:

- بويط (169/17)، وابويط (313/19)، وقد ورد المنسوب إلى الاستعمال الأول: البويطي (35/10).

- بسوج (40/8)، وأبسوج (39/8).

- بقرط (137/8)، وأبقراط (135/8).

- بشواي (175/9)، وأبشواي (176/16).

- سيوط (68/13)، وأسبوط (175/3)، وقد ورد استعمالها كثيراً، واستعمال المنسوب إليهما كذلك، وهو: السيوطي (270/5)، والأسبوطي (163/2).

- وسيم (125/5)، والمستعمل الآن بالهمزة: أوسيم، وقد ورد المنسوب إلى الأول كثيراً: الوسيمي (168/5).

وقد يلحق بالمثال الأخير مثال آخر، لكنه ورد بالهمزة، وهو:

- أبسوم (187/19).

3. ما يبدأ بالهمزة، ويستعمل الآن بدونها:

رصد البحث مجموعة من الكلمات تمثل هذا النموذج وردت كلها بالهمزة، وتستعمل الآن بدون الهمزة، ما عدا كلمة واحدة وردت بالهمزة، ووردت كذلك بدون الهمزة، وهي:

- اسبيرتو (143/15)، وسبيرتو (210/11).

أما باقي الأمثلة فهي:

- ادرنكة (147/5)، والمستعمل الآن، وهو: درنكه.

- ادمو (328/19)، والمستعمل الآن، هو: دمو.

- اسكارتو (254/1)، والمستعمل الآن، هو: سكارته.

- أوسية (68/3)، والمستعمل الآن، هو: وسية.

ويفتح الاستعمال في هذه الصورة باب التساؤل عن الأمثلة الواردة بدون الهمزة، وما إذا كانت موجودة في زمن علي باشا مبارك، ولم يسجلها، أو أنها قد وجدت بعده؟! نأمل الوصول إن شاء الله إلى رأي راجح في هذه المسألة.

4. ما ورد بدون الهمزة وبدونها:

وردت بعض الكلمات في (الخطط) بالهمزة مرة، وبدونها مرة أخرى، ويغلب الآن استعمالها بالهمزة، ومن هذه الكلمات:

- سفنج (167/7)، واسفنج (205/4).

- الفرنج (236/8)، والإفرنج (131/8).

وقد ورد المنسوب إلى الكلمة بالجم (الفرنجي: 129/8)، والمنسوب إلى الكلمة الثانية بالكاف (الافرنكي: 246/8).

ثانياً: ما ورد بالحذف، وبالإضافة بعيداً عن الهمزة: يلاحظ على أمثلة هذا أنها قليلة بالقياس إلى أمثلة النوع الأول السابق، كما يلاحظ عليها التنوع من حيث طبيعة الزيادة، ومن حيث موضعها من الكلمة، وذلك حسب التوزيع الآتي:

1. ما ورد مبدوءاً بالباء والياء، وورد بدونهما: ومن أمثلة ذلك، ما يلي:

- بيطوم (92/10)، وطوم (93/10).

- بيمارستان (180/10)، ومارستان (240/1).

2. ما ورد مختوماً بالباء والألف، وورد بدونهما: وردت كلمة (إنناس) كثيراً جداً في (الخطط)،

ووردت كلمة (إنناسيا)، وهي المستعملة الآن، عدة مرات، وذلك كما يلي:

- إنناس (327/8)، وإنناسيا (47/15)، ويلاحظ ورود المنسوب إلى الاستعمال الأول:

- الإنناسيا (292/15).

3. ما ورد مختوماً بالواو والسين، وورد بدونهما: ومن أمثلة هذا النوع، ما يلي:

- اصطفان (40/19)، واصطفانوس (166/19).

4. ما ورد بزيادة الخاء في وسطه، وبدونها: ومن أمثلة هذا النوع، كلمة:

- الترسخانة (70/11)، والترسانة (202/7).

النوع الثالث: التغيرات غير البسيطة:

يعرض البحث هنا للتغيرات الصوتية غير البسيطة، بعد أن استعرض التغيرات الصوتية البسيطة، وما في حكمها من التغيرات الصوتية الواردة بالحذف والزيادة.

وتتضمن التغيرات الصوتية غير البسيطة الأمثلة التي خضع التغير فيها لمعيارين فأكثر، من معايير التمييز بين الأصوات، وتصنيفها، وذلك وفق النماذج التالية:

• ما جمع بين التغير في المخرج، وفي الهمس والجهر:

من هذه الأمثلة كلمة (قندورة) التي وردت وصفاً لشجرة الدر في التركيب "وهي قندورة محمل" (81/15)، وتذكرنا هذه الكلمة بالاستعمال (فلانة غندورة) بالغين بدلاً من القاف.

ويعني ذلك أن التغير الصوتي هنا جمع بين التحول في المخرج الذي تحول من اللهاء (نطق القاف) إلى الحنك اللين (نطق الغين)، والتحول من الهمس في القاف إلى الجهر في الغين.

• ما جمع بين التغير في المخرج، وفي طريقة مرور الهواء:

من هذه الأمثلة كلمة (قراقول: 68/2)، التي تحولت في نطقنا الحالي إلى (كراكون)، وقد جمعت بين التغيرات التالية:

- تحول القاف إلى كاف في أول الكلمة، وفي وسطها: (قراقول: 68/2)، وهذا تغير في المخرج أو موضع النطق، بالانتقال من القاف اللهوي إلى الكاف الحنكي القصي.

- تحول اللام إلى نون، وهذا تغير في طريقة مرور الهواء من الفم إلى الأنف، ولاسيما من جانبي الفم؛ لأن اللام صوت جانبي.

- تحول الهاء في (قره قول: 275/5) إلى ألف مدّ في (قراقول: 158/2)، وهذا التحول جامع بين الانتقال من الجانب الصامت، أو الصحيح في (الهاء) إلى الجانب الحركي، أو المعتل في

(الفتحة الطويلة) أو (ألف المدّ).

وهذا تحول خاضع لطريقة مرور الهواء كذلك، بالانتقال من التضييق الشديد المنتج لصفة (الرخاوة) أو (الاحتكاك) إلى السماح للهواء بالخروج حراً طليفاً بدون عائق.

ومن الأمثلة التي حدث فيها تغير صوتي خاضع لمعياري المخرج، وطريقة مرور الهواء، كلمة (الخانقاه: 138/6) التي تحولت إلى (الخانكاه: 198/10)، وانتهى الاستعمال إلى (الخانكه: 112/19)، فقد تحول (القاف) اللهوي إلى (الكاف) الحنكي القصي، وتحولت ألف المد التي بعد الكاف إلى فتحة قصيرة، وحدث تقصير ملحوظ في ألف المدّ التي بعد الخاء، وهذان التغيران خاضعان في الأساس إلى طريقة مرور الهواء، وكميته، أو مقداره من خلال تقصير الحركة.

• ما جمع بين المخرج، والتفخيم والترقيق، وحالة مرور الهواء:

من هذه الأمثلة كلمة (الأنطقخانة: 110/16)، التي تحولت إلى (الأنتيقخانة: 175/11)، وانتهت (الانتيقخانة)، وقد جمع الاستعمال هنا بين التغيرات أو التحولات الصوتية الآتية:

- التحول في المخرج، من القاف اللهوي إلى الكاف الحنكي.
- التحول من التفخيم في (الطاء) إلى الترقيق في (التاء).
- التحول من الكسرة بعد الطاء - وهي حركة قصيرة - إلى ياء المدّ بعد التاء - وهي حركة طويلة - وهذا التحول خاضع لحالة مرور الهواء في كميته ومقداره بين التقصير والتطويل.

• الجمع بين التفخيم والترقيق، وطريقة مرور الهواء:

من الأمثلة الخاضعة لهذين المعيارين كلمة (اصطنبول: 70/11) التي تحولت إلى (استانبول: 169/13)؛ إذ جمعت بين التحولين الصوتيين الآتيين:

- التحول من التفخيم في (الطاء) إلى الترقيق في (التاء).
- التحول من الفتحة القصيرة بعد الطاء إلى ألف المدّ بعد التاء، وهذا التحول تابع لحالة مرور الهواء من حيث الكمية والمقدار.

• ما جمع بين التفخيم والترقيق والجهر والهمس:

يشكل المثال الوارد في هذه الصورة حالة فريدة تمثل ازدواجاً، أو احتمالاً في الفهم، والتحليل، واستخلاص النتائج، وسلامة هذه النتائج، ومدى قبولها، وهذا كله راجع إلى فقدان الصورة الوسطى الجامعة بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث.

والمثال الذي معنا هو كلمة (الأرنؤود: 165/1)، الذي تحول في استعمالنا إلى (الأرنؤوط: 252/11)، والمنسوب إليها: (الأرنؤوطية: 252/11).

ويتساءل البحث: ما الذي حدث ويلاحظ حول الدال المرققة المجهورة إلى الطاء المفخمة المهموسة؟

ولغياب الاستعمال الوسيط يطرح البحث أحد احتمالين، هما:

- قد يكون الذي حدث هو: تحول الدال إلى النظير المفخم وهو الضاد، ثم تحول الضاد المهجورة إلى النظير المهموس وهو الطاء، هكذا:

أرنؤود ← أرنؤوض ← أرنؤوط

- وقد يكون الذي حدث هو: تحول الدال إلى النظير المهموس وهو التاء، ثم تحول التاء إلى الطاء المفخم، وهكذا:

أرنؤود ← أرنؤوت ← أرنؤوط

وهنا تتضح أهمية الصورة الوسطى، أو المرحلة الوسطى ودورها الفعال في الفهم والتحليل والاستنتاج.

وإذا كان المثال السابق قد شكّل صعوبة واضحة في الكشف عن التغير الصوتي وتتبع مساره فإن المثال التالي يكشف عن خط التغير بصورة واضحة؛ لوجود ما يمثل المرحلة الوسطى: وهذا المثال هو: كلمة (طيودور: 92/7)، التي تحولت إلى (تيودور: 135/8)، ثم تحولت إلى (ديودور: 264/12) التي شاع استعمالها، ووردت في (الخطط) كثيراً جداً، وقد جمع هذا المثال بين تغييرين، هما:

- تحول الطاء المفخمة في (طيودور) إلى التاء المرققة في (تيودور).
- تحول التاء المهموسة في (تيودور) إلى الدال المجهورة في (ديودور).
- وإذا كان التغير الصوتي السابق قد حدث لصوت واحد في الكلمة، ولكن على مرحلتين، فإن كلمة أخرى قد حدث لها نفس التغير الصوتي في صوتين مختلفين، تلك الكلمة هي: (دوسنطاريا: 146/11)، التي تمثل التغير فيها كما يلي:
- تحول الطاء المفخمة إلى تاء مرققة.
- تحول السين المهموسة إلى زاي مجهورة، فصارت الكلمة تنطق في الاستعمال الحالي: دوزنتاريا.

النوع الرابع: التغير الخطي في التعبير عن الأصوات الأجنبية

يستعرض البحث في هذا الجانب التغير اللغوي " الخطي " أو "الكتابي" المعبر عن بعض الأصوات الدخيلة على النظام الصوتي الفنولوجي للغة العربية الذي استقر له نظام كتابي ألفبائي معلوم، وقد حاول الكاتب العربي - ويمثله في بحثنا علي باشا مبارك - تمثيل هذه الأصوات الدخيلة بكتابة الحرف المعبر عنها، مما أخذ عن الأبجديات الإسلامية المتطورة عن الأبجدية العربية أصلاً.

فقد وردت كلمات دخيلة ومعربة كثيرة في الخطط، وقد تضمن بعضها أصواتاً دخيلة مع إدخال تعديلات خطية عليها مستفيداً في هذا المجال من التعديلات التي أدخلتها الخطوط الإسلامية في الفارسية والتركية والأردية والبشتونية وغيرها، وكان أشهر هذه الأصوات الشين المركبة، والجاف الفارسية، والفاء المجهورة، وذلك على التفصيل التالي:

1. التغير اللغوي في كتابة الشين المركبة:

استعملت العربية الفصحى صوتاً مركباً واحداً، هو الجيم الفصحى أو المعطشة، واستعملت بعض لهجاتها صوتاً مركباً آخر، هو الشين التي سماها القدماء "الكشكشة"، ذلك الصوت الذي شاع استعماله في بعض اللغات، ومنها اللغات التي استعارت الخط العربي وعبرت به عن

أصواتها، كالفارسية والأردية والبشتونية.

وقد رمزت هذه اللغات إلى صوت الشين المركب بحرف الجيم ذي النقاط الثلاث (چ)، واضطر بعض الكاتبيين العرب إلى كتابة هذا الحرف تمثيلاً لنطق الشين المركبة في الكلمات المعربة المشتمة عليه، وقد فعل ذلك علي باشا مبارك في خطه.

وبلاحظ على الكلمات الواردة بهذا الصوت أنها كتبت كلها بالجيم المثلثة، وكتب بعضها - إضافة إلى ذلك - بالشين تعبيراً عن تغير لغوي حادث في الخط والكتابة فقط، أو تعبيراً عن تغير لغوي حادث في الخط وفق النطق، كما هو مشاهد ومسموع الآن في استعمالنا لهذه الكلمات، وقد ورد منها ما يلي:

- چانبليون (66/16)، ويراد به (شامبليون) التي نستعملها الآن.
- چاهين (75/5)، وقد ورد كذلك بالشين: شاهين (76/5)، ويستعملان الآن بالجيم القاهرية أو بالشين.
- چاويش (86/5)، وقد تحولت في استعمالنا الحاضر إلى الجيم القاهرية أو الشين، مثل: جاويش، وشاويش.
- چراکسة (46/18) ومفردها: چرکس (349/3)، ووردت كذلك بالشين: شرکس (406/3).
- چقمق (36/18)، ونستعملها الآن: شکمچ، ونستعمل منسوبها المؤنث: شکمچيۃ.
- چلبي (108/2)، ونستعمل الآن شلبي.
- چنكل (109/3)، ونستعمل الآن: شنكل.
- چورجي (16/5)، ونستعمل الآن: شورجي، وقد وردت في (الخط) "قنطرة الشورجي 183/16".
- لاجين (9/1)، ونستعمل الآن: لاشين.

2. التغير اللغوي في كتابة الجاف الفارسية:

عرفت بعض اللهجات العربية قديماً وحديثاً استعمال الجيم غير المعطشة أو الفصيحة، تلك

.....التغير الصوتي في أسماء الأعلام

التي تسمى الجاف الفارسية أو الجيم القاهرية التي رسمتها بعض الأبجديات الإسلامية كافاً بشرطتين (ك)؛ لترمز إلى الكاف المجهورة المساوية للجيم القاهرية.

وقد حاول صاحب الخطط كتابة الكلمات المتضمنة هذا الحرف مرة بالكاف، ومرة بالجيم، على النحو التالي:

- انكلترا (191/1).

- انكليز (191/1) بالكاف كثيراً، وبالجيم كذلك: الإنجليز (363/3)، والمنسوب إليها: انجليزي (189/4).

- الكلشني (158/6) بالكاف، ووردت بالجاف: الجلشنى (156/6).

- كلفدان (140/3) بالكاف، وتستعمل الآن بالجاف: جلفدان.

- كمرك (221/18) بالكاف، وتستعمل الآن بالجاف، وقد وردت: جمرك (156/7).

- الكمارك (382/3) جمعاً لكمرك، وقد وردت بالجاف كذلك: الجمارك (188/1).

3. التغير اللغوي في كتابة الفاء المجهورة:

استعملت العربية الفصحى الفاء المهموسة، لكنها لم تعرف الفاء المجهورة إلا في استعمال الكلمات الدخيلة المتضمنة هذا الصوت، وقد حاول صاحب الخطط التعبير عن هذا الصوت بكتابتة واواً تركية أو فارسية، وذلك في رسم الكلمات التالية:

- الوتيكان (87/7) تمثيلاً للقاتيكان.

- ليوربول (172/7) تمثيلاً لليفربول.

- ويرساي (246/13) تمثيلاً لقيرساي.

- ولانتينيان (25/7) تمثيلاً لفالنتينيان.

- بلاد الوندايك (65/7) تمثيلاً لبلاد الفندايك.

- الليور (65/13) تمثيلاً للوفر.

خاتمة البحث ونتائجه:

استعرض البحث ما استطاع جمعه من أسماء الأعلام الواردة في الخطط التوفيقية مما حدث فيها تغير صوتي بسيط، أو غير بسيط، وانتهى إلى ما يمكن عدّه من النتائج التي توصل إليها، وتنتضح فيما يأتي:

- كثرة الأمثلة التي جُمعت للتغير الصوتي مقارنة بأمثلة التغير الصرفي، أو النحوي، وقد تنوعت هذه الكثرة في صور ونماذج عديدة إذ شملت التغيرات جانب الهمس والجهر، والنقخيم والترقيق، وكثيراً من مواضع النطق وطريقة مرور الهواء، كما ظهرت الكثرة في تكرار استعمال معظم الكلمات على صفحات الموسوعة.

- ورود كثير من الكلمات التي أصابها التغير الصوتي في صورتها، الأولى: مستعملة قبل التغير، والثانية: بعد التغير، ويعني ذلك أن هذه الكلمات قد حدث لها التحول قبل عهد المؤلف علي باشا مبارك أو في أثناء عهده؛ فانتبه إليها وسجلها.

وهناك بعض الكلمات سجلها المؤلف بصورتها الأولى ونستعملها الآن بصورتها الثانية، فهل يعني ذلك أن التغير الصوتي حدث بعد عهده؟ أم حدث في عهده ولكنه لم يسجله؟

- أغلب التغيرات الصوتية كان مما يجري على ألسنة العامة، وقد ذكر المؤلف ذلك أحياناً، ونصّ على أن العامة غيرته، وهناك تغيرات نشأت نتيجة اختلاف المصادر العلمية للمؤلف، أو نتيجة الاختلاف في الترجمة عن هذه المصادر أو اختلاف اللغات المترجم عنها، إلى غير ذلك من أسباب.

- تشتمل الموسوعة على مادة لغوية ضخمة وثريّة تتضمن كثيراً من الظواهر، وتفتح أبواباً واسعة لإجراء كثير من البحوث اللغوية التي ينبغي القيام بها وإنجازها؛ خدمة للغة العربية وتاريخها الطويل، ومن هذه الظواهر والبحوث ما هو معجمي، ومنها ما هو نحوي، ومنها ما هو صرفي، ومنها ما يتعلق بمستويات الأداء اللغوي وعلاقة الفصحى بعامياتها ولهجاتها، ومنها ما يتعلق بالاحتكاك اللغوي بين العربية واللغات الأخرى التي أثرت فيها، أو تأثرت بها.

بحوث في المفاهيم والمصطلحات

بنوك المصطلحات الآلية

د. محمود إسماعيل صالح

أستاذ اللغويات التطبيقية بجامعة الملك سعود

المملكة السعودية

المقدمة

نظراً للتطور السريع في انتشار المعلومات الجديدة والتطورات المتسارعة في مجالات العلوم والتقنية المختلفة، ولضرورة نقلها للشعوب الناطقة بلغات مختلفة، وجدت الهيئات المختلفة العامة والخاصة (مثل الشركات عابرة القارات) ضرورة ملحة للاستعانة بالحاسوب في إيصال هذه المعلومات بالسرعة اللازمة. فكان اللجوء إلى الترجمة الآلية، ولكن هناك مشكلات في تطبيق ذلك حتى في المجالات التقنية والعلمية. من ثم كان النظر فيما يسمّى بالترجمة بمعاونة الحاسوب (بصور مختلفة). ولكن هذا لم يكن كافياً أو ممكناً في بعض الحالات.

في نفس الوقت وجدت الهيئات الدولية والدول الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات ضرورة الاستمرار في الاستفادة من الترجمة البشرية. ولكن هذا، حتى عند توفره، له محاذيره ومشكلاته. وقد لاحظ المشرفون على مشروعات الترجمة في المؤسسات الكبرى (مثل السوق الأوروبية المشتركة التي أصبحت تعرف باسم الاتحاد الأوروبي) أن المترجم البشري يواجه مشكلات خاصة في مجال المصطلحات العلمية والتقنية التي تتجدد بصورة مستمرة وسريعة. فعجم المصطلحات التقليدي مهما كان ثرياً لا يواكب التطور السريع في مجال المصطلحات.

كذلك لاحظ خبراء الترجمة التقنية خاصة والمشرفون عليها الاضطراب الكبير في ترجمة المصطلحات والتعامل معها أثناء الترجمة. فنجد المترجم يترجم المصطلح الواحد بمقابلات

متعددة في النص المترجم أحياناً أو يستعمل مصطلحاً واحداً لأكثر من مفهوم واحد. ومن أهم أسباب هذه الصعوبات التي يواجهها المترجم أو تشكو منها النصوص المترجمة التي أشرنا إليها آنفاً غياب المراجع المعجمية المناسبة والمواكبة للتطور السريع في مجالات العلوم والصناعة أو صعوبة الوصول إليها.

لأن المصطلحات وترجمتها تمثل عصب الترجمة العلمية والتقنية (حتى إن بعضهم ذكر أن 40% من مشكلات الترجمة في هذه المجالات هي في حقل المصطلحات) نبعت فكرة بنوك المصطلحات الآلية التي تستفيد من التطور الكبير في مجال المعلوماتية وأدواتها الحاسوبية: الحاسوب والشبكات المحلية، ثم الشبابة أو الشبكة العنكبوتية في وقت لاحق.

في الصفحات التالية سنتحدث عن أهم ميزات بنوك المصطلحات، متبوعاً بمواصفات لبنك عربي للمصطلحات: مكوناته ومحتوياته اللغوية والتوثيقية وأساليب الحصول على المعلومات (استرجاع البيانات) منها.

ونرفق بالدراسة ثلاثة ملاحق تشمل:

أ. تعريفاً لبنكي المصطلحات المعربين المفتوحين للاستعمال العام "باسم" و"أرابتيرم".

ب. قائمة ببنوك مصطلحات عالمية تشتمل على اللغة العربية.

ج. تعريف موجز بأشهر بنكين دوليين ومعجم موسوعي محوسب.

أهم الفروق بين بنك المصطلحات والمعجم التقليدي:

- بنك المصطلحات محوسب، ومن ثم يتميز بسهولة الوصول إلى المعلومات وسرعته (شبه الفورية).

- بنك المصطلحات قابل للتحديث المستمر، على حين المعاجم الورقية تبقى على حالها ربما عقوداً دون تحديث.

- سهولة التحديث في بنك المصطلحات، على حين المعجم الورقي يكلف الكثير من الجهد والمال لتحديثه.

- إمكان الانتشار الواسع جداً لمحتويات بنك المصطلحات، عند ربطه بالشابكة التي تتخطى جميع الحدود الجغرافية، مما يجعل الاستفادة منه متاحة للجميع، على العكس من المعاجم الورقية التي لا تصل إلا إلى عدد محدود من الناس، مهما كان عدد المطبوع منه وكانت وسائل نشره وتوزيعه.

ولعل صعوبات الانتشار ويطأها من أبرز العقبات التي حالت وتحول دون وصول الكثير من المصطلحات العربية إلى جمهور المستفيدين.

أهم ميزات بنك المصطلحات:

1. توفير المصطلحات المتاحة ومقابلاتها بلغات مختلفة.
2. إمكان تحديث المعلومات بصورة شبه فورية (أي حال توفر الجديد منها ومقابلاتها).
3. المرونة الكبيرة في التعامل معها، من حيث الحصول على المعلومات، ومن ثم اختصار الوقت والجهد على مستخدميها من مترجمين ومؤلفين وباحثين.
4. سهولة الوصول إلى المعلومات المطلوبة بطريقة فورية. أما في حالة عدم توفر الشبكة المحلية أو العالمية، فيمكننا توفير البيانات في صور أقراص مضغوطة (تسمى المدمجة) أو حتى الأقراص الفديوية التي يستطيع قراءتها الباحث والمترجم على حاسوبها الشخصي.
5. من الفوائد الجانبية المهمة الإسهام في انتشار المصطلحات وتوحيدها (بصورة غير مباشرة)، حيث إن توفرها ببسر يشجع المؤلفين والمترجمين (في المجالات الإعلامية والتقنية والعلمية والأكاديمية) على الاستفادة منها. ومع زيادة المستخدمين للمصطلحات يزداد انتشارها وكذلك توحيدها، حيث إن من أهم وسائل التوحيد العملية الاستعمال الكثيف لها من قبل المستفيدين منها (المؤلفين والمترجمين مثلاً). فقد لاحظنا في الواقع أن مجرد الاتفاق على بعض المصطلحات في المؤتمرات (مثل مؤتمرات تنسيق التعريب) لا يضمن التزام حتى الدول أو الهيئات المتفقة على تلك المصطلحات "الموحدة" من الناحية التطبيقية والعملية.
6. سهولة استخراج المعاجم الورقية المتخصصة للراغبين فيها، وذلك عن طريق النشر المكتبي

والتقليدي.

7. فيما يتعلق بالهيئات المسؤولة عن وضع المصطلحات وتقييسها (مثل مجامع اللغة العربية)، هناك ميزات إضافية، أهمها ما يلي:

آ. الوصول الفوري للمصطلحات المتوفرة في بنك المصطلحات وتعرف المصطلحات الجديدة غير المتوفرة في البنك، ومن ثم التعامل معها بالعمل على وضع المصطلحات المقابلة باللغة التوطنية (عن طريق لجان من أصحاب التخصص العلمي والمترجمين والمصطلحيين).

ب. في حالة ارتباط بنك المصطلحات ببنوك المصطلحات العربية والعالمية، يمكن للقائمين على البنك المحلي الوصول إلى المصطلحات المتاحة لدى بنوك المصطلحات الأخرى ومقابلاتها للاستفادة منها، إما بتبنيها أو بوضع مقابلات أخرى (إن كان المتوفر يعاني من خلل فني أو علمي).

ج. اكتشاف التناقض والتكرار الذي يعاني منه بنك المصطلحات بصورة سهلة وسريعة. فعند الاستفسار عن مصطلح أجنبي ما، نجد جميع ما يتوفر من مقابلات لها في اللغة الوطنية (مثل المترادفات). وعند إدخال المصطلح باللغة الوطنية قد نجد أنه يقابل عدداً من المصطلحات الأجنبية. وهذا خلل علمي في مجال المصطلحات، حيث يجب أن يكون هناك مصطلح واحد للمفهوم الواحد. كل ذلك يستدعي المعالجة العلمية والمصطلحية، لتصحيح المشكلات أو تفسيرها.

د. التوثيق العلمي للمصطلحات وواضعيها ومعتمديها وتاريخ ذلك، إضافة إلى المعلومات الخاصة بمصادر المصطلحات وتاريخ هذه المصادر.

المستفيدون واحتياجاتهم

يشمل المستفيدون من بنوك المصطلحات فئات كثيرة من أهمها:

1. قارئ النصوص العلمية والتقنية: لاشك أن قارئ النصوص العلمية يحتاج أحياناً إلى فهم

المفاهيم العلمية المتخصصة ومصطلحاتها. وهذا يعني حاجته إلى شرح لهذه المصطلحات والمفاهيم التي تعبر عنها. وهو ما يتطلب وجود شرح أو تعريف بالمصطلح (يفضل أن يرافق ذلك معينات بصرية كالصور الثابتة والمتحركة والرسوم التوضيحية). أحياناً قد يحتاج القارئ إلى معرفة المقابل بلغة أجنبية (الإنكليزية أو الفرنسية مثلاً) ليفهم المصطلح باللغة العربية مثلاً. وأظن أن كل من قرأ نصوصاً مترجمة في مجالات علمية جديدة وجد الحاجة أحياناً إلى معرفة المصطلح الأجنبي ليفهم النص. وهو ما يفسر كتابة بعض المؤلفين والمترجمين في المجالات الجديدة خاصة المصطلح الأجنبي بجوار المصطلح العربي.

(من هنا نجد أن بعض الهيئات المشرفة على الترجمة تشترط وجود مسرد أجنبي - عربي وكذلك مسرد عربي أجنبي للمصطلحات الواردة في الكتاب المترجم).

2. **مترجم النصوص المختلفة:** لاشك أن كل من جرب ترجمة أي نص من لغة ما إلى أخرى سيحتاج إلى معرفة المقابلات العربية للألفاظ (المصطلحات خاصة)، وإلا اضطر إلى وضع مقابل عربي بصورة عشوائية (غالباً) أو إلى تعريب المصطلح (كتابة الكلمة الأجنبية بالحرف العربي).

(نود التنبيه هنا إلى دور المترجمين في وسائل الإعلام المختلفة في وضع مصطلحات كثيرة (قد لا تكون دقيقة) وانتشار هذه الترجمات على حساب ما قد يصدر من هيئات رسمية في وقت متأخر نسبياً، مثل "قمر صناعي" و"فاكس" و"انترنت"، مقابل "ساتل"، و"ذكاء اصطناعي" و"ناسوخ" و"شبكة"...).

يبدو أن هذه الفئة كانت من أهم أسباب إنشاء بنوك المصطلحات في كثير من دول العالم، وخاصة في المنظمات والبلدان الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات.

3. **مؤلف النصوص العلمية الحديثة:** يحتاج هذا المؤلف إلى معرفة المقابلات العربية الصحيحة للمفاهيم التي يحاول التعبير عنها في مؤلفاته. وهنا تكمن حاجته إلى الترجمات العربية المناسبة.

4. **هيئات المصطلحات والتقييس:** لاشك أن هذه الهيئات مثل مجامع اللغة العربية في الوطن العربي في حاجة ماسة إلى مصادر للمصطلحات العلمية والتقنية (بل وألفاظ الحضارة كذلك) المستجدة في اللغات المختلفة لإيجاد مقابلات عربية مناسبة لها. ونشرها على أوسع نطاق وبالسرية الممكنة. لذلك يحتاج هؤلاء إلى ما يلي حداً أدنى:

- تعرّف جميع ما تجمّع لديها نتيجة جهود السنوات الماضية (مع بيان تواريخ وضعها أو اعتمادها) في مكان واحد، بطريقة ميسورة وسريعة، وذلك إضافة إلى ما هو متاح من مصطلحات عربية من وضع الهيئات المحلية والعربية والدولية المختلفة (مثل الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها والاتحادات الدولية، بل وبعض الشركات العالمية الكبرى).

- تقييح المصطلحات المتوفرة لديها، مثل تعديل بعضها وحذف المكرر منها.

- الإحالات بين المصطلحات، خاصة المركب منها لتجنب التناقض فيما بينها أو إزالته، وهو ما يمكن توفيره في بنك المصطلحات الجيد التصميم.

- متابعة المستجدات من مصادر مختلفة (تشمل بنوك مصطلحات أجنبية) تستقصيها اللجان المتخصصة والمتعاونون معها من مَظانّها، مثل البحوث والدراسات والكتب الحديثة.

- وهنا لابدّ من معرفة المصطلحات ومحدداتها (تعريفها أو شروح لها باللغتين الأجنبية والعربية، مع التمثيل لاستعمالاتها أحياناً) حتى يتسنى للمصطلحيين إيجاد المقابلات العربية الصحيحة وفق أسس علمية.

(يجدر بالذكر أن علماء المصطلحية يرون ضرورة وضع المصطلح في سياقه العلمي، مثل ربطه بالمصطلحات المرتبطة به ومجالاتها، بوصفه جزءاً من تعريف المصطلح).

نحو إنشاء بنك عربي للمصطلحات:

في ضوء الاحتياجات المشار إليها آنفاً، يمكننا تقديم بعض المقترحات لإنشاء بنك عربي للمصطلحات، قد يكون مقره اتحاد مجامع اللغة العربية. وأود الإشارة هنا أن هذا لا يتعارض مع وجود بنوك محلية أو قُطرية، مع مراعاة التنسيق بين جهودها والتعاون المشترك بينها. وهو أمر

ميسور في ظل وسائل الاتصال الحاسوبية عن طريق الشبكة.

أولاً: مكونات بنك المصطلحات

لا تختلف هذه المكونات من الناحية التقنية عن أية قاعدة بيانات/معلومات. فهي تشمل:

أ. المكونات التالية:

1. ملف أو أكثر، بحسب الأغراض المطلوب تحقيقها، كما نشير إلى ذلك لاحقاً.
2. يشتمل الملف على سجلات records لكل مدخل معجمي.
3. يتكون السجل (المدخل) من حقول fields يحتوي كل منها على مكونات المحتوى اللغوي والمحتوى الإداري المذكورة لاحقاً.
- ب. برمجيات لتخزين البيانات، وتصنيفها، واسترجاعها بصورة تفاعلية، أي حسب رغبة المستفيدين من البنك.
- ج. روابط links بمواقع بنوك مصطلحات أخرى، ويختلف في هذا عن قواعد البيانات المعتادة.

ثانياً: المحتوى اللغوي

أ. المصطلحات العربية

1. المصطلح العربي، ومرادفاته إن وجدت.
2. تصنيف المصطلح وفق نظام معين (ديوي أو يودي سي) أو بيان مجال تخصصه.
3. مختصر المصطلح (إن وجد).
4. المصطلح بصورته الكاملة للمختصرات.
5. تعريف المصطلح.
6. شرح للمصطلح باللغة العربية، مع صورة ورسوم توضيحية للمصطلحات التقنية خاصة.
7. تمثيل لاستعمال المصطلح في سياق توضيحي إن أمكن.
8. الإحالة على المصطلحات ذات العلاقة الوطيدة موضوعياً ولغوياً، وخاصة المصطلحات المركبة.

9. مصدر المصطلح العربي، مع بيان درجة موثوقية المصدر إن أمكن.

10. تاريخ وضع المصطلح أو اعتماده من الهيئة أو الهيئات المختلفة.

ب. المصطلحات الأجنبية

1. المصطلح الأجنبي أو مختصرة (إن وُجد)

2. المصطلح الكامل للمختصر

3. مرادفات المصطلح إن وجدت، مع بيان مصادرها إن لزم الأمر

4. تعريف المصطلح الأجنبي أو مثال لسياق نصي لاستعماله

5. تحديد مصدر المصطلح وتاريخه، ودرجة موثوقيته إن أمكن

6. الإحالات المصطلحية إن وجدت (مثل المصطلحات ذات العلاقة)

(يجدر بالذكر أن التصنيف المذكور في (أ) ينطبق تلقائياً على المقابل الأجنبي ولغته).

ثالثاً: البيانات الإدارية

1. اللجنة أو الشخص المسؤول عن مراجعة المعلومات المدخلة

2. تاريخ تخزين المعلومة

3. تاريخ تحديث البيانات، إن حدث ذلك

4. المسؤول عن التحديث.

البحث واسترجاع البيانات

يجب أن يتيح بنك المصطلحات إمكان البحث فيه واسترجاع البيانات بصورة تفاعلية، تتيح

للباحث أن يقرر نوع البحث ومستوى عمقه، من حيث البيانات المطلوبة، مثلاً:

- المصطلح في لغة ما ومقابلاته في لغة أو لغات محددة (مثلاً المصطلح العربي ومقابلة بالإنكليزية أو الفرنسية أو بالعكس، أي البحث بالمصطلح بلغة أجنبية ما ومقابلاته بالعربية وبلغة أو لغات أخرى.

- المصطلح وتعريفه أو شرح معناه

- مختصر المصطلح (إن وجد)
 - المصطلح بصورته الكاملة للمختصرات
 - المصطلح بلغة ما ومرادفاته، إن وجدت
 - المصطلح ومصدره
 - المصطلحات في تخصص (أو تصنيف) معين، مرتبة ألفبائياً مع مقابلاتها بلغة أخرى.
- يبدو أن خاصية التفاعلية المشار إليها من ضمن التحسينات المهمة التي أجريت على بنوك المصطلحات القديمة المعروفة، طبعاً بإضافة الزيادة في المصطلحات واللغات (مثل يوروديكاتوم Eurodicautum التابع للاتحاد الأوروبي وبنك تيرميوم الكندي. وقد أصبح الأول IETB أي بنك المصطلحات الأوروبي التفاعلي. أما الثاني فيطلق عليه الآن تيرميوم بلس Termium Plus).
- (انظر الملحق بخصوص هذين البنكين).

الملفات الإضافية في بنك المصطلحات

- لاشك أن أي بنك للمصطلحات يجب أن يتصف بالتحديث المستمر لبياناته. وفي سبيل ذلك تحتاج إدارة البنك إلى ملفات إضافية، لعل من أهمها:
1. الملف الخاص للمصطلحات الجديدة التي تحتاج إلى وضع مقابلات لها وتوثيقها لتستفيد منها لجان المصطلحات الفنية في وضع المصطلحات العربية الجديدة. ويتاح لهذه اللجان التواصل مع بنوك المصطلحات العربية والأجنبية ذات العلاقة عن طريق الدخول المباشر إلى مواقع هذه البنوك (إن كان ذلك متاحاً) أو بالتواصل مع المسؤولين فيها.
- وهنا يأتي دور العلماء والباحثين المتعاونين مع بنك المصطلحات (لجان المجامع المتخصصة مثلاً والأساتذة الجامعيين)، في تزويده بما يصل إلى علمهم من مستجدات في مجال المصطلحات، وذلك من قراءاتهم للدراسات والمراجع الحديثة في تخصصاتهم.
- يجدر بالذكر أن بعض ناشري المعاجم لديهم مدونات خاصة لهذا الغرض، تسمى مدونة

المراقبة monitoring corpus، لمتابعة المستجدات المعجمية في اللغة وذلك بغرض الاستفادة منها في تحديث معاجمها المحوسبة والورقية.

2. ملف ملاحظات المستفيدين وإسهاماتهم بالمصطلحات الإضافية ومقابلاتها، وما شابه ذلك. وتخضع هذه لمراجعة إدارة البنك ولجانه الفنية للاستفادة منها وتحديث بيانات البنك في ضوءها.

الربط بين بنوك المصطلحات والمعاجم الإلكترونية

من المهام المفيدة لبنك المصطلحات توفير الروابط مع مواقع بنوك المصطلحات الأخرى العربية والعالمية لِيُيسَّرَ على المستفيدين الوصول المباشر إليها.

لمزيد من المعلومات، نورد في ملحق هذه الدراسة عدداً من الملاحق الفرعية، وتشمل:

أ. بنوك مصطلحات عربية مفتوحة

ب. بنوك مصطلحات دولية تشتمل على اللغة العربية

ج. بنوك مصطلحات عالمية متميزة

المراجع

- أحمد شفيق الخطيب. "حول توحيد المصطلحات العلمية"، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 44، 1997م.
- زين الدين حفار، واقع المصطلح العلمي العربي في وسائل الإعلام: الإعلام الجزائري نموذجاً، https://ahmedalawy.blogspot.com/2016/12/blog-post_43.html
- سعد بن هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2002م.
- عبد الرحمن بن عبد العزيز الفاضل، البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم). مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع47، 1999م.
- علي القاسمي، دور المصطلح العلمي العربي الموحد في تعريب التعليم العالي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع55، 2003م.
- محمد رشاد الحمزاوي، رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييمه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع90، 1999م.
- محمود إسماعيل صيني، بنوك المصطلحات الآلية (بنوك المعطيات المصطلحية)، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع48، 1999م.
- محمود إسماعيل صالح، فوضى المصطلحات في الكتابات العلمية العربية - الأسباب وحلول مقترحة، مجلة دراسات مصطلحية، فاس، المغرب، ع3، 2003م.
- محمود فهمي حجازي، دور المصطلحات الموحدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع47، 1999م.
- مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الإدارة العامة للمعلومات. باسم: البنك الآلي السعودي للمصطلحات العلمية، الرياض، 1432هـ - 2011م.
- نشرة إخبارية عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) عن أرابتيرم Arabterm.
- http://www.alecso.org/newsite-97/جميع-المقالات/news_alecso_2016/1340-8-12.htm
- نيكول زرزار (الجامعة الألمانية الأردنية) في مقالها بالإنكليزية عن دور أرابتيرم Arabterm في تقييس المصطلحات التقنية العربية.
- [https://repozytorium.ukw.edu.pl/bitstream/handle/item/4214/Towards a standardized technical Arabic can arabterm rise to the challenges.pdf?swquence=1.](https://repozytorium.ukw.edu.pl/bitstream/handle/item/4214/Towards%20a%20standardized%20technical%20Arabic%20can%20arabterm%20rise%20to%20the%20challenges.pdf?swquence=1)
- [http://sina.birzeit.edu/wp-content/uploads.2014/04/18.an-overview-of-the-ArabTem-project.pdf.](http://sina.birzeit.edu/wp-content/uploads.2014/04/18.an-overview-of-the-ArabTem-project.pdf)

الملاحق

آ. بنوك المصطلحات العربية المفتوحة

1. بنك المصطلحات التابع لمكتب تنسيق التعريب (الرباط)

يعتبر هذا البنك مستودعاً للمصطلحات العربية "الموحدة" أي التي تم الاتفاق عليها في مؤتمرات التعريب التي يعقدها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي خلال العقود الماضية. وهو ثلاثي اللغات: العربية والإنكليزية والفرنسية. www.arabization.org.ma.

يجدر بالذكر أن "دليل مكتب تنسيق التعريب: بنك المصطلحات العربية الموحدة لا يشير إلى النسخ الورقية للمعاجم الموحدة (صص 22-32). كما أود الإشارة إلى أنني لم أتمكن من الوصول إلى البنك المذكور في عدة محاولات في شهر فبراير، حيث نجد الإحالة دائماً إلى معجم أرابتيرم التقني (انظر: التعريف بأرابتيرم لاحقاً).

2. بنك باسم التابع لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض):

المكونات الأساسية لباسم:

أولاً: **المكون اللغوي**: المصطلحات العلمية والتقنية ومقابلاتها في أربع لغات (العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية)، غير أن ذلك لا يشمل جميع اللغات الأربع. فجميع المصطلحات لها مقابلات بالعربية والإنكليزية مع تعريفات لبعضها أو أمثلة سياقية لاستعمالها، ولكن بعضها فقط يشتمل على المقابلات الفرنسية والألمانية.

ثانياً: **المكون التوثيقي**: يشمل ذلك المعلومات المتعلقة بتصنيف المصطلح ورقمه وبمصادر المصطلحات بلغات مختلفة ودرجة موثوقية بعض المصطلحات، إضافة إلى المسؤول عن إضافة المصطلح ومقابلاتها وعن مراجع بيانات الإدخال وما شابه ذلك.

المرحلة التمهيدية لإنشاء باسم:

1. تم إجراء دراسة نظرية لأدبيات المصطلحات الآلية في العالم في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، عند إنشاء البنك المذكور.
2. قام فريق من الباحثين السعوديين بزيارة بنوك المصطلحات المعروفة في أوربا في أوائل الثمانينيات، والتي شملت البنوك التالية: بنك Eurodicautum (يوروديكاوتوم) التابع للاتحاد الأوروبي في لكسمبورغ، وبنك Normaterm (نورماتيرم) الفرنسي في باريس، وبنك المصطلحات العلمية التابع لوزارة الدفاع الألمانية في بون، وبنك TEAM التابع للشركة الألمانية العملاقة سمينز Siemens في ميونيخ، إضافة إلى زيارة مركز المعلومات المصطلحية infoterm (إنفوتيرم) في فينا، وكذلك المنظمة الدولية للمقاييس ISO في جنيف.
3. قام المشرف على مشروع بنك المصطلحات (د. محمود إسماعيل صالح الصيني) بزيارة لمجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وعمان، إضافة إلى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وإلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، بهدف جمع المعلومات والمراجع المعجمية المتعلقة بالمصطلحات العلمية.
4. تم التواصل مع الاتحادات والمنظمات العربية والدولية المتخصصة في المجالات العلمية والتقنية، مثل منظمة الصحة العالمية واتحاد الاتصالات الدولي والمنظمة العربية للزراعة وغيرها، للحصول على منشوراتها المعجمية التي تعنى باللغة العربية.
5. عقدت مدينة الملك عبد العزيز للتقنية (المركز الوطني السعودي للعلوم والتقنية، سابقاً) اتفاقيتين مع الناشر الألماني Klett وشركة سيمينز العملاقة للتعاون معهما في مجال المصطلحات العلمية، حيث تكفلت المؤسستان الألمانيتان بتوفير المصطلحات التقنية باللغتين الألمانية والإنكليزية، وتكلفت المدينة بتوفير المقابلات العربية لها.
6. أنشئ قسم في مكتبة المدينة مخصص للمعاجم العلمية والتقنية، إضافة إلى المراجع المعنية بالترجمة الآلية والعامة.
7. وُضعت الخطة التنفيذية لإنشاء "باسم" تشمل على تحديد الأهداف الخاصة وتحديد أنواع

البيانات اللغوية والتصنيفية والتوثيقية، مع تصميم نماذج إدخال البيانات (يسمى البعض "الجذاذات") اللغوية والتوثيقية اللازمة.

8. بدأ باسم بتخزين نحو 600 مصطلح باللغات المختلفة وفق النموذج المحدد. وتم تجريب النظام من زوايا التخزين (إدخال البيانات) وتصنيفها واسترجاع المعلومات، وذلك ليعرف المشكلات التنفيذية ومعالجتها.

9. بدأ تخزين البيانات، وتوفيرها للاستعمال الداخلي، وكان ذلك على الحاسوب المركزي للمدينة، مع استعمال المطارف terminals الثنائية اللغة.

10. في المرحلتين الثانية والثالثة تم تطوير برنامج التشغيل ل يتيح التعامل مع باسم عن طريق الحواسيب الشخصية، ثم ربط البنك بالشبكة ل يتيح الوصول إلى محتوياته عن طريقها في أنحاء العالم. (انظر مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومحمود صيني وعبد الرحمن الفاضل في قائمة المراجع)

محتوى (باسم):

نقرأ في النشرة التعريفية لبنك باسم بأن البنك "يحتوي على 475,000 سجلاً مصطلحياً في أكثر من 213 تخصصاً علمياً دقيقاً، ويأتي في مقدمتها الموضوعات التي تختص بها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ونجد في النشرة 22 حقلاً علمياً منها: "علوم الفضاء والطيران، علوم الطاقة، علوم الحاسوب... علوم الحياة... علوم طبية... علوم الهندسة...".

(انظر: "باسم" البنك الآلي السعودي للمصطلحات العلمية، مدينة الملك عبد العزيز والتقنية، الرياض 2011. كذلك نجد معلومات تفصيلية في مقالة عبد الرحمن الفاضل "المشرف على البنك في 1999"، في قائمة المراجع)

3. المعجم التقني التفاعلي للمصطلحات التقنية الموحدة

إن المعجم التقني التفاعلي ARABTERM بنك للمصطلحات التقنية أنشئ بالتعاون بين الأكسو والوزارة الاتحادية للتعاون الاقتصادي والتنمية في ألمانيا، ويتولى تنفيذ مكتب تنسيق

التعريب بالرباط والوكالة الألمانية للتعاون (GIZ). في نشرته التعريفية بمكتب تنسيق التعريب ونقرأ:

"يهدف هذا المشروع إلى إعداد قاموس إلكتروني موسوعي للمصطلحات مصنف حسب المجالات التقنية والقطاعات الصناعية المختلفة وبأربع لغات، هي العربية والألمانية والإنكليزية والفرنسية، ومتاح لجميع المستفيدين المحتملين مجاناً على العنوان التالي: www.araberm.org. وقد تم تصميم وتطوير موقع المعجم بشكل يجعله سهل المنال مستجيباً لاحتياجات المستفيدين باللغات الأربع؛ كما يتيح شكله التفاعلي التعديل المستمر في محتواه وإضافة مصطلحات مستعملة مما سيسهم بلا شك في توحيد المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والتقنية في العالم العربي.

رُتبت مواد المعجم التقني حسب المجالات التقنية والقطاعات الصناعية المختلفة. بالإضافة إلى اللغة الألمانية والإنكليزية والفرنسية، هذا القاموس التقني يحوي مقابلات للمصطلحات باللغة العربية، مشفوعة بتعريفات دقيقة وصور توضيحية. وبهذا يفوق العدد الإجمالي للمداخل 33,500 مَدْخَلاً (أي ما يعادل 134,000 مصطلحاً رباعي اللغة)... "دليل مكتب تنسيق التعريب: بنك المصطلحات العربية الموحدة، 2016، ص38-40".

جدير بالذكر أنه بدأ تشغيل بوابة المعجم على الشبكة في 11 مايو، 2010. وأطلق مشروع ARABTERM في شهر يونيو 2015 بوابة خاصة بالأجهزة المحمولة يمكن الوصول إليها انطلاقاً من معظم الهواتف واللوحات الذكية.. (دليل المكتب: ص 40)

تذكر نيكول زرزار من الجامعة الألمانية الأردنية أن معهد غوته والمركز الثقافي المصري الألماني والجامعة الألمانية الأردنية تسهم كذلك في مشروع أرابتيرم، كما تذكر أن المعجم لا يقتصر على المصطلحات العربية الموحدة بل تورد بعض المرادفات العربية المحلية (انظر مقالها بالإنكليزية عن موضوع تقييس المصطلحات التقنية العربية في قائمة المراجع).

ب. قائمة بأهم بنوك المصطلحات العالمية التي بها مصطلحات باللغة العربية

UNTerm (<http://unterm.un.org>).

FAQterm (<http://fao.org/gaoterm/en/>) FOA term portal

UNOGTerm (<http://conf.unog.ch/unogterm/>)

UNESCOTERM (<http://termweb.unesco.org/>)

ESCWA (<http://un.o/infrmation/infoconfres.asp>)

VINTRAS

UN Interoreters (<http://un-interpreters.net/glossaries.html>)

IUT (Telecommunications) Terms and Definitions (<http://itu.int.ITUR/index...>)

Microsoft Language Portal (<http://microsoft.com/Language/en-US/Default.aspx>)

Reverso (<http://dictionnaire.reverso.net>)

METEOTERM

<http://wmo.multicorpora.net/MultitransWebBase/Account.mvc/DirectAccess>

MINEFITEM (<http://minefitem.finances.gouv.fr/>)

ج. نماذج لبنوك ومعاجم متطورة للمصطلحات

1. أي أيه تي إي IATE: قد يكون بنك المصطلحات (قاعدة بيانات المصطلحات) هذا أكبر بنك للمصطلحات في العالم، حيث يشتمل على مصطلحات في 26 لغة (لغات دول الاتحاد الأوروبي). ويشمل موظفوه خبراء في التخصصات المختلفة ولغويين - مترجمين وعلماء المصطلحات). ويُورد أحدث إحصاء لمدخله أن له أكثر من مليون ومئة وأربعة وثمانين مدخلاً. أما عدد المصطلحات في تقارب الثمانية ملايين مصطلحاً. وهو بنك تفاعلي يتيح للباحث أسلوب البحث فيه، من حيث المصطلح ومقابلاته وحقول المعرفة التي يرغب في البحث فيها... إلى غير ذلك.

2. تيرميوم بلس **TERMIUM Plus®**: يعتبر هذا البنك الجهة الرسمية المسؤولة عن المصطلحات في كندا. ويذكر موقع بنك المصطلحات المذكور أنه "أحد أكبر بنوك المصطلحات

واللغة في العالم، حيث يعطيك معلومات عن ملايين المصطلحات في الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية. ويمكنك العثور على المصطلحات والمختصرات abbreviations والتعريفات وأمثلة الاستعمال في عدد كبير من الحقول المتخصصة. ويعتبر بنك المصطلحات هذا أداة ضرورية لفهم المختصرات الأوائلية acronyms وللتثبت من مسميات الوظائف الرسمية ومقابلاتها باللغات الأخرى..." وهو في صورته الأخيرة بنك تفاعلي يتيح للباحث أسلوب البحث فيه، من حيث المصطلح ومقابلاته وحقول المعرفة التي يرغب في البحث فيها... إلى غير ذلك. إضافة إلى ما سبق يقدم البنك المشورة في مجال الكتابة الرسمية كذلك (انظر موقع البنك).

3. بابلنت: يمثل بابلنت BabelNet أكبر معجم موسوعي يوفر معلومات معجمية وموسوعية للمصطلحات في 271 لغة وبه شبكة دلالية وأنتولوجيا للمصطلحات. وقد تم تطويره في قسم علوم الحواسيب بجامعة سابينزا في روما. انظر Roberto Navigli "A Quick Tour of Babelnet 1.1 وموقع الشبكة <https://www.babelnet.com/en/>.

في المقاربة المفهومية العنف - نموذجاً

أ. زهير قوتال

جامعة محمد لمين دباغين - قسم الفلسفة
الجزائر

مدخل:

إنَّ الاشتغال بالمفاهيم من حيث نشأتها وتكونها وسيرورتها وصيرورتها يعود لدورها العلمي والمنهجي في تطور مختلف العلوم وقطاعات المعارف والفنون، فالبحث في المفاهيم في مجالات الدراسات الاجتماعية والثقافية من شأنه أن يوقفنا على الكثير من الجوانب العلمية والتاريخية التي خلف هذه المفاهيم، وذلك من حيث كونها المحرك والفاعل الأساسي للمضامين العلمية والمعرفية والفنية. فمعرفة طبيعة المفهوم وكيفية تشكُّله ومجاليه ومآله، هي من بين المسائل والمباحث التي تشغل كل فلسفة أُريد لها أن تكون مبدعة، كما يشغل بها كل عالم له استراتيجية مسطرة وآفاق معلومة، ومن ثمَّ لا غرو إذا كانت المفاهيم مركز اهتمام وتفكير وتنظير الفلاسفة والعلماء على حد سواء.

وتأتي هذه المحاولة لتتطر في أحد المفاهيم الأساسية التي سادت وشاع استعمالها في الفكر العربي - الإسلامي المعاصر، والذي تأثرت فيه هذه الاستعمالات بالدراسات الفلسفية والسياسية التي أنتجها الفكر الغربي الحديث والمعاصر، حيث نُقل الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي أنشأها أساطين الفكر الغربي، إلى العالم العربي الإسلامي دون أن يأخذ الناقلون لهذه المفاهيم في حسابهم، اختلاف المجال التداولي الخاص لأصحاب هذه المفاهيم مع مجالهم التداولي العربي - الإسلامي؛ مما نتج عن هذا النقل الكثير من الإشكالات إن لم نقل الكثير من الآفات.

ويُعد مفهوم "Violence" من اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية، أحد هذه المفاهيم التي نقلت إلى الفكر السياسي العربي وأخذ له مكاناً معتبراً داخل هذا القطاع وساد استعماله في قطاعات كثيرة معرفية سياسية وقانونية وإعلامية.

من هنا ارتأينا أن ننظر في هذا المفهوم الغربي المنقول من جهة وفي المفهوم الذي وضع بإزائه في الفكر العربي الإسلامي المعاصر ألا وهو "العنف". ولما كانت هذه المقاربة هي مقاربة فلسفية فإنها تحاول أن تكون تقييمية لا تحقيقية كما هو الشأن في المقاربة العلمية، ذلك أن كل تقييم فلسفي ينبني على ما يجب أن يكون (أي مثالي)، بحيث يبقى النظر إلى الواقع أمراً عارضاً وتابعا له.¹

أولاً: المقاربة المفهومية

المجال التداولي الخاص

بداية وقبل الشروع في النظر في دَيْنِك المفهومين "العنف" و"Violence" نقوم ببيان الأسباب التي يقوم عليها المجال التداولي العربي الإسلامي وهي أسباب ثلاثة على أقل تقدير:

1. **الأسباب اللغوية:** معلوم أن اللغة من أقوى الأدوات التي يستعملها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد، وبقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفة للمخاطب، وموصولة بزاده من الممارسة اللغوية، فهما وعملاً يكون التبليغ أفيذ والتأثير أشد.²
2. **الأسباب العقدية:** لا تَقَلُّ الأسباب العقدية نهوضاً بمقتضى التواصل والتفاعل عن الأسباب اللغوية، فالعقيدة هي الأساس الأول الذي قامت عليه الممارسات التراثية.³

¹ طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط 1، 2006، ص 18.

² طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقييم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط 3، 2007، ص 245.

³ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

3. الأسباب المعرفية: من المعلوم "أن ما يتناقله المتخاطبون بواسطة لغتهم وما يتعاملون به بموجب عقيدتهم، هو جملة مضامين دلالية وطرق استدلالية تتسع بها المدارك العقلية في أنفسهم كما تنفتح بها آفاق العالم من حولهم، فلا تواصل ولا تفاعل في التراث إلا بالمعرفة المتوسلة باللغة والمبنية على العقيدة".¹

ومقتضى التداول هو أن الشعب الثقافية الثلاث للتراث السالفة الذكر، لا تستقيم بحسب طه عبد الرحمن، على أصول التراث العربي - الإسلامي حتى يتحقق العمل بها وفق ما ينفع الغير فضلاً على نفع الذات، ووفق ما ينفع الآجل، فضلاً على نفع العاجل. فمبدأ تداول العقيدة هو ممارسة الاعتقاد على مقتضى النفع المتعدي المزدوج، ولا ممارسة للعقيدة على هذا المقتضى إلا متى وافق القولُ الفعلَ وطابق الخطابُ السلوك.² ومبدأ اللغة هو ممارستها على مقتضى النفع المتعدي المزدوج، ولا ممارسة للغة على هذا المقتضى إلا متى استند المتكلم أو الكاتب في إفادة المخاطب أو المتلقي إلى الأساليب المقررة والمعارف المشتركة وإفادة الغير على قانون لسانه التي تعني العمل بأساليب العرب في التعبير والتبليغ.³ أما مبدأ تداول المعرفة فهو كذلك يقتضي ممارسة المعرفة على مقتضى النفع المتعدي المزدوج، ولا يتحقق هذا الفعل إلا إذا كان القصد من طلب العلم هو العمل به، وكان العمل به هو الباعث على طلبه أي إن أصل التداول هو عبارة عن تقدم العمل على النظر واستناد العقل النظري إلى العقل العملي.⁴

فالإخلال بهذه الأسباب الثلاثة يؤدي بالمشتغل بالتراث عموماً والمتفلسف خصوصاً إلى القلق التعبيري والقلق العقدي والقلق المعرفي، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون إذن تأصيل المفهوم على مقتضى المجال التداولي الخاص؟.

¹ المرجع نفسه، ص 246.

² المرجع نفسه، ص 254 وما بعدها.

³ المرجع نفسه، ص 256-257.

⁴ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

إن تأصيل المفهوم الفلسفي يقوم من خلال تزويد الجانب الاصطلاحي منه بجانب إشاري يربطه بالمجال التداولي للفيلسوف ووضعاً أو مستثمراً له، وعليه يكون القوام التأصيلي للمفهوم الفلسفي هو جانبه الإشاري الذي يربطه بالمجال التداولي للفيلسوف.¹

ومعلوم أن للقول جانبيين : جانب عباري وجانب إشاري؛ "الجانب العباري من المفهوم الفلسفي هو دلالة لفظه على المعنى الذي وضع له في الأصل، فتكون هذه الدلالة دلالة حقيقية".²

وتأصيل المفهوم الفلسفي هو تزويد الجانب الاصطلاحي منه بالمضمرات التي تربطه بالمجال التداولي لوضعه أو لمستثمره،³ وتنقسم العناصر التأصيلية المضمرة في وضع المفهوم الفلسفي واستثماره الى قسمين كبيرين:

أحدهما: العناصر التأصيلية المضمونية وهي جملة المضمرات الدلالية التي تتأصل بها الإمكانات الإشكالية للمفهوم الفلسفي.

ثانيهما: العناصر التأصيلية البنوية وهي جملة المضمرات العلاقية التي تتأصل بها الإمكانات الاستدلالية لهذا المفهوم.

فتأصل المفهوم يؤدي إلى نماء إمكاناته الاستشكالية والاستدلالية توسيعاً أو توليداً، فكل عمل تأصيلي لا تكون معه زيادة في المؤصل لا يعد تأصيلاً وإنما تجميداً.⁴

التأصيل المضموني

كل متفلسف يدخل في وضع المدلول الاصطلاحي لمفهومه الفلسفي ويجعل منه مصطلحاً له

¹ طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة** 2، القول الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط 1، 1999، ص 129.

² المرجع نفسه، ص 130.

³ المرجع نفسه، ص 131.

⁴ المرجع نفسه، ص 134.

إجرائية مستقلة، فإنه يستدعي، توسيعاً لمجال أسئلته وإشكالاته، جملة من العناصر الدلالية التي يمكن أن تثبت هذه الإجرائية وتظهر فائدتها؛ ذلك أنّ النظر في المفهوم يجب أن يكون نظراً استثنائياً في مرحلة المفهوم " ما قبل الاصطناعية أو قل ما قبل الاصطلاحية أي المرحلة التي يكون فيها اللفظ وليد الإدراك العام، المرحلة التي كان فيها هذا اللفظ لفظاً متسع الدلالة متعدد المحامل لا تدقيق واضح فيه وتحديد مما يؤدي إلى الخلاف والنزاع، وهي أمور تقتضي الاصطلاح والصلح بين المتخاصمين والتقريب بين المتنافرين.¹

وقد يعتبر واضح المفهوم هذه العناصر الدلالية جزءاً صريحاً من المدلول الاصطلاحي، وقد لا يعتبرها كذلك، مكتفياً بأن تكون سنداً من ورائه يتكئ عليه، بدءاً من اللفظ الذي يضعه بإزاء هذا المفهوم، فالمفهوم الحي هو كائن تتمثل حياته في تعالقه مع الكائنات الأخرى التي يتقوى بها ويتعزز، أو يتعارض معها ويتنافر، فيقع التدافع والتزاييل بينه وبينها ثم يصار بقاء الأصلح والأففع والأنسب أو ربما يتقارب معها ويتشابه، مما يترتب على هذا التقارب حصول وشائج وأوصال والتلاحق بينها جميعاً بوجه قد يثمر خيارات كثر تعود بالنفع على الناقل والمستعير، كما يمكن أن ينتفع بها الكائن الحي المنقول والمستعار نفسه.² فلأنّ هذا اللفظ ليس مخترعاً من عنده كما يخترع العالم أو الرياضي رموزه، وإنما يستعيّره من لسانه الطبيعي، فلا بد أن يكون لهذا اللفظ سابق دلالة وسابق استعمال؛ ولا سبيل لهذا المتفلسف إلى صرف هذه الدلالة وهذا الاستعمال حتى لو فرضنا أنه أراد ذلك، لأنهما لا ينفكان عن اللفظ كما لا ينفك الشيء عن نفسه، بل على العكس من ذلك يجد المتفلسف فيهما ما يمكنه من فتح الباب لمزيد من الاستشكالات الفلسفية؛ فيأخذ من هذه الدلالة السابقة كل السمات المعنوية القريبة والبعيدة التي يمكن أن يبني عليها العناصر الاصطلاحية في مفهومه، كما يأخذ من هذا الاستعمال كل السمات السياقية والمقامية الخاصة والعامة،³ التي يمكن أن يوسع بها دائرة تطبيق مفهومه،¹ من هنا قول جيل دولوز: "أن

¹ حمو النقاري، أبحاث في فلسفة المنطق، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2013، ص 20.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ المقصود بالسياق هو القرائن القولية، أما المقام فهو القرائن الحالية.

لكل مفهوم تاريخ². وقد تكون الدلالات والاستعمالات التي يستعين بها الفيلسوف في وضع مفهومه أوهي من النوع الاستثمار الحسي أو العقلي، وأكبر مثال على هذه الممارسة التأصيلية في استثمار الدلالات والاستعمالات للألفاظ هو الفيلسوف الألماني هيدغر (اللغوس مثلاً Logos).³ إن هذه الآثار المضمرة - الجانب الإشاري - التي لا يخلو منها أي مفهوم مستمدة من اللغة الطبيعية حتى وإن وصل إلى أعلى درجات التجريد، فمن الممكن أن يُشكل هذا الجانب الإشاري قواماً منسياً تتقوم به الذات الإنسانية بقطع النظر عن مجالها التداولي الخاص وعن تاريخها الذي اختصت به وتقردت⁴.

التأصيل البنوي

المقصود بالتأصيل البنوي هو التوصل بالمضمرات البنوية في تأصيل الإمكانات الاستدلالية للمفاهيم، وهو الذي يحصل منه النماء الاستدلالي للمفهوم، وذلك بناء على إدماجه في علاقات تمتد جنورها في المجال التداولي الخاص بهذا الفيلسوف واضع المفاهيم.

فالمفلسف يسعى جاهداً في إيجاد ما أمكن من الطرق للانتقال بين مفاهيم، سواء كان هذا الانتقال تنسيقاً أو تشقيقاً، والتشقيق أقوى في التفلسف من التنسيق، وتشقيق الكلام يتم عبر ثلاث طرق، حيث كل واحدة منها تورث نوعاً متميزاً من تأصيل الطرق الانتقالية وهي: الاشتقاق والمقابلة والاحتقال (من حقل).

أولاً: **التأصيل الاشتقاقي**: أن الدلالة الاشتقاقية هي جملة الإشارات المضمرة التي تُستمد من الصيغ الصرفية التي تبنى بها الألفاظ فيكون حد التأصيل الاشتقاقي هو الاستناد في بيان مدلول اصطلاح ما إلى المضمرات اللازمة عن صيغته الصرفية بما يجعله مستوفياً لشرط التداول

¹ فقه الفلسفة 2، ص 134.

² Gilles Deleuze et Félix Guattari, Qu'est ce que la philosophie ? éd Minuit, Paris, 1991, p23.

³ Martin Heidegger, essais et conférences, éd. Gallimard, Paris, p249.

⁴ أبحاث في فلسفة المنطق، مرجع سابق، ص 21.

اللغوي للمشتغلين به وينمي قوته الاستدلالية على مقتضى التشقيق.¹

ثانياً: التأصيل التقابلي: هو الاستناد في بيان مدلوله الاصطلاحي إلى المضمرات غير المباشرة اللازمة عن توسط نظائره، سواء أكانت أضعافاً أم أمثالاً، توسطاً يقوم بشرائط التداول اللغوي والمعرفي للمشتغلين به وينمي قوته الاستدلالية التشقيقية.² وعليه فإن التقابل نوعان تقابل عنادي أو قل طباقي وهو الذي تتدرج فيه الأضداد، وتقابل وفاقي وهو الذي تتدرج فيه الأمثال أو قل الأشباه. ولما كان التقابل ذا صبغة بنيوية فإن الإشارات الإضمارية التي يورثها هذا التقابل تكون من الصنف الاستدلالي، ثم لما كان المتقابلان (النظيران) يتوسط أحدهما بالآخر، فإن هذه الإضمادات الاستدلالية تكون من الصنف الاستدلالي غير المباشر.³

ثالثاً: التأصيل الاحتقالي: إن فعل احتقل على صيغة افتعل من الفعل حقل أي زرع ومنه الاسم الحقل، فيكون معنى احتقل أي اتخذ الحقل، والاحتقال هو اتخاذ الحقل، والحقل بمعنى الأرض المزروعة ويفيد معنى النطاق ومعنى الحد المحيط، والمعنى الذي يفيد هو الإثمار أو الإنتاج الذي يفيد معنى الزرع، فيكون مجمل المدلول الاصطلاحي للاحتقال هو اتخاذ نطاق منتج وعليه يكون التأصيل الاحتقالي للمفهوم الفلسفي هو تزويده بحقل مفهومي يضرب نطاقاً على مفاهيم مخصوصة ينتج بعضها من بعض بعلاقات استدلالية مضمرة تنمو على مقتضى شرط التداول المعرفي للمشتغلين لهذا المفهوم.⁴

من هنا يمكن أن نفهم قول دولوز في ما يخص وجود المفهوم الفلسفي على مقام المحايثة أو قل المواجهة أين يتعالق ويتجاسر مع جملة من المفاهيم.⁵

¹ فقه الفلسفة 2، مرجع سابق، ص 245.

² المرجع نفسه، ص 150.

³ المرجع نفسه، ص 150.

⁴ المرجع نفسه، ص 156.

⁵ Le plan d'immanence , voir Gilles Deleuze , op.cit.P38.

ثانياً: في مفهوم العنف

الطابع الإشكالي لمفهوم العنف

بعد ما فرغنا من تبيان الطرق التي يجري على أساسها التأصيل للمفهوم الفلسفي وضعاً أو استئثاراً ندخل الآن إلى مدار حديثنا في هذه المقاربة وهو مصطلح العنف وهو اللفظ الذي وضع من طرف المفكرين العرب المحدثين في مقابل الألفاظ الأجنبية "Violence" في اللغتين الفرنسية والإنكليزية، "Gewalt" غيفالت في اللغة الألمانية.¹

إن هذه المفاهيم الأجنبية تشكلت تدريجياً في المعاجم اللغوية، وكذا في الدراسات والاختصاصات الفكرية والميدانية التي تناولتها، حيث انفصل هذا المبحث (أي مبحث la violence) في الدراسات المعاصرة وإلى حد ما في الدراسات الحديثة عن مجال الطبيعة والآلهة، وأصبح يُعرف باعتباره ظاهرة خاصة بالإنسان ككائن اجتماعي يتفاعل مع غيره ضمن صراعات خاصة وتجاذبات اجتماعية واقتصادية وسياسية.

ويعود اللبس الذي أحاط بمحاولات التعريف لهذا المصطلح بحسب الدارسين في هذا المجال، إلى أمرين اثنين على الأقل:

أحدهما: تعدد دلالات المفهوم وتنوع المضامين التي تشير إليه.

ثانيهما: اختلاف المنطلقات والقطاعات المعرفية التي تناولت مبحث la violence، حيث يمكن أن ننظر إليه من جوانب متعددة.

- الجانب النفسي Psychologique: إن فعل Violence هو تعبير عن انفعال أو انفجار للقوة ويتخذ شكلاً لا يخضع لحكم العقل فيظهر في سلوك عدواني.

- الجانب الأخلاقي: يُعرف La Violence على أنه اعتداء على ملكية الآخر وحرية.

- الجانب السياسي: فإنه يعرفه باعتبار استعمال القوة بغية الاستيلاء على السلطة أو الحفاظ

¹ علي بن مخلوف ومحمد الصغير جنجار، مفردات الفلسفة الأوروبية، الفلسفة السياسية، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 1، 2012، ص 199.

عليها أو استغلالها في تحقيق أهداف مشروعة.

المعنى اللغوي للفظ Violence

إن لفظ Violence أو Viole وفعل violer و violation مصدرها الفعل اللاتيني VIOLARE ومن الاسم Violentia والمشتقان بدورهما من اللفظ اللاتيني Vis تعني بحسب المعاجم La Violence - La Force، من هنا يتبين لنا أن كل من Force أي القوة، و Violence يشتركان من حيث مصدرهما وأصلهما الاشتقاقي من اللفظ Vis اللاتيني؛¹ وبناء عليه (ووفق قاعدة التأصيل المضموني) فإن أي محاولة لوضع تعريف لمعنى Violence فلا بد أن يستدعي معنى Force أي القوة الذي يشترك معه في المصدر؛ والقوة يمكن أن تكون قوة جسدية مادية ويمكن أن تكون معنوية نفسية، وإذا كان الأمر كذلك فإن لفظ Violence يستدعي معنى ممارسة أو قل فعل القوة، ولا فعل إلا بازاء الآخر سواء كان الآخر إنساناً أو حيواناً أو جماداً.

وعليه فإن معنى Violence يحمل معنى المواجهة مع الآخر أي إن هناك علاقة قوة بين طرفين لغاية ما، أي أن فعل القوة وممارستها في مواجهة الآخر هو فعل لتحقيق هدف أو غاية ما، وقد تكون هذه الغاية محمودة أو منبوذة، وقد تكون الغاية من استعمال القوة تجاه الآخر بقصد مادي معنوي أي قد تكون قصد إلحاق الأذى بالآخر والضرر بممتلكاته، وتستعمل في هذه الحالة قوة اليد أو بتعبير آخر "المقمعة"، لإلحاق الأذى الخلقي بالغير. وقد تكون بحمله وإكراهه على فعل شيء أو منعه عن فعل شيء آخر وقد يستعمل فيه اللسان لإلحاق الضرر المعنوي أو قل الخلقي بالآخر.

وإذا جئنا إلى الألفاظ التي تدخل في مجاله المعجمي أو الدلالي فإننا نظفر بجملة من الألفاظ وعلى رأسها L'agression التي يمكن ترجمتها بالاعتداء وكذلك من نفس الجذر L'agressivité العدوانية، فكل عدوان هو Violence أي ممارسة القوة على الآخر قصد إلحاق الأذى به أو

¹ المرجع نفسه، ص 199.

بممتلكاته، ولكن ليس كل Violence عدوان، لذا فإن Violence تستدعي لفظ أو قل مفهوم العدو L'ennemi.

كذلك هناك لفظ أو قل فعل transgresser والذي يفيد معنى انتهك وخرق، ثم لفظ Conflit بمعنى الصراع أو النزاع، وكذلك لفظ Hostilité الذي يفيد معنى العداوة، ولفظ Rivalité بمعنى المنافسة و Brutalité الوحشية، ولفظ cruel الذي يفيد صفة القساوة أو القسوة وكذلك لفظ Tyrannie الذي يفيد معنى الاستبداد والطغيان، كل هذه الألفاظ والمصطلحات والمعاني التي تحملها تدخل في ما يمكن أن نسميه بالمقابلات الوفاقية.

أما المقابلات الطباقية فهناك عدة ألفاظ أو قل مصطلحات أولها مفهوم La Tolérance والذي تُرجم في بداية الأمر بلفظ التساهل ثم التسامح مع الكواكبي؛¹ كما يمكن أن نترجمه بمعنى اللين وقد حمل هذا اللفظ Tolérance بفضل الاستعمالات معنى اللامبالاة L'indifférence.

كما أنّ هناك مصطلح أو لفظ L'indulgence الذي يفيد معنى التساهل كذلك ويفيد معنى غرض الطرف والتماس العذر. ثم هناك لفظ اشتهر في استعماله المتأخر في مقابل La Violence هو لفظ Le Respect الذي يفيد معنى الاحترام أي احترام الآخر في اختياراته الفكرية أو العقدية.

مفهوم العنف:

لغة: العنف لفظ على وزن فُعْلُ وخصوصية هذا الوزن هو الدلالة على الوحدة في لزوم طبيعي أو آلي.² والعنف على ما جاء في المعاجم العربية هو ضد الرفق وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، والعنف الشديد من القول والشديد في السير، وقولهم عَفَفَ تعنيفاً بمعنى عَيَّرَ ولَأَمَ وويَحَّ بالتقريع (أي العنف الكلامي أو المعنوي). واعتنف الأمر إذا أخذه بشدة وبعنف، واعتنف تفيد

¹ رضوان السيد، مسألة التسامح في كتابات العرب المحدثين والمعاصرين، مجلة التسامح العدد الأول، 2003، ص 57.

² عبد الله العلياني، مقدمة لدرس لغة العرب، دار الجديد، بيروت، ط 2، 1997، 119.

معنى الابتداء أو قل البدء بالأمر وكذلك تفيد معنى الكره فتقول اعتنف الشيء إذا كرهه.

والعُنف - بضم العين والنون - يعني الغلاظة والصلابة. ومما تقدم فإن لفظ "عنف" يفيد جملة من الدلالات وهي الشدة والتعبير واللوم والتوبيخ والخرق والابتداء والكره والصلابة والغلظة.¹

ومن خلال هذه المعاني والدلالات المضمونية الموسعة لمعنى العنف يمكن أن نُعرّف العنف بأنه ممارسة فيها شدة وغلظة تُخرق بها حدود الغير، وقد تكون هذه الممارسة قولاً أو فعلاً، أو بتعبير آخر، العنف هو استعمال للشدة والغلظة والإكراه تجاه الغير سواء بالقول أو بالفعل.

وإذا جئنا الآن إلى المقابلات الوفاقية للفظ العنف، فإننا نجد لفظاً من نفس الجذر "العنفوان" وهو على وزن فعلوان وخصوصية هذا الوزن هو الدلالة على الأول من الوصف والأقدم من الوصف أيضاً،² وعليه يكون معنى العنفوان هو أول العنف أي أول الشدة ولهذا يقال عنفوان الشباب وعنفوان البنات أي بدايته وأوله، كما أن لفظ عنفوان يفيد معنى الحدة في الشيء فيقال عنفوان الخمر أي حدتها.³

ومن الكلمات التي تدخل في مقابلاته الوفاقية لفظ الدفع ومعناه الإزالة بالقوة، فقولنا تدافع القوم أي دفع بعضهم بعضاً والدفاع مصدر دافع الرباعي وهو يفيد المشاركة في الدفع وهو الذي يفيد معنى الضرب باليد للإقصاء عن المرام وهو ذبٌّ ومنعٌ عن مصلحة الدافع،⁴ وهو المعنى الذي جاء في قوله تعالى في سورة الحج [40]: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَطَعَنُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾. فالدفاع هنا هو ما أودعه الله في الإنسان من القوة الشهية لبقائه وبقاء نوعه، والقوة

¹ تاج العروس مجلد 24، ص 186-189 ولسان العرب المجلد 9، ص 257-258 ومختار الصحاح، ص 192.

² الشيخ عبد الله العلي، مرجع سابق، ص 199.

³ انظر لسان العرب ومختار الصحاح وتاج العروس، مرجع سابق، ص 505.

⁴ الطاهرين عاشور، تفسير التنوير والتحرير، دار سحنون، تونس، دون تاريخ ودون تاريخ، المجلد 2، ص 505.

الغاضبة لردّ المفرط في طلب النافع لنفسه لأجل استبقاء بقية الأنواع.¹

وقد ارتبط معنى الدفاع بالغاية منه وهو إزالة الفساد في الأرض فقد جاء في آية أخرى قوله تعالى في سورة البقرة [251]: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فالآيتان جاعتا في معرض الامتنان الذي منه الله على عباده، على الإنسان، فقد أودع الله فيه قوة الدفع أي العنف وبواعثه، ولولا هذه النعمة، القوة والملكة والغريزة لفسدت الأرض ومن عليها واختل النظام الذي هو قوام المجتمعات والأمم والحضارات.

وعلى أساس هذا المعنى يكون الدفاع أو الدفع كممارسة للعنف قَصْدَ حِفْظِ توازن العمران البشري، هذا فضلاً على أنه قانون عام يشمل المملكة الحيوانية التي تشملها إرادة البقاء هي الأخرى.

وعليه يكون العنف في هذه الحالة هو درء الفساد بالحرب، والحرب أعلى وأرقى أشكال العنف واستعمال القوة تجاه الآخر الذي أفسد في الأرض وطغى وأهلك الحرث والنسل، أي إن العنف يكون في هذه الحالة في مواجهة الفتنة كما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة [191] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ وقد يقع درء الفساد ولجم الفتنة من غير الحرب، والقتل، فتكون بالمدافعة الفكرية والحوارية أي بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة.

ومن المقابلات الطباقية لمعنى العنف، الرفق والتسامح والتساهل واللين والعفو.

فكلمة التسامح التي شاع استعمالها في مقابل العنف من الجذر "س م ح" والتي تقيد الجود والعطاء، والسامح والسماحة هي الجود.² والمسامحة هي المساهلة، فقولهم تسامحوا أي تساهلوا،³

¹ المرجع نفسه ج 2، ص 505.

² أنظر لسان العرب، ج 2، ص 449-450.

³ أنظر مختار الصحاح، ص 131.

..... في المقاربة المفهومية، العنف - نموذجاً

وسَمَحَ سَمَحاً وسَمَاحَةً وتقيد معنى اللين والتساهل وتقيد معنى العفو عند المقدرة وهو يدخل في معنى الجود والعطاء والإيثار.

وعليه في الأخير يكون العنف هو استعمال القوة في القول أو في الفعل قصد إلحاق الأذى بالغير أو إيقافه والحد من تصرفاته. والقوة بمختلف معانيها لا تصير عنفاً إلا عندما تكون أمام وضعية صراع ونزاع وخصومة تُمارس فيها بشكل إرادي واع أفعال قوية من طرف أو عدة أطراف ضد طرف آخر أو أطراف أخرى، سواء بغرض إلحاق الأذى به أو الحد من حريته أو الاعتداء عليه والضرر بمصالحه وممتلكاته وأمنه، وهو في هذه الحالة عدوان أي العنف المنبوذ (السلبى) وهو مصدر الفتنة والفساد في الأرض.

أما إذا كان القصد من استعمال هذه القوة هو الحد من تصرفات الآخر المعتدي ومنع عدوانه وإيقاف فتنته ونشره للبلبله، فإن في هذه الحالة يكون العنف دفاع ومدافعة وقد سماه القرآن الكريم في آياته أخرى بالجهاد في سبيل الله وهو بذل الجهد المادي والدفع بالنفس لمنع الظلم وتحقيق العدل والخير وإن لاقت هذه النفس حتفها. والقتال بين الناس نوعان بحسب أسبابه، النوع الأول وهو المتعارف بين البشر منذ أن أصبحوا أما وتشكلوا شعوباً وقبائل، هو القتال للتسلط أو للغنيمة أو التشفي أو توسيع رقعة المملكة واستغلال الغالب لوطن المغلوب. وهو قتال منبوذ لأنه قتال بَغْيٍ وعدوان وليس لدفع الفتن وكفّ الظالم ونصرة المظلوم، فأسباب الحرب هنا ليست لها غايات إنسانية ولا مقاصد شريفة، وهي الحرب التي ينبذها الإسلام.¹ أما النوع الثاني وهو الذي سماه الإسلام بالجهاد وهو قتال المعارضين لدعوته الواقفين في سبيلها بعد تبليغهم الدعوة وتمكينهم من النظر فيها بالعقل والروية وإمهالهم المدة الكافية لذلك، فإن لم يقبلوها بعد ذلك ولم ينفقوا في طريقها تركوا لسبيلهم ن فالنص القرآني واضح وقاطع في هذا الشأن "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، وإنما الواجب في الإسلام هو التبليغ والبيان؛ وإن لم يقبلوا دعوة الإسلام ووقفوا في طريقها يصدون الناس عنها بالكلام أو التحريض وجب في حكم الإسلام قتال

¹ آثار البشير الإبراهيمي، إشراف الطالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997، ج 4، 363.

من تصدى لهذه الدعوة بالمنع والحرب والقوة،¹ فالأمر هنا متعلق بالفتنة أي فتنة الدين وحرية الاختيار والفتنة أشد من القتل - العنف، ذلك أنّ العنف الرمزي أخطر بكثير من العنف المادي، فالأول هو من يسبب الثاني، فالحرب في الإسلام لا شك أنها مفسدة لا ترتكب إلا لدفع مفسدة أكبر منها وأخطر من مثل العبودية وتعطيل العقول² والاستبداد. فأعظم المفاصد العنف المعنوي أو قل العنف الرمزي كالسلب لحرية الناس ومنعهم من اختيار عقائدهم وآرائهم وأفكارهم، وهو الأمر الذي يؤدي إلى فتنة الدين وفتنة حرية الاختيار وفتنة الاستبداد

¹ المرجع نفسه، ج 4، ص 363.

² المرجع نفسه، ج 4، ص 364.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان دون طبعة ودون تاريخ، جذر العنف وسمح
3. المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت المجلد 24
4. حمو النقاري، أبحاث في فلسفة المنطق، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2013.
5. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.
6. رضوان جودة زيادة، خطاب العنف، مجلة دراسات عربية، العدد 01، 02 السنة 35، 1998.
7. رضوان السيد، سياسيات الإسلام المعاصر، دار الكتاب العربي، بيروت ط 1، 1997.
8. رضوان السيد، مجلة التسامح، العدد 01 شتاء 2003، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
9. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المجلة 01، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون تاريخ، دون طبعة.
10. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط 3، 2005.
11. طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي بيروت، دار البيضاء، ط 1، 2006.
12. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة 2، القول الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 1999.
13. عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، دار الجديد، بيروت، ط 7، 1997.
14. علي بن مخلوف ومحمد الصغير جناح، مفردات الفلسفة الأوروبية، الفلسفة السياسية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت ط 1، 2012.
15. علاء اللامي، خرافة العنف العربي، وآلية مسخ الضحية جلد، مجلة دراسات عربية، العدد 1، 2، السنة 36، نوفمبر - ديسمبر 1999.
16. آثار البشير الإبراهيمي، إشراف الطالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997، ج 4.

المراجع باللغة الفرنسية

1. Gilles Deleuze et Félix Guattari, Qu'est ce que la philosophie? éd Minuit, Paris, 1991
2. Martin Heidegger, essais et conférences, éd. Gallimard, Paris, 1958.

مشكلات في معنى مفهوم الذاكرة وأصولها وترجمتها

أ. أحمد محمد جواد الحكيم

باحث أكاديمي عراقي

الذاكرة هي من ضمن المفاهيم الأساسية في علم النفس، التي انتشرت وشاعت في مجالات أخرى، وبين عامة الناس، مع أن معناها لم يكن كذلك في الأزمنة القديمة عند العرب، وهذا الأمر أدى إلى حصول غموض وإرباك وتعدد في معناها الحالي. فضلاً على ذلك حدث خلط وتداخل بينها وبين مفاهيم أخرى ذات صلة بها مثل التذكر، الذكرى، الاستدعاء، الاحتفاظ. لكننا لن نبحث في هذه الدراسة عن طبيعة عمل الذاكرة، ولا عن خصائصها وأمراضها ونحوها، إنما سنبين معنى كلمة "الذاكرة" الأصلي، وكيف تحوّلت، في عصرنا الحالي إلى معنى آخر. كما سنتعرض للاختلافات العديدة في تعريفاتها وموقعها في الدماغ، وأصنافها المتعددة، والمفارقات التي حصلت في أصول الكلمات الأجنبية: memory، memorize، remember، التي سنبين الخلط والتداخل في ترجمتها وترجمة غيرها من الكلمات المتصلة بها، إلى اللغة العربية.

أولاً: لا وجود لكلمة "ذاكرة" في معاجم اللغة العربية القديمة

من الغريب، أننا لا نجد كلمة "ذاكرة"، بصيغة مباشرة، في معاجم اللغة العربية القديمة، مثل: التهذيب، المحيط في اللغة، المحكم والمحيط الأعظم، مجمل اللغة، القاموس المحيط، العين، مقاييس اللغة، الصحاح، أساس البلاغة، العباب الزاخر واللباب الفاخر، المصباح المنير، لسان العرب، تاج العروس، جمهرة اللغة. عوضاً عن ذلك، وردت اشتقاقات عديدة من مادة الذكر، كما جاء في تاج العروس: يذكره، التذكّار (بالفتح)، نكرت، نكره، ذكراً، ذُكرًا، الذكرى (بالكسر)،

الدُّكْرَة، استذكره، التذكير، التذكرة، الاستذكار.

كذلك لا نجد كلمة "الذاكرة" في عدد من كتب التراث مثل: رسائل أخوان الصفا، تحصيل السعادة لأبي نصر الفارابي، مقدمة ابن خلدون، المقابسات.

لكنْ هناك عدد آخر من كتب التراث قد ذكرت هذه الكلمة مثل الشفاء لابن سينا وكشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بحر الجواهر، الوافي بالوفيات، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، نزهة الخواطر وبهجة المسامع، أعيان العصر وأعوان النصر، نفح الطيب. كان هذا الواقع الأمر المثير الأول. الثاني، أن القرآن الكريم، وهو سابق لتلك المؤلفات، قد أورد كلمة "ذاكرات"، في آيات منه. الأمر الثالث، أن كثيراً من الشعراء سواء الذين سبقوا مؤلفي الكتب السابقة أو معاصريهم أو الذين جاؤوا بعدهم، قد تضمنت قصائدهم كلمة الذاكرة، مثل: عمر بن أبي ربيعة، جرير، بشار بن برد، ابن الرومي، سبط ابن التعاويذي ابن نباتة المصري. الأمر المثير الرابع، هو أن بعض معاجم اللغة العربية المعاصرة، لا تشير إلى كلمة الذاكرة، مثل: معجم متن اللغة، على حين معاجم معاصرة أخرى ذكرت هذه الكلمة لكن بمعنى جديد مثل: المعجم الكبير، محيط المحيط، معجم اللغة العربية المعاصرة، المنجد، المعجم المدرسي، المعجم الوسيط.

ثانياً: المعنى الأصلي لكلمة "ذاكرة"

إن كلمة "ذاكرة" وجمعها "ذاكرات" أو "ذواكر" التي وردت في كتابات قديمة، ذكرت معناه الأصلي أكثر معاجم اللغة العربية الحديثة، كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، على سبيل المثال: ذاكرة (مفرد)، صيغة المؤنث لفاعل ذَكَرَ.¹ وعن معنى ذَكَرَ يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: ذَكَرْتُ الشيء، خلاف نسيته، ثم حُمل عليه الذُّكْر باللسان.² كما شرح الجوهري في الصحاح معنى ذَكَرَ أيضاً بقوله: ذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني وبقلبي،

¹ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 813.

² عبد السلام هارون، معجم مقاييس اللغة لأبن فارس، ج 2، دار الفكر، القاهرة، 1979، ص 358.

وتذكرته.¹ يوضح ذلك أكثر، الزبيدي في تاج العروس بقوله: ذَكَرْتُ حديث كذا وكذا أي قلته له وليس من الذكر بعد النسيان... والذَّكَر يقال لحضور الشي القلب أو القول. ولهذا قيل الذَّكَر ذِكْران ذِكْرٌ بالقلب وذَكَرَ اللسان.² مما تقدم، يكون معنى كلمة "ذاكرة" هو استحضار عقلي لشيء ما تقوم به الأنثى، بمعنى أنها غير ناسية، حافظة له في ذهنها وتستطيع استرجاعه متى شاءت أي لا يغيب الأمر عن ذهنها، هذا الاستحضار قد يكون في اللسان، أي التلفظ بالشيء وقوله، أو يكون إحضاره في الذهن فحسب، لكن دون التلفظ به. لا بُدَّ من الإشارة، أنه من الصعوبة أحياناً الفصل بين حالتي الاستحضار المترابطتين السابقتين، لأن كلمة "ذاكرة" قد تأتي، مجردة، مبهمة، لا تُبين بوضوح عن المراد من المعنى، هل هو ذهني فقط، أم باللسان أيضاً. من الأمثلة، على استعمال "ذاكرة" بمعناها الأصلي، هو ما ورد في القرآن الكريم، عن كلمتي "ذاكر" و"ذاكرة" بصيغة الجمع المعرّف للمذكر والمؤنث، بقوله تعالى: "وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (الأحزاب/35). فضلاً على ذلك فقد وردت كلمة "ذاكرة"، بمعنى امرأة غير ناسية أي تتذكر، في قول سبط ابن التعاويذي:

هَلْ أَنْتِ يَا لَمِيَاءَ ذَاكِرَةٌ عَلَى شَحَطِ النَّوَى عَهْدَ الْوَفِيِّ الذَّاكِرِ³
الشحط: الأثر.

أو قول جرير بذات المعنى:

هَلْ أَنْتِ ذَاكِرَةٌ عَهْدًا عَلَى قَدَمِ أُسْقِيَتْ مِنْ سَبَلِ الْغُرِّ الْمَبَاكِيرِ

السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الأرض. الغر المباكير: السحب البيضاء.⁴ المعنى ذاته جاء في قول ابن الرومي مادحاً الوزير إسماعيل بن بلبل، مستعملاً كلمة "ذاكر"

¹ عبد الغفور عطار، الصحاح للجوهري، مج 2، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 665.

² عبد الكريم العزباوي، تاج العروس للزبيدي، ج 11، وزارة الإعلام، الكويت، 1972، ص 376.

³ د.س. مرجليوت، ديوان سبط بن التعاويذي، المقتطف، القاهرة، 1903، ص 166.

⁴ كرم البستاني، ديوان جرير، دار بيروت، بيروت، 1986، ص 193.

جمعاً لذاكرة:

والنائبات لمن نسيت ذواكر¹ لكنهن لمن ذكرت نواس¹
النائبات: اللواتي يحملن المصائب.

وكمثال على كلمة "ذاكرة" بمعنى قائلة أي النطق باللسان لأشياء تعرفها الأنثى من الناس وتذكرها، هو قول عمر بن أبي ربيعة مخاطباً محبوبته:

ألم تعلمي ما كنتُ آليتُ فيكمُ وأقسمتُ لاتحكين ذاكرةً باسمي²

أو قول ابن نباته المصري:

ذاكراتٌ جميلٌ صنعك عندي بقوافٍ بها الركائب تحدى³

وقد ذكر قسمٌ من العلماء العرب والمسلمين، مفهوم الذاكرة بمعناها الأصلي، أي غير ناسية، تتذكر، وهي وصف للنفس الإنسانية، كما جاء في كتاب الشفاء لابن سينا (توفي 427هـ): القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة... تحفظ ما تدرکه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية.⁴ كذلك ذكرها الهروي (توفي 949هـ) في بحر الجواهر بقوله: الحافظة هي قوة تحفظ ما تدرکه القوة الوهمية من المعارف فتذكرها ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.⁵ وأيضاً التهانوي (توفي 1158هـ) في الكشف بقوله عن الحافظة: عند الحكماء قوة تحفظ ما يدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها، ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.⁶

¹ أحمد حسن بسج، ديوان ابن الرومي، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 204.

² أحمد أكرم الطباع، ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 196.

³ محمد القليلي، ديوان ابن نباته المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 149.

⁴ ابن سينا، الشفاء، الفن السادس، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1986، ص 46.

⁵ محمد بن يوسف الهروي، بحر الجواهر، طبعة طهران، الهند، 1871، ص 109.

⁶ محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت،

1996، ص 610.

ثالثاً: تطور في المعنى الأصلي للذاكرة

بعد أن كانت الذاكرة تعني المرأة غير الناسية أو القائلة، تطوّر هذا المعنى ليشمل وصفاً للنفس البشرية عموماً باعتبارها مؤنثة ومذكّرة، من ناحية القدرات الذهنية في التذكر، إذ أصبح كبار العلماء يُوصفون كأشخاص ذوي ذاكرة قوية أو حادة أو حسنة، كون هذه المقدرة تعتبر علامة فارقة على التفوق في حفظ أكبر قدر من المعلومات وتذكرها، كما جاء في كتاب الوافي بالوفيات، عند وصف مُحيي الدين القرشي العدوي العمري: هو الإمام الفاضل البليغ المفوّه الحافظ... يتوقّد ذكاء وفطنة ويتلهب ويتحدّر سبله ذاكرة وحفظاً ويتصبّب.¹ كذلك في كتاب نزّهة الخواطر وبهجة المسامع، في وصف عبد الله العمادي: وكان الشيخ عبد الله العمادي متقنّاً في العلوم والآداب... قوي الذاكرة كثير المحفوظ، حسن المحاضرة، ناقدّاً للشعر والأدب.² وأيضاً، في كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جاء وصفٌ للشيخ أبو نصر محمد بن الحسن الحرار الصوفي البغدادي الشاعر: له ديوان حسن، وكان جميل المعاشرة، حسن الذاكرة.³

رابعاً: تحوّل آخر في معنى كلمة "ذاكرة"

بعد أن تطوّر مفهوم الذاكرة إلى قوة استحضار للمعلومات تتعامل مع النفس البشرية عموماً، تحوّل مرة أخرى، وأصبح كأنه جهازٌ أو آلة لها وظيفة أخرى غير استحضار المعلومات، هي حفظ هذه المعلومات. لذلك انتشر مفهوم الذاكرة في الأوساط العلمية والأدبية وعامة الناس، ليشمل هذا المعنى الجديد، وابتعد كثيراً عن معناه الأصلي، وهو مخاطبة المفرد المؤنث فحسب.

¹ صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 8، ط 2، اعتناء محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1982، ص 252.

² عبد الحي بن فخر الدين الحسني، نزّهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، بيروت، 1999، ص 1297.

³ بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج 2، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010، ص 67.

على هذا الأساس شاعت تعبيرات جديدة، إضافة لتلك التي ذكرناها، تحمل وصفاً للذاكرة وخصائصها وأصنافها، مثل: ذاكرة عجيبة، ذاكرة ضعيفة، باقون في الذاكرة، إن لم تخني الذاكرة، بقي في ذاكرة الناس، مطبوع في الذاكرة، ذاكرة الشعوب لا تموت، فقدان الذاكرة، خلل في الذاكرة، قصور في الذاكرة، مدى الذاكرة. ثم قام علماء النفس ونحوهم بتصنيف الذاكرة إلى أنواع عديدة . كما أدخل الشعراء، في العصر الحديث، قسماً من أوصاف الذاكرة، كما يقول حافظ ابراهيم:

وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتُهُ اللَّيَالِي وَلَا خَانَتَهُ ذَاكِرَةُ الشَّبَابِ¹

أو أحمد شوقي:

أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةٍ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي انْقِضَابًا

انقضاباً: انقطاعاً.² ومع ذلك فإن المعنى الأصلي للذاكرة، لم يندثر، فقد ذكره معروف الرصافي بقوله:

مَتَى تُبْدِينَ مِنْكَ لَهُ جُحُودًا فَهَلَّا عُدْتُ ذَاكِرَةً عَهْدًا³

ومن مظاهر تحول معنى الذاكرة القديم هو استعمالها في أحد مكونات أجهزة الحاسوب، إذ أصبحت تمثل وحدة مستقلة من مركبات الحاسوب، مسؤولة عن الخزن والاسترجاع.

خامساً: تعريفات متعددة متباينة للذاكرة

لم يتفق الباحثون على إيجاد تعريف محدد، أو حتى متقارب للذاكرة. لذلك تعددت التعريفات وتشابهت واختلفت حسب وجهة نظر صاحبها أو حسب المجال الذي استعملت فيه. كما وردت في معاجم اللغة وعلم النفس والفلسفة، فضلاً على الدراسات المتخصصة في هذه المجالات ونحوها، سواء كانت في اللغة العربية أم غيرها، التي يمكننا أن نحصرها بموضوعين أساسيين.

¹ أحمد أمين، ديوان حافظ ابراهيم، دار العودة، بيروت، 1996، ص 190.

² أحمد محمد الحوفي، ديوان شوقي، ج 1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1977، ص 424.

³ معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص

أحدهما اعتبار الذاكرة عضواً أو أداةً أو جهازاً، والثاني اعتبار الذاكرة وظيفة أو نشاطاً أو قدرة.

1. الذاكرة: عضوٌ عقلي

كثيراً ما نجد تعريفات تصف الذاكرة بأنها عضو خاص في جسم الإنسان، غير أن تابعيته، ومعالمه وصورته مبهمة، غامضة، فهو قد يكون مستقلاً يعمل بمفرده، منفصلاً عن القدرات العقلية الأخرى، أو يكون جزءاً من الدماغ، أو هو حافظة أو مستودع أو وعاء أو مخزن أو صندوق لا علاقة له بما في داخله من معلومات. ومن التعريفات التي تدل على ذلك هو ما جاء في معجم المصطلحات التربوية والنفسية: ويعنى بها (أي الذاكرة) تخزين المعلومات أو الاحتفاظ بها بشكل يجعلها متاحة للاسترجاع أو تذكرها بالصورة نفسها التي خزنت بها.¹ وأيضاً ورد في المعجم الموسوعي في علم النفس، أن الذاكرة: الاحتفاظ بمعلومات الماضي مع القدرة على تذكرها أو استخدامها.² كما نجد هذه المعاني في النصوص الآتية: "كانت الذاكرة مستودع معارف المجتمع ومهاراته الموروثة كلها".³ أو في النص الآتي: "فلكي نحل مسألة ما يجب أن يكون لدينا بعض المعرفة عن موضوعها ويجب أن نجمع ونستقي عناصر معلوماتنا السابقة الكامنة في أعماق الذاكرة".⁴ أو في: "تنزع الذاكرة البشرية، مع تقدم الزمن، إلى تعديل المعلومات المخزونة لتأخذ الشكل الأفضل".⁵ والنص الآتي يشير بوضوح أن الذاكرة هي مكان أو موقع: "إن الشيء الذي نتعلمه يتواجد أولاً في الإدراك أو المعرفة قبل أن ينتقل إلى الذاكرة... والإدراك في وقت من الأوقات يحدث أثراً فيترسب في الذاكرة".⁶

¹ حسن شحاتة وزينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص 188.

² نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج3، ترجمة وجيه أسعد، وزارة الثقافة، دمشق، 2001، ص 1126.

³ جيفري هوسون وبرايان ويلسون، الرياضيات المدرسية في التسعينيات، ترجمة خضر الأحمد وموفق دعبول، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1992، ص 40.

⁴ ج. بوليا، البحث عن الحل، ط 2، ترجمة أحمد سليم سعيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 155.

⁵ عبد المجيد نشواتي، علم النفس التربوي، ط 4، دار الفرقان، عمان، 2003، ص 385.

⁶ جورج إم غازدا وآخرون، نظريات التعلم، ج 1، عالم المعرفة، ع 70، المجلس الوطني، الكويت، 1983، ص 254.

2. الذاكرة: وظيفة معرفية

الذاكرة، هنا، هي قوة من قوى العقل أو قدرة أو نشاط أو وظيفة أو عملية معرفية. الخلف الذي يكمن بهذا المعنى هو عن عدد هذه الوظائف وطبيعتها، إذ قد تكون قدرة واحدة منفردة، أو سلسلة من النشاطات المعرفية. ومن التعريفات التي تعطي للذاكرة وظيفة واحدة، هي الاسترجاع، نذكر ما جاء في مجلة العلوم: الذاكرة إنها السيرورة* التي نعيد بها إلى عقولنا إحدى خبراتنا الواعية السابقة.¹ وفي الموسوعة العربية العالمية، نجد أن الذاكرة لها وظيفة واحدة هي التذكر كما في التعريف الآتي: الذاكرة القدرة على تذكر شيء سبق تعلمه أو سبق اكتساب خبرة فيه.² لكن هناك من يعتقد أن للذاكرة وظيفة واحدة أيضاً لكن هذه المرة هي الاحتفاظ كما جاء في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: ذاكرة، إحدى الوظائف العقلية المختصة بالاحتفاظ بذكرات الفرد وما مر به من تجارب وما اكتسبه من خبرات وما تعلمه من معلومات.³ ومن التعريفات التي تعتبر الذاكرة سلسلة من الوظائف نذكر منها، ما يخص عمليتين، هما الاحتفاظ والاسترجاع، التي نجدها في معظم معاجم اللغة العربية. فمثلاً في معجم اللغة العربية المعاصرة، نجد أن الذاكرة هي: قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب والمعلومات السابقة في الذهن واستعادتها.⁴ وفي المعجم الكبير، الذاكرة: قدرة الدماغ على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها.⁵ كذلك نجد الشيء ذاته في قاموس بانكروفت الإنكليزي، أن الذاكرة: هي قدرة العقل على حفظ صور أو تفاصيل الأحداث أو الأشخاص في الماضي، وتذكرها.⁶ أو في قاموس

* نحن لا نستسيغ كلمة "سيرورة" كونها ترجمة للكلمة الإنكليزية process، إذ نفضل عوضاً عنها كلمات مثل: معالجة أو عملية. (المؤلف)

¹ لودوكس، **الانفعال والذاكرة**، مجلة العلوم، العددان 3/2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1999، ص 44.

² دائرة المعارف العالمية، الموسوعة العربية العالمية، ج 10، الرياض، 1996، ص 604.

³ فرج عبد القادر وآخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993 ص 344.

⁴ **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج 1، مصدر سابق، ص 813.

⁵ مصطفى حجازي، **المعجم الكبير**، ج 8، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008، ص 159.

⁶ Bancroft, English Dictionary, London, 1966, p.211.

أكسفورد الذي يعرف الذاكرة: أنها قوة احتفاظ الحقائق في العقل الواعي، ومن ثم القدرة على استرجاعها عند الحاجة.¹ أما كون الذاكرة تتكون من ثلاث عمليات، فقد جاء في كتاب علم النفس التربوي أن الذاكرة تتضمن ثلاث مراحل للمعالجة هي: مرحلة الترميز (encoding)، ومرحلة الاحتفاظ أو الخزن (storage)، ومرحلة الاستعادة أو التذكرة أو التذكر (retrieval).² الترميز أو التشفير، يعني تنظيم المعلومات. وكتاب عقول المستقبل بيّن أن هناك أجزاء ثلاثة يمكن أن ينقسم إليها نشاط الذاكرة هي: عمليات التعلم، ثم عملية التخزين، ثم عملية الاسترجاع أو الاستعادة.³ وهناك من يرى أن الذاكرة مركبة من أربع عمليات أساسية، كما جاء في كتاب أسس علم النفس العام، هي: إرساخ الانطباعات (fixation)، الاستبقاء (retention)، الاستدعاء (recall)، التعرف (recognition).⁴ فضلاً على ما ذكرناه، هناك من الباحثين من يرى أن الذاكرة هي وظيفة وعضو مادي بذات الوقت، كما جاء في كتاب ما هي الشخصية: الذاكرة هي قدرة الإنسان على تذكر التجربة الشخصية والاجتماعية وحفظها وتشخيصها واستخدامها. والذاكرة هي مذكر ومستودع المعلومات الذي يقوم بتصنيعها واستحضارها.⁵

سادساً، الخلط بين مفهوم الذاكرة وبين التذكر والحافظة

نتيجة لغموض طبيعة مفهوم الذاكرة، والتعدد الواسع المتباين في تعريفاتها، فقد حدث خلط في المصطلحات وتداخل بين معاني الذاكرة، التي مرّت علينا، وكل من مفهومي التذكر والحافظة. فالتذكر (remembering) معناه، كما جاء في الكليات للكفوي هو: محاولة النفس استرجاع ما

¹ A.S.Hornby, Oxford Advance Learner's Dictionary, Oxford University Press, 1974, p.530.

² علم النفس التربوي، مصدر سابق، ص 374.

³ جون ج. تايلور، عقول المستقبل، ترجمة لطفي فطيم، عالم المعرفة، ع 92، المجلس الوطني، الكويت، 1985، ص 55.

⁴ طلعت منصور وآخرون، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984، ص 215.

⁵ كيريلينكو وكورثونوفا، ما هي الشخصية؟، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، موسكو، 1990، ص 214.

زال من المعلومات.¹ والتذكر في علم النفس هو: عملية عقلية بها يجري استرجاع شيء ما مُتَعَلِّمٌ في وقت سابق.² والتذكر في الفلسفة، كما ذكرته ميرري ورنوك في كتابها الذاكرة في الفلسفة والأدب: هو استظهار شيء تمت معرفته سابقاً. إنه مراجعة شيء ما وليست معرفته. إنه يشبه إعادة سرد وليس إجراء بحث.³ إذن التذكر هنا يمثل وظيفة واحدة، هي استرجاع أو استعادة ما مضى من أحداث، وهذا يتداخل مع تعريف الذاكرة الذي بيّناه سابقاً أنها تمثل وظيفة واحدة. لكن هناك من يعتقد أن التذكر يتكون من وظيفتين أو عمليتين، كما ذكر فريدريك بل في كتابه طرق تدريس الرياضيات: التذكر هو القدرة على تخزين البيانات في العقل، واستدعاء البيانات من العقل.⁴ وهذا أيضاً يتداخل مع أحد تعريفات الذاكرة التي تتكون من وظيفتين. فضلاً على ذلك، أن مايكل هاينز في كتابه القوى العقلية الحواس الخمس، يرى أن هناك أربع عمليات للتذكر فيقول: والحقيقة أن التذكر ليس عملية واحدة فقط بل إنه عدة عمليات مختلفة تتكامل كلها تحت هذا الاسم حيث يمكن تحليل التذكر إلى المراحل المنطقية التالية. أولاً: تحصيل المعلومات وحفظها (التحصيل)، ثانياً: الإبقاء عليها أو نسيانها (الوعي والنسيان)، ثالثاً: الاسترجاع (أو الاستدعاء)، رابعاً: التعرّف.⁵ وهذا التعريف يتداخل أيضاً مع أحد تعريفات الذاكرة السابقة.

أما التداخل الآخر، فهو بين الذاكرة والحافظة، وسببه المعنى المشترك بينهما. فالحافظة في اللغة العربية هي مؤنث الحافظ، والحافظ اسم فاعل، المؤكل. وهي من حَفَظَ. وحَفَظَ: حرسه ومنعه من الضياع.⁶ فهي إذن كالذاكرة من ناحية التخزين والاستبقاء ومنع الشيء من الضياع.

¹ أبو البقاء الكفوي، الكليات، القسم الأول، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، 1975، ص 89.

² أسس علم النفس العام، مصدر سابق، ص 481.

³ ميرري ورنوك، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2007، ص 9.

⁴ فريدريك بل، طرق تدريس الرياضيات، ج 2، ترجمة وليم عبيد وآخرون، الدار القومية، نيقوسيا، 1986، ص 68.

⁵ مايكل هاينز، القوى العقلية الحواس الخمس، ترجمة عبد الرحمن الطيب، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 249.

⁶ بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 176.

وعن تعريف الحافظة بقول الجرجاني: هي قوة... من شأنها حفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية، فهي خزنة للوهم كالخيال للحس المشترك.¹ والكفوي في الكليات يقول عن الحفظ: هو استحكام المعقول في العقل.² إذن الحافظة، كالذاكرة من ناحية التخزين والاستبقاء. على هذا الأساس، فالذاكرة، في أحيان معينة، تُدعى حافظة، والحافظة تدعى ذاكرة، أي أنهما بهذه الحالة مترادفتان، كما ورد ذلك في كتاب المنجد في المترادفات والمتجانسات.³ يتضح ذلك أيضاً من العلاقة بين الذاكرة والحافظة، كما جاء في متن اللغة: أن الحافظة هي قوة الذاكرة.⁴ وهناك أيضاً من أطلق على الحافظة اسم الذاكرة كما جاء في بحر الجواهر للهروري: الحافظة هي قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني فتذكرها لذلك سميت ذاكرة.⁵ والشيء ذاته في الكشف،⁶ والمعجم الكبير،⁷ والمعجم الوسيط.⁸ لكننا ن نجد الترادف واضحاً بين الذاكرة والحافظة، على سبيل المثال، في محيط المحيط من خلال تعريف كل منهما، فالذاكرة هي: قوة في الدماغ تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظها ولذلك سميت بالحافظة.⁹ وفي المعجم ذاته نجد تعريف الحافظة هي: قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.¹⁰ إن هذا الخلط بين الذاكرة والحافظة ناجم، من بعض نواحيه، عند وصف كل منهما بعمليتين

¹ علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص 72.

² أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 67.

³ رفائيل نخلة اليسوعي، المنجد في المترادفات والمتجانسات، ط 3، دار المشرق، بيروت، 1989، ص 70.

⁴ أحمد رضا، متن اللغة، مج 2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، ص 124.

⁵ بحر الجواهر، مصدر سابق، ص 109.

⁶ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مصدر سابق، ص 610.

⁷ المعجم الكبير، ج 5، مصدر سابق، ص 490.

⁸ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، دار الدعوة، اسطنبول، 1989، ص 185.

⁹ محيط المحيط، مصدر سابق، ص 309.

¹⁰ المصدر السابق، ص 176.

منفصلتين، هما التذكر والحفظ. أضف إلى ذلك أن هذا الخلط، في الاسم والمعنى، لا نجده في الحياة العملية، إنما في معاجم اللغة فحسب.

سابعاً: خلافات عن تحديد موقع الذاكرة وأصنافها

من قضايا الخلاف المثيرة، في علم النفس وعلم الأعصاب، التي لم تحظَ باتفاق عام عليها، تحديد موقع الذاكرة في الدماغ أو المخ، بمعنى آخر مكان تخزين المعلومات والمعارف، هذه هي القضية الأولى. القضية الثانية، هي التباين الشديد في عدد الأقسام التي يجري، عادة، تقسيم الذاكرة إليها، فضلاً على اختلاف أسماء هذه الأقسام. القضية الأخيرة هي العلاقة غير المحددة بين عمل الذاكرة، كونها وحدة واحدة، وعمل أقسامها.

1. تحديد موقع الذاكرة

يقول مايكل هاينز في كتابه القوى العقلية الحواس الخمس: سؤالان حَيَّرَا الفلاسفة والعلماء ومازالا حتى الآن ألا وهما: ما طبيعة الذاكرة؟ وأين تختزن الذكريات؟¹ وعند الإجابة عن هذا السؤال انبثق الخلاف من خلال وجهتي نظر مختلفتين. إحداهما تتجه نحو تحديد منطقة أو مناطق محددة في الدماغ. أما وجهة النظر الأخرى فتري أنه لا يوجد حصر لمكان الذاكرة، أي إنها منتشرة في كافة مناطق الدماغ. فالقدماء، كانوا يخصصون منطقة معينة للذاكرة في الدماغ. فمثلاً يرى ابن سينا أن القوة الحافظة الذاكرة... في التجويف المؤخر من الدماغ.² والهرودي في بحر الجواهر يقول إن محلها البطن الأخير من الدماغ.³ والتهانوي في الكشف يقول إن محلها البطن الأخير من الدماغ.⁴ والجرجاني في التعريفات، يقول عن الحافظة ولب الذاكرة، إن محلها

¹ القوى العقلية الحواس الخمس، مصدر سابق، ص 255.

² الشفاء، ج 6، مصدر سابق، ص 46.

³ بحر الجواهر، مصدر سابق، ص 109.

⁴ كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مصدر سابق، ص 610.

التجويف الأخير من الدماغ.¹ كذلك في الزمن المعاصر، هناك من يحدد مكان الذاكرة، كما جاء، مثلاً، في موسوعة الثقافة العلمية: وفي الفص الصدغي إلى جوار منطقة السمع، يقع مركز الذاكرة،² أو كما يقول بطرس البستاني في محيط المحيط: في مؤخر الدماغ واستدلوا على ذلك بأن الإنسان إذا أراد أن يتذكر رفع رأسه مائلاً به إلى الجهة الخلفية لتتنبه تلك القوة فيكون من ذلك أعون على تحصيل المطلوب.³ إن مثل هذه المعلومات مُستخلصة، غالباً، من الخبرة والملاحظة. لكن الدراسات الحديثة، قد اختلفت في تحديد منطقة الذاكرة في الدماغ. إذ إن هناك وجهة نظر ترى أن للذاكرة موقعاً محدداً في الدماغ، كما جاء في الموسوعة العربية العالمية: وقد أوضحت البحوث أن هذه التغيرات (عند تخزين الذكريات) يجري حدوثها في جزء دقيق من الدماغ يسمى الحُصين* وهو جزء صغير من قشرة المخ يقوم بتنظيم معظم الوظائف الرئيسية للدماغ قبل حل المشاكل وتعلم اللغات.⁴ يؤكد ذلك ما جاء في كتاب الثقافات الثلاث أن: وجود الحُصين* (Hippocampus) في الفص الدماغي الصدغي (وهو قطاع في الدماغ مسؤول بشكل رئيسي عن عمليات الذاكرة، ويعتبر جزءاً من الجهاز العصبي الطرفي).⁵

لكن هناك وجهة نظر أخرى مغايرة ترى أن الذاكرة منتشرة في الدماغ بكماله، كما ذكرت كرسيتين تمبل في كتابها المخ البشري التي تعتقد أن جميع تلك التحديدات لموقع الذاكرة هي مجرد محاولات، فنقول: وقد أُجْرِيَ في هذا القرن (العشرين) كثير من الدراسات التي تُعنى على وجه

¹ تعريفات الجرجاني، مصدر سابق، ص 72.

² أنور محمود عبد الواحد، موسوعة الثقافة العلمية، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص 332.

³ محيط المحيط، مصدر سابق، ص 309.

⁴ الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق، ص 604.

* سمي الحُصين بسبب التشابه مع حصان البحر أو فرس البحر. ويُدعى أيضاً، قرن آمون أو قُرَيْن آمون. وآمون هو الإله المصري القديم الذي كان يُمثل برأس كبش. (المؤلف)

⁵ جبروم كيغان، الثقافات الثلاث، ترجمة صديق محمد الجوهر، عالم المعرفة، ع 408، المجلس الوطني، الكويت،

2014، ص 105.

التحديد باستكشاف وظائف الأجزاء في المخ، وإلى أي مدى يمكننا تحديد موضع وظيفة معينة في منطقة خالصة بالمخ. فهناك محاولات لتحديد موضع المكونات... التي تتراوح ما بين الذاكرة والتخطيط، إلى المهارات الأكثر خصوصية.¹ على حين يجزم لورون بوتّي في كتابه الذاكرة أسرارها وآلياتها أنه لا توجد منطقة محددة للذاكرة، كما يقول: ولنصرح من الآن، بأنه لا توجد داخل الدماغ منطقة واحدة ووحيدة للذاكرة. ولدينا سببان لإقرار ذلك: أولاً، ليس هناك صنف واحد للذاكرة. ثانياً، إن كل صنف من أصناف الذاكرة ينبثق من عمل شبكة، أي من مجموع المناطق الدماغية.² وذكر المعجم الموسوعي في علم النفس رأياً متداخلاً بين وجهتي النظر السابقتين: وبينت أعمال علماء النفس الفيزيولوجيين أن ليس ثمة مركز للذاكرة، ولكن الذاكرة منوطة معاً ببعض المناطق المحددة من الدماغ، مثل الحُصين أو قرن آمون... وبكيفية القشرة الدماغية... وذلك صحيح بالنسبة لذاكرة الأجل الطويل على وجه الخصوص. فكل الدماغ معني باستدعاء الذكريات، التي لا نعلم أين تُحفظ ولا كيف.³

2. أصناف الذاكرة وأسماؤها

من القضايا التي تثير الخلاف أيضاً، تقسيم الذاكرة إلى عدد غير ثابت، غير متساو من أقسام أو أصناف أو أنماط أو تفرعات أو أنظمة مختلفة، لا حصر لها، ينسبها الدارسون لهذا المفهوم، تبدأ من صنفين ثم تستمر إلى عدد كبير منها. ويجري تكوين هذه الأصناف، غالباً، حسب معايير يضعها الدارس بناءً على مدة الذاكرة أو طبيعتها أو استرجاعها للحالات الشعورية أو مراحل معالجتها للمعلومات أو غيرها. أضف إلى ذلك قضية أخرى ذات صلة بها، هي أن أسماء هذه الأصناف هي الأخرى مختلفة. لذلك سوف نذكر بعض هذه الأصناف. فمثلاً تُقسم الذاكرة إلى أربعة أنواع، كما جاء في معجم مصطلحات علم النفس: الذاكرة اللفظية، الذاكرة

¹ كرسنتين تمبل، المخ البشري، ترجمة عاطف أحمد، عالم المعرفة، ع 287، المجلس الوطني، الكويت، 2002، ص 30.

² لورون بوتّي، الذاكرة: أسرارها وآلياتها، ترجمة عز الدين الخطابي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي،

2012، ص 8.

³ المعجم الموسوعي في علم النفس، ج 3، مصدر سابق، ص 1128.

العقلية، ذاكرة الأشياء وبصورة خاصة الذاكرة البصرية والسمعية أو اللمسية إلخ، ذاكرة الحوادث.¹ وهناك تقسيمات نوعية عديدة للذاكرة، على سبيل المثال ما جاء في معجم علم النفس والتحليل النفسي: يمكن تقسيم الذاكرة إلى ذاكرات نوعية مثل ذاكرة الأسماء وذاكرة الأماكن وذاكرة الأرقام وذاكرة الأفكار وذاكرة الصور... إلخ.² وقد جاء أيضاً في كتاب الذاكرة أسرارها وآلياتها تسميات عديدة: وقد توصل الباحثون إلى التمييز بين أشكال أو أنظمة عديدة للذاكرة... من أبرزها، وليس كلها، الذاكرة ذات المدى القصير، وذات المدى الطويل، وذاكرة الاشتغال، والذاكرة المرحلية، والذاكرة الدلالية، وذاكرة السيرة الذاتية، والذاكرة المكانية، وذاكرة العادات، والذاكرة المعرفية، والذاكرة الصريحة والضمنية، والذاكرة التصريحية، والذاكرة الإجرائية... والذاكرة الحسية.³ وفي مجلة العلوم، هناك: ذاكرة قصيرة المدى، ذاكرة طويلة المدى، الذاكرة الإيقونية* (iconic memory)، الذاكرة العاملة، الذاكرة العارضة** (episodic).⁴ كذلك جاء في كتاب المخ البشري، العديد من التصنيفات، منها الذاكرة الشخصية (episodic)**، الذاكرة الدلالية

¹ منير وهبة الخازن، معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين، بيروت، دت، ص 83.

² فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص 204.

³ الذاكرة: أسرارها وآلياتها، مصدر سابق، ص 27.

* من المؤسف أن يتعذر على المترجمين والكتاب أن يجدوا كلمة عربية تقابل المصطلح الأجنبي iconic. إذ لو رجعنا إلى القواميس الأجنبية التي تبحث عن أصول الكلمات، نجد أنها تعود إلى الكلمة الإغريقية eikonikos وهي من eikon التي تعني بالإنكليزية image وبالعربية صورة، صورة عقلية، انطباع ذهني، خيال، وهم. كما لاحظنا أن معظم كتب علم النفس والفلسفة لا تستعمل أي كلمة عربية لهذا المصطلح، إنما يستعملون اللفظ الأجنبي بحروف عربية. لذلك يمكن أن تكون الكلمة العربية المقابلة هي الذاكرة الخيالية، أو ذاكرة الصور الخيالية، على أن نضع بجانبها الكلمة بحروفها الأجنبية. (المؤلف)

** نلاحظ، هنا، أن هناك ترجمتين مختلفتين لكلمة episodic، وهناك من يُطلق عليها أيضاً الذاكرة التمثيلية، الذاكرة الشخصية، التي تسمح بتذكر الأحداث. إن هذا التباين هو أمر مؤسف أيضاً. يمكن أن تكون الترجمة ذاكرة الأحداث أو الأحداث العرضية. (المؤلف)

⁴ كريك وكوخ، مشكلة الوعي، مجلة العلوم، العدد 3/2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1999، ص 12.

(semantic)، الذاكرة القصيرة المدى، الذاكرة الطويلة المدى، ذاكرة إجرائية (عملية)، صريحة (وقائعية)، لفظية وغير لفظية، ومحددة الفئة.¹

3. العلاقة بين عمل الذاكرة وأقسامها

هناك قضية خلافية أخرى تتصل بالعلاقة بين عمل أقسام الذاكرة، هي: هل تعمل كأنها كيان واحد، أم تعمل أقسامها بصورة مستقلة؟ يجيب على ذلك، مثلاً، البروفسور الفرنسي مين دوبييران، الذي أكد أنه لا يمكن اعتبار الذاكرة كياناً واحداً. وقد ميز أنماطاً للذاكرة بحيث يشتغل كل شكل باستقلال عن الآخر.² لكن هناك وجهة نظر أخرى معاكسة، كما جاء في كتاب الدماغ البشري: وبالرغم من تقسيمات الدماغ إلى أجزاء مختلفة فإن عمله مترابط متكامل بحيث تقوم الحجيرات الدماغية بأعمالها كل بمعرفة الأخرى ومشورتها وتأثيرها ليخرج كل من الأقوال والأفعال والتدبير بشكل منسق ومنظم وسليم. إذن عمل الحجيرات الدماغية هو عمل جماعي.³ والرأي ذاته ورد في المعجم الموسوعي في علم النفس: فكل الدماغ معني باستدعاء الذكريات، التي لا نعلم أين تحفظ ولا كيف.⁴

ثامناً: مفارقات في الأصول الأجنبية للكلمات المتصلة بالذاكرة

هناك مفارقات وتباين ترتبط بالأصول الاشتقاقية لكلمة memory والكلمات ذات الصلة مثل: memorize و remember و recollection.

1. الأصول الاشتقاقية لكلمة memory

هناك تباين في المصادر الإنكليزية وغيرها، عن الأصل الاشتقاقي لكلمة memory، إذ هناك

¹ المخ البشري، مصدر سابق، ص 120.

² الذاكرة: أسرارها وآلياتها، مصدر سابق، ص 18.

³ طارق ابراهيم حمدي، الدماغ البشري، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص 9.

⁴ المعجم الموسوعي في علم النفس، مصدر سابق، ص 1128.

فئة ترجعها إلى أصول لاتينية، وأخرى إلى أصول إغريقية. من الفئة الأولى، هناك قاموس أكسفورد "المختصر"، الذي ذكر أن كلمة memory تعود إلى الفرنسية القديمة memoire، التي بدورها تعود إلى اللاتينية memoria. و memor تعني mindful مهتم، منتبه، واعٍ لـ ، وهي من الجذر mer بمعنى يتذكر remember.¹ أما الفئة الثانية، التي ترى أن أصل كلمة memory تعود إلى الإغريق، فيغلب عليها الاختلاف في كتابة هذه الكلمة بالحروف اليونانية. فمثلاً جاء في قاموس ويبستر أن كلمة memory هي من memimi، إذ يمكن أن تكون محرّفة من الكلمة الإغريقية التي تعني يتذكر أو العقل.² يؤكد ذلك ما ورد في كتاب الأسطورة والفكر عند اليونان لجان بيار فرنان: يوجد في البانثيون اليوناني آلهة تحمل اسم وظيفة نفسية ذاكرة (منيموسيني) (mnēmosuné).³ إن سبب، تعدد لفظ الذاكرة اليونانية، هو وجود، كلمتين يونانيتين: μνημη = ذكر، μνημοσύνη = ذاكرة. وهما مستعملتان مجازياً كإلهين.⁴

2. كلمة memorize

تتضمن كلمة memorize الإنكليزية مفارقة في معناها وترجمتها إلى اللغة العربية. تتألف هذه الكلمة في الأصل، من مقطعين هما: memory واللاحقة ize، ومعناها commit to memory،⁵ أي يسلم أو يودع في الذاكرة. إن اللاحقة ize أو (ise) غرضها تغيير وظيفة الكلمة الأصلية أي memory وتحويلها من اسم إلى فعل، شرط أن يكون الفعل والاسم من مادة واحدة. على هذا الأساس، إذا كانت "memory" تقابل "ذاكرة" في اللغة العربية، فإن كلمة memorize ينبغي أن تكون من مادة الذاكرة، لكن الذي نلاحظه في قواميس الترجمة أنها تقابل: يستظهر،

¹ H.W.F, The Concise Oxford Dictionary, 4th ed, Oxford, 1950, p.744.

² Noah Webster, American Dictionary of English Language, vol.1, Converses, New York, 1828, p2750.

³ جان بيار فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان، ترجمة جورج رزق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 206.

⁴ الأسطورة والفكر عند اليونان، مصدر سابق، ص 241.

⁵ The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 744.

يحفظ عن ظهر قلب،¹ وهي صحيحة من ناحية معناها الإجرائي فحسب، الذي لم يكن خارج نطاق معنى memory، التي معناها بهذه الحالة "حافضة".

3. كلمة remember

ينطوي الأصل الاشتقاقي للكلمة الإنكليزية remember على مفارقة غريبة عجيبة، لأن هذه الكلمة تتألف، من ناحية الشكل الظاهري، من مقطعين الأول: البادئة re ومعناها يعيد، مرة ثانية، وهي صحيحة، أما المقطع الآخر member فهو الذي تقع فيه المفارقة، ومعناه عضو. لذلك يصبح المعنى الحرفي بمقطعيه هو "إعادة العضو" أو نحوه. غير أن هذا لا يتفق مع الترجمة المعروفة لكلمة remember بمعنى يتذكر. لأن المقطع الثاني لم يكن بهذه الصورة في الأصل. إن هذا التحول في الشكل له قصة أو تفسير طريف قلما تذكره معاجم اللغة الإنكليزية، لكنها متفقة تقريباً على أصوله الاشتقاقية. إن هذا التحول حدث أثناء الغزو النورماندي (الفرنسي) لإنكلترا، وتأثير اللغة الفرنسية في اللغة الإنكليزية. إن الأصل الاشتقاقي لكلمة remember هو باللاتينية القديمة rememor الذي يعني منته، واعٍ لِمَهْتَم (mindful)، هذه الكلمة الأخيرة كما هو واضح لا تحتوي على حرف b، فكيف تحولت إلى remember؟ يبين قاموس مختصر أكسفورد، الأصل الاشتقاقي لكنه لا يذكر كيف جرت إضافة حرف b إلى rememor، فيقول عن كلمة remember الإنكليزية: إنها من الفرنسية القديمة remebrer، ثم من اللاتينية المتأخرة rememorari، ثم من اللاتينية القديمة rememor.²

أما قاموس أصول الكلمات الإنكليزية، فيقترب من التوصل إلى سبب تغيير كلمة remember، فيقول: إن كلمة remember هي من الإنكليزية الوسطى remembren، ثم من الفرنسية القديمة remembrer، التي استعملت بطريقة عكسية، مولداً شيئاً غير طبيعي هو حرف b بعد m، نتيجة الضغط أو النبرة في الكلام، وهي من اللاتينية rememorari التي تتكون من

¹ منير البعلبكي، المورد، قاموس إنكليزي عربي، ط 31، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 570.

² The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 44.

re و memorari ومن ثم memor¹.

غير أن إيلا هارسون في مقالها الإلكتروني عن كلمة التذكر Word: Remember, Two Ways ترى أن سبب حذف الحرف b في هذه الكلمة هو التلفظ من وسط الأنف مثل mmm، وتورد مثلاً على ذلك كلمة something التي يتلفظها قسم من الناس بشكل somepthing، بوضع الحرف p. هذا الذي حدث مع الكلمة الإنكليزية القديمة remember، وهي الكلمة اللاتينية التي وصلت إلى فرنسا.² الحقيقة أن الكاتبة لم تذكر صراحة تأثير اللغة الفرنسية في اللغة الإنكليزية، لكن قاموس أكسفورد الإنكليزي في المقدمة يبين ذلك. فقد جاء فيه: إن استعمال بعض الكلمات الفرنسية في الإنكليزية، كان قد أعطاها طابعاً إنكليزياً كلياً... وقد برزت مشكلة في تلفظ حروف العلة الفرنسية، التي تخرج من الأنف... لذلك فإن المتكلمين بالإنكليزية الأصليين قد استعملوا ألفاظاً مختلفة في مثل هذه الحالات تتراوح بين إعطائها الطابع الإنكليزي كلياً ومحاكاة أو تقليد ناجح للفرنسية لحد ما.³ وفي الحقيقة إن غزو النورمان الفرنسيين لإنكلترا عام 1066م كان حدثاً محورياً أحدث تحولاً في اللغة والثقافة الإنكليزية حيث امتزجت الفرنسية النورمندية للقرون الوسطى بالإنكليزية. هذا الأمر لم يحدث مع لغات أخرى، منها لغتنا العربية، برغم الغزوات الأجنبية، صحيح دخلت ألفاظ غير عربية، لكن اللغة العربية بقيت محافظة على أصالتها وبلاغتها.

4. مفارقات في معنى كلمة recollection

إن المفارقات، هنا، تقع في تركيب كلمة recollection، ومعناها الأصلي، الذي يختلف عن معنى آخر تنسبه لها معظم قواميس اللغة، سواء في العربية أو غير العربية، الذي يرتبط بالذاكرة والتذكر. إن الاسم recollection وفعله recollect، كل منهما يتألف من مقطعين، كما جاء في

¹ W.W.Skeat, An etymological Dictionary of the English Language, Clarendone, Oxford, 1883, p.500.

² Ela Harrison, Word Remember, Two Ways, <https://elaharrison.com/blog/item/word-remember>.

³ Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص xxiv.

قاموس مختصر أكسفورد.¹ الأول: re، أما المقطع الآخر: collection أو collect، فيعني جمع، ضم، لم (صيغة الاسم)، ويجمع، يضم، يلم (صيغة الفعل). أي إن كلاً منهما نقيض التفریق. لذلك يصبح معنى التركيب الحرفي لكلمة recollection هو إعادة تجميع، ومعنى recollect هو يجمع مرة ثانية (أو نحوهما من المعاني). لكن قواميس اللغة تذكر معنى آخر وظيفياً لهما أيضاً، يتصل بالتذكر، كما جاء في قاموس أكسفورد باللغة الإنكليزية:² كلمة recollect تعني: call to mind, succeed in remembering أي يُعاد إلى العقل أو التمكن من التذكر. أما معنى recollection فهو:

1. act or power of recollecting.
2. time over which the memory goes back.
3. something recollect; that which is remembered.

أي فعل الجمع، أو الزمن الذي تستغرقه الذاكرة للعودة إلى السابق، أو إعادة تجميع شيء، أي تذكره. جميع هذه المعاني ترتبط فعلياً بالذاكرة والتذكر. وللتفريق بين المعنى الأصلي، أي يستعيد، يسترجع، يلمّ الشمل، والمعنى العادي، العملي، يتذكر، الذكر، الذاكرة. هناك وجهة نظر، أن توضع الشرطة - في المعنى الأصلي لتصبح re-collect أو re-collection، على حين المعنى العملي يبقى دون شرطية: recollect أو recollection.³ يتضح، مما سبق، أن هناك تداخلاً وخطاً بين معنى recollection و recollect من ناحية، ومعنى memory و remember من ناحية أخرى. وللتفريق بين ذلك نذكر ما جاء في قاموس ويبستر:⁴ إن recollect يقتضي - أو يمكن أن يقتضي - جهداً واعياً لاستدعاء شيء ما إلى العقل، مثلاً:

He tried to recollect the name of the street.

على حين remember، يقتضي، بصورة أكثر شمولاً، طلب شيء ما متاح فقط في ذاكرة

¹ The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 1014.

² Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص 702.

³ H.W.Fowler, A Dictionary of Modern English Usage, second ed, Oxford, 1985, p.509.

⁴ E.W.Gilman, Webster's Dictionary of English Usage, Merriam-Webster, Springfield, Massachusetts, 1988, p.804.

الشخص. مثلاً:

He always remembered what she had said.

وبيّن قاموس ويبستر الفرق بين مفهومي memory و recollection، هو أن memory تحفظ الأفكار الماضية دون أي جهد أو قليلاً من الجهد، بينما recollection تقتضي جهداً لاستدعاء الأفكار الماضية.¹ إذن يمكننا القول إن recollection من وظائفها عملية التذكر، لكن ليس معناها الأصلي.

تاسعاً: مشكلات في ترجمة كلمة memory والكلمات المتصلة بها

يُظهر استعمال كلمة memory وجمعها memories، في قواميس اللغة الإنكليزية، التعدد في معناها، كما ذكرنا ذلك، مثلاً، في قاموس أكسفورد: قوة للحفظ والاستدعاء (ذكرناها سابقاً)، المدة التي تمتد إليها الذاكرة، الشيء الذي خُزن في الذاكرة ويمكن تذكره، الصيت أو السمعة بعد الموت.² هذا التعدد قد يوّلد خطأً والتباساً، أوضح قسماً منه برتراند راسل في كتابه حكمة الغرب بقوله: هناك خلط ينشأ عن المعنى المزدوج الذي يُنسب إلى كلمة "الذاكرة"، إذ نعني بالذاكرة أحياناً النشاط العقلي المتعلق بالتذكر، هنا وفي الوقت الراهن، ونعني به أحياناً أخرى الحدث الماضي الذي يتم تذكره على هذا النحو. وهكذا فإن الخلط بين النشاط الذهني وموضوعه يؤدي إلى الكلام عن الماضي والحاضر وكأنهما ممتزجان.³ أي إن أحد معاني هذه الكلمة هو "التذكر"، والآخر هو "الذكرى" أو "الذكريات" بصيغة الجمع. إن هذا التعدد في معنى memory ينطبق أيضاً في ترجمة هذه الكلمة إلى اللغة العربية، مما يسبب في أحيان كثيرة، مشكلاتٍ وتداخلاً في معناها، كما ورد، مثلاً، في قاموس المورد، إذ إن هناك أربعة معانٍ لهذه الكلمة هي،

¹ المصدر السابق، ص 2750.

² Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص 530.

³ برتراند راسل، حكمة الغرب، ج 2، ط 2، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ع 365، المجلس الوطني، الكويت، 2009، ص 235.

الأول: التذكر والذاكرة. الثاني: ذكرى. الثالث: إحياء لذكرى. الرابع: مدى أو نطاق الذاكرة.¹ وفي قاموس القارئ نجد ثلاثة معانٍ الأول: الذاكرة، حافظة، تذكر. الثاني: المدة التي تمتد إليها الذاكرة. الثالث إحياء لذكرى.² وفي كشاف اصطلاحات الفنون، وضع المحقق كلمة الحافظة مقابلاً لكلمة memory.³ وفي قاموس إلياس، كلمة memory تعني حافظة، ذاكرة.⁴ على هذا الأساس تكون ترجمة كلمة memory إلى اللغة العربية، ذاكرة، ذكرى، ذكر، تذكر، حافظة، الصيت والثناء، يستظهر، إلخ. أما صيغة الجمع أي memories، فترجمتها ذواكر، ذكريات، لذلك سنسرد عبارات من اللغة الإنكليزية تبين التعدد في ترجمة memory و memories، كأمثلة على هذه المعاني، التي يمكن تصنيفها إلى عدد من الفئات. الفئة الأولى، كلمة memory ترجمتها "ذاكرة" بصيغة المفرد، و memories بصيغة الجمع، ترجمتها ذواكر، كالاتي:

- Bad spellers have a weak visual memory.
- All the members of John's family have excellent memories.
- الفئة الثانية، كلمة memory نقابلها في اللغة العربية، ذكرى، و memories نقابلها ذكريات:
- He planted some apple trees in memory of his wife.
- All of my memories are happy tonight.

الفئة الثالثة، نترجم memory إلى أتذكر:

- to the best of my memory.

أو إلى يستظهر، أو يحفظ عن ظهر قلب:^{5,6}

¹ المورد، مصدر سابق، ص 570.

² العزبي وآخرون، قاموس القارئ، دار جامعة أكسفورد، أكسفورد، 1980، ص 427.

³ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مصدر سابق، ص 610.

⁴ إلياس أنطون إلياس وإدوارد إلياس، قاموس إلياس العصري، دار الجيل، بيروت، 1979، ص 156.

⁵ قاموس القارئ، مصدر سابق، ص 129.

⁶ المورد، مصدر سابق، ص 197.

- commit to memory.
- speaking from memory.

الفئة الرابعة، memory يقابلها "الذكر":

- The late king, of blessed memory.
- King George of happy memory.

الخلاصة

إن استحداث لفظ "الذاكرة" من داخل اللغة العربية، هو دليل على قوة هذه اللغة وحيويتها ونموها، لكن هذا الاستحداث حصل عن طريق التحول المعنوي، باكتساب هذا اللفظ معنىً جديداً غير معناه الأصلي، قد يكون نتيجة قصور في التقدير. إن هذا التحول كانت له تبعات اتسمت بتباين واختلاف وتعدد في تعريف "الذاكرة"، من ناحية، ومن ناحية أخرى خلط وتداخل مع مفهومي الحفظ والتذكر، فضلاً على حدوث صعوبات في ترجمة الكلمة الأجنبية memory إلى العربية. مع ذلك فإن الباحثين، من العصر الحديث، اعتمدوا لفظ "الذاكرة" بمعناها الجديد، واعتبروها ضرورة لا غنى عنها، وأصبحت المعاجم المعاصرة تقرّها. لكننا، في الختام، نعتبر الذاكرة بناءً افتراضياً، ليس مرادفاً للدماغ، ولا بديلاً عنه، كما لا ندعو إلى إبطال هذا اللفظ، إنما ينبغي تأكيد معناه الأصلي، ووجوده المجازي الرمزي، لأن جميع العمليات العقلية تعتمد على ما يجري في الدماغ بصورة متكاملة.

الألفاظ المعربة والدخيلة في كتاب النواذر في اللغة لأبي زيد الأنصاري

د. مهدية بن عيسى
تلمسان - الجزائر

مقدمة:

اقتبست اللغة العربية كثيراً من ألفاظ اللغات الأجنبية عبر تاريخها الطويل وذلك بسبب عوامل الاحتكاك اللغوي المختلفة، وقد أخضعتها العربية لقواعدها الصوتية وطوّعتها في الغالب لمقاييس أبنيتها وجرى بها الاستعمال حتى صارت هذه المفردات الدخيلة بمرور الزمن جزءاً من ثروتها اللفظية. وظاهرة الاقتباس هذه اصطلاح عليها القدامى بالمعرب والدخيل، على حين سماها المحدثون بالاقتراض اللغوي أو الاستعارة اللغوية.¹ ويعدّ الخليل أول من استعمل في معجمه "العين" مصطلح "المعرب" وما اشتقّ من لفظه في تسعة وثلاثين موضعاً، واستعمل مصطلح "الدخيل" في واحد وثلاثين موضعاً، وجمع بينهما في ستة مواضع دون أن يحدّد مفهومهما.²

وأشار إلى هذا المصطلح أيضاً تلميذه سيبويه في باب: "ما أعرب من الأعجمية"، من غير أن يضع شروطاً للتعريب، فقال: «اعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم النّبة، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم، وربّما لم يلحقوه».³ وحدّد الجوهري ماهية مصطلح

¹ ينظر: العائبي حاكم مالك، التّرادف في اللغة، دار العربية، بغداد، د ط، 1980م، ص 163.

² ينظر: عبد العزيز ياسين، المعرب والدخيل في كتاب العين - دراسة ومعجم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة العاشرة، العدد 37، 2002، ص: 74.

³ سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د ط، دت. 303/4.

المعرب بشكل مختصر، قال: «وتعريب الاسم الأعجمي، أن تتفوه به العرب على منهاجها. تقول: عَرَبْتُهُ الْعَرَبُ وَأَعْرَبْتُهُ أيضاً».¹

أما من حيث التأليف فيعدّ الجواليقي صاحب أول كتاب في بابه، وأقدم مصنف في موضوعه لكنّه لم يذكر الفرق بين المعرب والدخيل، ولم يذكر مصطلح الدخيل إلاّ في أربعة مواضع. وقال في مقدمة كتابه: «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول (ص) والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح».²

والجدول التالي يوضح الفرق بين المعرب والدخيل والمولد كالآتي:

- **المعرب:** هو اللفظ الأجنبي الذي غيّر العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب.
- **الدخيل:** هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربي دون تغيير كالأوكسجين والتلفزيون.
- **المولد:** هو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية والاستشهاد.³

	اللفظ	المعنى	حدوثه	المثال
المعرب	أجنبي	لا يتغير	في الماضي	الزنجبيل
الدخيل	أجنبي	لا يتغير	في الماضي حتى الحاضر	الأوكسجين والتلفزيون
المولد	عربي	يتغير	في الماضي حتى الآن	السيارة

وخلاصة القول إنّ الدخيل هو الأجنبي، دخل اللغة العربية من مفردات، وما استعمله فصحاء العرب باسم المعرب، فيطلق على كلّ ما دخل إلى اللغة العربية من اللغات الأعجمية سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده.⁴

¹ الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط 2، 1979م، 179/1.

² المعرب، الجواليقي، ص: 14.

³ ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص: 16.

⁴ ينظر: المعرب، الجواليقي، ص: 16.

والعامل الرئيسي في دخول هذه المفردات يرجع إلى اتصال العرب قبل الإسلام وبعده بالأمم المجاورة اتصالاً مادياً وثقافياً وسياسياً. ففتح عن ذلك ظهور ألفاظ لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد، والصناعة، والزراعة، والتجارة، والعلوم والفلسفة، والآداب والدين ومختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية.¹ وكذلك صلات العرب ببلاد فارس قبل الإسلام، جعلت طائفة من مفردات اللغة الفارسية تنتقل إلى العربية، ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغة الفارسية التي كانت معاصرة للعصر الجاهلي وصدر الإسلام هي اللغة الفهلوية وليست الفارسية الحديثة، ومن أهم ما اختلف فيه اللغتان هو أن بعض الصيغ الفهلوية كانت تنتهي بكاف² مثل: دورك بالفارسية دورق بالعربية.

التعريف بكتاب النوادر وصاحبه

أبو زيد الأنصاري (215 هـ) إمام من أكبر أئمة اللغة والنحو والشعر والأخبار والأدب في العصر العباسي الأول، وقد كان هذا العصر زاخراً بثقافات أجنبية متعددة دخيلة على العرب، امتزجت بالثقافة العربية الأصيلة، ونشطت في هذا العصر حركة الترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية، وكان نتاج تلاقي هذه الثقافات ازدهار الحياة العلمية بالبصرة، فنشأ أبو زيد في هذا العصر الزاهر ونهل من ثقافته، وهذا جلي ظاهر في كتابه النوادر.

أمّا كتابه النوادر في اللغة فهو مصدر مهم من مصادر اللغة، تتمثل مادته في لغة البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها ولهجاتها، وهو أقدم ما وصل إلينا في موضوعه، والكتاب في أصله أمال عامة في اللغة كان أبو زيد يملئها في مجلسه بالبصرة ثم زاد عليه تلاميذه من بعده، وهو كتاب معتدل الحجم ولكنه غزير المادة اللغوية عرضها من خلال النصوص الشعرية والنثرية ويحتوي على قدر كبير من الألفاظ الغريبة والنادرة. وتتمثل أهمية الكتاب في أنه سجل لنا خطوة من الخطوات الأولى في طريق الوصول إلى

¹ ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 133.

² ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 31.

المعاجم اللغوية، وأوصل إلينا مجموعة من الشعر والرجز لشعراء مشهورين لا نجدها في دواوينهم المطبوعة التي بين أيدينا، واحتفظ الكتاب بمجموعة من أسماء الشعراء المغمورين وأشعارهم التي لا نجدها في غيره من المصادر الأخرى، كما حدّد العصور التي عاش فيها بعض هؤلاء الشعراء.

2. الألفاظ المعربة والدخيلة في كتاب النوادر

طوّعت العرب الألفاظ بألسنتها، وغيّرت فيها بالزيادة أو النقصان والإبدال في الأصوات، ليجري بحسب أبنيتها، ويوافق أصواتها، حتى يغدو على صورة شبيهة بصورة الألفاظ العربية. وقد تلقف الشعراء والرجّاز كثيرون هذه الكلمات، وأدخلوها في أشعارهم وأراجيزهم، وممّا ورد من تلك الألفاظ المعربة والدخيلة في كتاب النوادر نذكر:

1. الديوان:¹

جاءت كلمة ديوان في قول رجل من بني ضبّة أنشدته المفضل:

إِنَّ لِسَعْدَى عِنْدَنَا دِيْوَانَا يُخْزِي فُلَانًا وَأَبْنَهُ فُلَانًا

والديوان مكسور، ولذلك قيل: دَوَاوِين مثل قيراط ودينار، وَلَوْ كَانَ دِيْوَان لَقَالُوا: دِيَاوِين، ولأدغموا الواحد، فقالوا: دِيَّان، كما قالوا دِيَّارٌ، والأصل: دِيْوَان.² والديوان بالكسر ولا تكون بالفتح، وهي فارسية وتعني الشياطين أي كتاب يُشبهون الشياطين في نفاذهم. و"الدّيو" هو الشيطان،³ والديوان في العربية: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء وأوّل من دَوَّن الديوان، عمر رضي الله عنه.⁴

¹ أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م، ص: 168.

² ينظر: المصدر نفسه، ص: 169.

³ ينظر: محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، دار الفكر، بيروت، ط1، دت، ص: 117.

⁴ ينظر: ابن منظور: اللسان، 520/4 (دَوَّنَ).

2. دينار: ¹

قال الأزهري: «قال أبو الهيثم، أصله دِنَار فَقُلِبَتْ إحدى التَّوْنَيْنِ يَاءً، ولذلك جُمِعَ على دنانير مثل: فَيْرَاطُ أَصْلُهُ قِرَاطٌ، وَدِيْبَاجُ أَصْلُهُ دِبَاجٌ».² وقال في مادة (تَنَر): وهو نظير مَا دَخَلَ فِي كَلامِ الْعَرَبِ مِنْ كَلامِ الْعَجَمِ مِثْلَ الدِّيْبَاجِ وَالدَّنَانِيرِ وَالسُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَمَا أَشْبَهَهَا.³ والدِّينَارُ فَارِسِي مُعَرَّبٌ، وَأَصْلُهُ دِنَارٌ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُعَرَّباً لَا تَعْرِفُ لَهُ الْعَرَبُ اسْماً غَيْرَهُ فَقَدْ صَارَ كَالْعَرَبِيِّ. وَفِي اللُّغَةِ الْفَهْلَوِيَّةِ مَعْنَاهُ الْعَمَلَةُ الذَّهَبِيَّةُ.⁴

3. خرديق: ⁵

والخرديق أعجمي معرَّبٌ، وَهُوَ طَعَامٌ يُعْمَلُ شَبِيهًا بِالحَسَاءِ أَوْ الْخَزِيرَةِ.⁶ قال العُذَافِرُ: وَعَجَلٌ بِشَحْمٍ تَنْخَذُ خُرْدِيقًا وَاشْتَرَى فَعَجَلًا خَادِماً لَبِيقًا
قال أبو زيد: و"الخُرْدِيقُ" بالفارسية: المِرْقَةُ: مِرْقَةُ الشَّحْمِ بِالتَّائِلِ.⁷
والخرديق أصله: خُورْدِيكٌ وَهُوَ بِالْفَارْسِيَةِ الْحَدِيثَةُ "خوردي" ومعناه: الطعام مطلقاً. وبالفهلوية (خورتيك) (xurtik).⁸

4. فردوس:

الفردوس أصله رومي عُرِّبَ، وَهُوَ الْبُسْتَانُ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْمَوْضِعَ

¹ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 169.

² الأزهري: التهذيب، 93/14، ابن منظور: اللسان، 416/4 (دَنَر).

³ ينظر: ابن دريد: الجوهرة، 758/1.

⁴ ينظر: الجواليقي، المعرَّب، ص: 290.

⁵ أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص: 170-171.

⁶ ينظر: الجواليقي: المعرَّب، ص: 275. السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة،

ط 2، 1988، ص: 53 ومحمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 111.

⁷ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 171.

⁸ ينظر: ابن منظور: اللسان، 64/4، (خَرْدَ). والجواليقي: المعرَّب، ص: 275.

الذي فيه كَرَم: فِرْدُوساً، قال الفراء: هو عربي، وقال ابن سيده: الفِرْدُوس الوادي الخصيب عند العرب كالبيستان.¹ قال النابغة الجعدي:²

فَسَلَامٌ إِلَهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ وَفُيُوءُ الْفِرْدُوسِ ذَاتِ الظَّلَالِ

قال أبو حاتم: أَتَتْ الْفِرْدُوسُ عَلَى أَنَّهُ الْجَنَّةُ وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ التَّذْكِيرُ، كَمَا يَقَالُ الْفِرْدُوسُ الْأَعْلَى، وجاء في القرآن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³ على معنى الْجَنَّة. قال ثعلب: "الفردوس": البستان ولا يسمى بذلك حتى يكون مملوءاً بالشجر والنخل، يقال فَرْدَسْتُ الْجَنَّةَ إِذَا مَلَأْتُهَا بِالثَمَرِ. وقال أبو الحسن الأخفش: التأنيث في الفردوس أجود، وقد بين ذلك القرآن، والتذكير يذهب به إلى معنى البستان.⁴

وفردوس "Firdawas" من ألفاظ الجنة في العبرية פִּרְדֵּיס "Pardés"، وفي الآشورية "Pardisu" بمعنى الحديقة والبستان.⁵

والصواب: أَنَّهُ مَعْرَبٌ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ وَأَصْلُهُ (بِرَادِيسُس) والسین في آخره أداة الرفع وب حذفها يبقى (براديس) فصادف بناؤه بناء الجمع، فعُدَّوه جمعاً وقالوا للمفرد فِرْدُوس وأطلقها اليونانيون على حدائق ملوك فارس.⁶

¹ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 470. ابن منظور: اللسان، 6/163 (فردس). الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987م، ص: 177.

² النابغة الجعدي، ديوان، ص: 231.

³ المؤمنون، الآية: 11.

⁴ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 220-221.

⁵ ينظر: حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2008، ص: 293.

⁶ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 470.

5. الدَّخْرِيسُ:¹

الدَّخْرِيسُ: من الأرض والثوب والذرع، وقال غير واحد من اللغويين: الدَّخْرِيسُ أصله فارسي، وهو عند العرب البنيقة واللَّبَنَةُ.² وقد تكلمت به العرب، قال الأعشى:

قَوَافِي أَمْثَالاً يُوسَعْنَ جِلْدَهُ كَمَا زِدْتُ فِي عَرْضِ الْقَمِيصِ الدَّخَارِصَا³

وجاء في كتاب الألفاظ الفارسية المعربة: الدَّخْرِيسُ بالتاء، بُنَيْقَةُ الثوب تعريب "تيريز". والنَّخْرِصَةُ، والنَّخْرِيسُ والتخْرِيصَةُ والدَّخْرِصُ لغات فيه. وهي رقعة مثلثة تكون على جانبي القميص.⁴

6. الغَرَانِيقُ:

الغَرَانِيقُ: جمع غَرَنُوقٍ وَغَرَنِيقٍ، وهو الشاب الممتلئ الناعم، وهو لفظ فارسي معرَّب.⁵ قال الأسود بن يَعْفَرُ النهشلي:

فَأَصْبَحَ بَيضَاتُ الْخَدُورِ قَدْ اجْتَوَتْ لِذَاتِي وَشِمْنُ النَّاشِئِينَ الْغَرَانِيقَا

و"اجتوت": كرهت، "لداته": أسنانه من الناس، "الناشيء": الفتى، "الغَرَانِيقُ" الطويل التام الحسنُ الثياب.⁶ قال آدي شیر: «الغَرَنِيقُ الشاب الأبيض الجميل، مركب من "غَرَا" أي أبيض، و"نِيكُ" أي جميل».⁷

¹ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 235.

² ينظر: الجواليقي، المعرَّب، ص: 297. والأزهري، التهذيب: 655/7. ابن منظور، اللسان: 6306/4 (دخرص).

الجوهري: الصحاح، 363 مادة (دَخَر).

³ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 235.

⁴ ينظر: السيد آدي شیر، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 34.

⁵ ينظر: محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 236.

⁶ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 232.

⁷ السيد آدي شیر، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 117.

7. الشَفْلُحُ:

الشَفْلُحُ: العظيمُ المسترخي، ويقال: الغليظُ الشَفَّةِ مسترخيها، واسع المنخرين العظيم الشفتين، فأراد غِلْظُ حرف شيء يَقْبُحُ ذِكْرُهُ، ويقال لثَمَرِ الكَبَرِ: الشَفْلُحُ، قال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ العَامِرِيُّ:
لَعَمْرُ اللَّهِ التي جَاءَتْ بِكُمْ مِنْ شَفْلَحٍ لَدَى نَسِيئِهَا سَابِغِ الإِسْبِ أَهْلِبًا¹
والشَفْلَحُ مُعَرَّبُ شَفْلَحٍ وهو بالسريانية الدارجة ثمر الكَبَرِ.² قال أبو زيد: و"الأهلب" الكثير، ويقال لثمر الكَبَرِ: الشَفْلُحُ. والكَبَرُ: هو اللَّصَف. الواحدة لصفة.³

8. الشَّرَابُ:

شَرِبَ الماءَ جَرَعَهُ، إِنَّ أَصْلَ هذه الكلمة فارسي وإن كان لها مشتقات كثيرة بالعربية، نحو قول الراجز:

رُبَّ شَرِيبٍ لَكَ ذِي حُسَّاسٍ لَيْسَ بِرِيَّانٍ وَلَا مُوَّاسٍ⁴

وقال راجز آخر:

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذْتَهُ أَكَّهُ فَخَلَّهُ حَتَّى يَبُكَ بَكَّهُ

الشرب الذي يشرب معه والذي يسقي إبله مع إبل صاحبه. فالشرب: المُولَعُ بِالشَّرْبِ، وهو هنا الذي يسقي مَعَكَ.⁵

وَشَرِبَ كلمة مركبة من "شر" أي "رَوٍ" و"شبعان"، ومن "آب" أي "ماء" ويوافقها اللاتيني: "Sorbere" والجرماني: "Saufen"، والإنجليزي: "Supen"، والعربي: "جَرَعَ"، والسنسكريت: "Grap"؛ أي جَرَعَ وشَرِبَ، وفي السريانية: "Sreb" بمعنى جَفَّ، وفي الحبشية: "Saraba" WLN

¹ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص 179.

² ينظر: السيد آدِي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 101.

³ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 179-180.

⁴ ينظر: نفسه ص 479-480، والصفحة 389-390.

⁵ ينظر: ابن منظور: اللسان، 496-487/1 (شرب)، الفيومي: المصباح المنير، ص: 117.

بمعنى تَجَرَّعَ وَابْتَلَعَ.¹

9. السَّاسَمُ:

اختلف في تعيين معناه، فقال البعض أنه شجر أسود، وآخرون أنه الأبنوس وهو شجر تعمل منه العصي، وجاء بمعنى الشَّيْرُ وهو خشب أسود تتخذ منه الأمشاط والقصاع وغيرها. ويقال: الشَّيْرُ والشَّيْرَى ويقال له الأبنوس والسَّاسَم.² واستشهد أبو زيد بقول ضمرة:

نَاهَبْتُهَا الْغَنَمَ عَلَى طَبِيعٍ أَجَرَدَ كَالْقَدْحِ مِنَ السَّاسَمِ

فهو يشبه "طَبِيعٍ" وهو فرسٌ لَيْنُ العَنَانِ طَوَّعٌ، لكنه صَلَبٌ كَأَنَّهُ قِدْحٌ مِنْ خَشَبِ الأَبْنُوسِ.³ وأُفْرِدَ له "آدي شير" معنى آخر وهو "الْكُمُونُ الملوكي".⁴

10. دَلُو:

الدُّلُو ما يستقى به، والظاهر أنه من موافقات اللغات وقد جاء بالسريانية واليونانية والعبرانية، بالسريانية dawla والعبرية דל' "dêlî" وفي الآشورية dilutu وكلها بمعنى "دلو" و"إناء"، وهو: "دُولُك" بالتركية، ودُول بالكردية و Sitvla بالرومية، ومن الرومي Situla مأخوذ الكلمة العربية "سطل". وأما السَّطْلُ أي الدَّلُو فمأخوذ من الحبشي Sagal.⁵

وجاء في النوادر قول الزجاج:⁶

خَيْرُ دَلَاةٍ نَهْلٍ دَلَاتِي قَاتِلَتِي وَمِلُّوْهَا حَيَاتِي

¹ ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة، ص 64. حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، ص 236.

² ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص 254.

³ ينظر: نفسه، ص 255.

⁴ السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص 91.

⁵ ينظر: نفسه، ص 66. حازم علي كمال الدين، ومعجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، ص: 174.

⁶ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 258.

و"دَلَاةً"، جمعها دَلَاءٌ، قال أبو حاتم: يقال: دَلَوُ، وثلاث أدلٍ، ودَلَاءٌ، ويقال أيضا: دَلَاةٌ ودَلَاءٌ، والدَلَاءُ مذكر، وهو الدَلْو الصغير.¹

11. دَغَلٌ:

دَغَلَ دَغْلًا دَخَلَ دخول المريب، وأدْغَلَ به خَانَهُ. وأدْغَلَ غتب في الدغل. و"الدَّغَلُ" دخل في الأمر مُفسد واشتباك النبت... الخ. والكلمة فارسية: دغل، أخذته العرب وتصرفت فيه، ومعناه بالفارسية المكر والحيلة والفساد والمكár والزائف من الدرهم ومنه الكردي دغل.² قال أبو زيد: «ويقال في صَدْرِ فلانٍ عَلَيَّ دَغْلٌ ودَاغِلَةٌ أي شرٌّ. والدَّاعِلَةُ أيضا القوم يُريدون خيانة الإنسان أو عَيْنُهُ».³

12. الدَّهْدَنُ:

الدَّهْدَنُ والدهدرين: الباطل، قال الشاعر:

لَأَجْعَلَ لابنةِ عَمْرُو فَنًا حَتَّى يَكُونَ مَهْرُهَا دُهِدْنًا

قال أبو زيد: "الدَّهْدَنُ: البَاطِلُ".⁴ ومنه قولهم: "دُهِدْرَيْنَ ودُهِدْرِيَه" للرجل الكذوب. والدهدن لغة فيه، وهما تقريبن "دَهْ دِلَه" ومعناه ذو عشرة قلوب والمراد به الرجل الكثير التقلب. وفي المثل: "دهدْرَيْنَ وسَعْدُ القين"، يضرب للكذاب. وأورد آدي شير أكثر من تفسير لمعنى الفشل.⁵ ودُهِدْرَيْنَ أيضا اسم فعل لِيَطْلَ كهيئات للباطل وللکذب، و"دَه" اسم صوت تدعى به الناقة إلى

¹ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 258. الجوهري: الصحاح، ص: 380. الفيومي، المصباح المنير، ص: 76.

² ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص 65. الجوهري: الصحاح، ص: 376. ابن منظور، اللسان، 245/11 (دغل).

³ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 587.

⁴ ينظر: أبو زيد الأنصاري النوادر، ص: 243. السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 67. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 1198.

⁵ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 67.

ولدها. و"دَرَيْن" مثني "دَر" من قولهم دَرَّ اللبن والتثنية فيه للتكثير كما في "لَبِيك" ونحوه؛ أي ألزم عملك فنتال خيراً بعد خير. والدَّهْرَيْن يطلق بالفارسية كما قلنا على الرجل عديم الوفاء، كثير التقلب فكراً وقولاً في كل دقيقة ولحظة.¹

13. مَنجُون:

المنجون الدُّولاب التي تديرها الدّابة لِيُسْقَى بها الماء، وهي كلمة مركّبة من "دولا" بمعنى الإناء، ومن "آب" أي الماء.²

قال الشاعر:

كَأَنَّ عَيْنِيَّ وَقَدْ بَاطُونِي غَرَبَانٍ فِي جَدُولٍ مَنجُونٍ

قال أبو الحسن: قال أبو العباس: المَنجُون: الدُّولاب.³ وهو من الكلمات الفارسية الدخيلة، وهو على شكل الناعورة يبقى به الماء.⁴

14. السريال:

لباس وهو معروف، مُعَرَّب "سروال"، وأصل الكلمة مركب من: "سِرْ" أي فوق ومن "بال" أي القائمة.⁵ وكلمة سريال فيها بالعربية: "السِرْوَال، والسراويل، وأنشد عمرو بن ملقظ:

مَهْمَا لِي اللَّيْلَةُ مَهْمَا لِيَهْ أُودَى بِنَعْلِيَّ وَسِرْبَالِيَهْ⁶

وقال الجواليقي: إنّ السروال فارسي وأصله "سِلْوَار" بمعنى الإزار وهو مركب من "سِلْ" بمعنى

¹ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² ينظر: المصدر نفسه، ص: 65.

³ ينظر: أبو زيد الأنصاري النوادر، ص: 262-263. ابن جني: الخصائص، 149/2.

⁴ ينظر: الجواليقي، المعرّب، ص: 42.

⁵ ينظر: السيد آدي شير الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 88. محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة،

ص: 124، 220.

⁶ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 267.

الفخذ اللاحقة "وار" للنسبة.¹ وهنا نلاحظ اختلاف بين آدي شير والجواليقي في تفسير معنى الكلمة ولعلّ تفسير "آدي شير" أقرب إلى الحقيقة، وقد وقع في اللفظ المعرب قلب مكاني فقدمت الراء على اللام وقلبت الشين سيناً فأصبح سِرْوَال.

والسراويل يُذَكَّر ويؤنَّث والجمع السَّرَاوِيلَات، وليس في الكلام "فِعْوِيل" غيرها، ولم يعرف الأصمعي فيها إلّا التأنيث.² قال سيبويه: سَرَاوِيل واحدة، وهي أعجمية أُعْرِبَتْ فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، فهي مصروفة في النكرة... وإن سميت بها رجلاً لم تصرفها، وكذلك إن حقرتها اسم رجل لا تصرفها كما لا تصرف عناق اسم رجل.³

وفيه بالعربية لغات: سروال وسِرْوِيل وسَرَاوِيل، وسراويل وشِرْوَال، وبنوا منه أفعالاً منها سَرَوَلَ وتَسَرَوَلَ وسَرَّوَلَ وتَسَرَّوَلَ.⁴

15. الرِّزْدَاق:

قال الرّاجز:

مُؤَفِّرٌ مِنْ بَقَرٍ الرِّزْدَاقِ.

قال أبو زيد: أراد الرُّسْتَقَاقَ، يقال: رُسْتَقَاقٌ ورُزْدَاقٌ.⁵ والرُّزْدَاقُ لغة في تعريب الرُّسْتَقَاقِ، والرُّزْدَقُ: السطر من النخل، والصف من النَّاس وهو معرَّب، وأصله فارسي: (رُسْتَه). والرُّزْدَاقُ والرُّسْتَقَاقُ واحد، دخيل عربيّوهُ فألحقوه بقُرْطَاس، والجمع الرُّسَاتِيْق وهو السَّوَاد، ويطلق على البيوت

¹ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 391.

² ينظر: ابن منظور، اللسان، 334/11 (سَرَلَ). الفيروزآبادي القاموس المحيط، ص: 1054. الأزهرى، التهذيب، 390/12. الخليل بن أحمد: العين، 242/72.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب، 227/3.

⁴ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 88. الخليل بن أحمد: العين، 242/7. ابن منظور: اللسان، 334/11. الأزهرى: التهذيب، 396/12. الفيروزآبادي القاموس المحيط، 1014. الفيومي: المصباح المنير، ص: 104.

⁵ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 391.

المجتمعة. وقال بعضهم الرّستاق مولدٌ وصوابه رزداق،¹ وجاء في شعر ابن ميادة:

تَقُولُ خُوْدٌ ذَاتُ طَرْفٍ بَرَّاقٍ هَلَّا اسْتَرْتَيْتَ حِنْطَلًا بِالرُّسْتَاقِ

بمعنى السواد.²

16. البرنتي:

هو السيئ الخلق تعريب "برنتي" ومعناه الغرور والعجب والتكبر.³

قال الشاعر:

مَا بَالُ زَيْدٍ لِحَيَّةِ الْعَرَضِ مُبْرَنْتِيْنَا كَالْخُرْرِ الْمَرِيضِ

والمبرنتي: الغضبان الذي لا ينظر إلى أحد.⁴

17. المَهْرُ:

المَهْرُ الصَّدَاق وهو معرّب عن "مِهْر" ومعناه المحبة والخلوص والعلاقة،⁵ ويقال أَمَهَرْتُ وَأَصْدَقْتُ، وهو الصداق والجمع مُهَوْر.⁶ وقال أبو الحسن: أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد قال: لا اختلاف بين البصريين أنّ العرب تقول: هو الصَّدَاقُ تكسر الصاد، وغير أهل البصرة بفتح الصاد، الصَّدَاقُ. قال ومَهَرْتُ المرأةَ هي المشهورة الفصيحة. وأنشد للأعشى:

¹ ينظر: ابن منظور: اللسان، 116/10 (رستق). الأزهرى: التهذيب، 399/9. الجواليقي، المعرّب، ص: 325. محمد

سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 38، 209. السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 71.

² ينظر: ابن منظور، اللسان، 116/10 (رستق). محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 38،

208-209. السيد آدي شير الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 71.

³ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 18.

⁴ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 392.

⁵ ينظر: السيد آدي شير الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 147.

⁶ ينظر: ابن منظور، اللسان، 184/5 (مهر). الجوهري، الصحاح، ص: 1102. الفيومي، المصباح المنير، ص:

وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فَايَهَا

قال وأمهرت لغة وليست في جودة أُصْدَقْتُ.¹

فأبو العباس عَدَّ: مَهَرْتُ كلمة فصيحة مشهورة في حين عَدَّها أبو الحسن لغة، ولها نظائر في اللغات السامية، وأُصْدَقْتُ هي الأجود.

وكلمة "مَهَر" في العبرية "móhar" מוהר، وفي الأرامية "móhārā"، وفي السريانية "mahar".²

18. مَوْقُ:

المَوْقُ: الخفّ فارسي مُعَرَّبٌ، وقيل هو خفّ غليظ يُلبَس فوق الخُفِّ.³ وفي حديث عن عمر رضي الله عنه: أنّه لما قدم الشام عَرَضَتْ له مَخَاضَةٌ فنزل عن بعيره ونزع مَوْقِيَهُ.

والمَوْقُ تعريب "مُوكَه" (mok) بالفهلوية، ومنه (مَوْقا) بالسريانية⁴ وهو أيضا تعريب "مُوزَه"، "المُوزج" وهو بالخفّ بالفارسية، والمَوْق والمُوقان لغتان فيه.⁵

وقد عَدَّهُ الفيومي معرّب أو مولّد، هو الخفّ والمُوقُ المُوَحَّرُ، والمَاقُ المُقَدَّم.⁶ وأنشد أبو زيد لامرأة أعرابية:

يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الطَّوِيلُ المَوْقُ أُمُّ يَهَنُّ وَضَحَ الطَّرِيقُ¹

¹ ينظر: أبو زيد الأنصاري النواذر، ص: 532. الأعشى، الديوان، ص: 69-75.

² ينظر: حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، ص: 371.

³ ينظر: ابن منظور، اللسان، 337-335/9 (موق)، الجوهري، الصحاح، ص: 1104. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 925.

⁴ ينظر: الجواليقي، المعرّب، ص: 576.

⁵ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 145. محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 150، 263.

⁶ ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ص: 224.

19. الزُّنْدُ:

الزُّنْدُ العُودُ الذي تُقَدِّحُ به النَّارُ وهو الأعلى الذي يضرب به. والزَّندَةُ السُّفْلَى فيها ثَقْبٌ وهي الأُنْسُ فإذا اجتمعوا قيل زندان وأصلها فارسي.²

وأورد أبو زيد قول القتال الكَلَابِي:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ صَبِيَانَا تَجِيْ بِهِمْ أُمُّ الْهَيْئِيرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي³

قال أبو حاتم: وقوله « مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي » ضرب الزُّنْدَ مثلاً للزَّجَمِ، والزُّنْدُ تُسْتَخْرَجُ منه النَّارُ، والوَارِي: الوَاقِدُ.⁴

20. الدَّاجِي:

الدَّجَّةُ شدة الظلمة، و"الدَّجُوجِي والدَّيْجُوجُ" من الليالي المظلمة، و"الدُّجِنَةُ والدُّجِنَةُ والدُّجَى والدُّجْبَةُ والدُّجَى" الظُّلْمَةُ والدُّنْيَا المظلمة. و(دَجَا يَدْجُو دَجْوًا) أَظْلَمَ. و"أَدَجَى وَتَدَجَّى وَادَّجُوجَى كُلٌّ ذلك راجع إلى أصل واحد فارسي وهو "دَاجَ" ومعناه الظلمة والليل المظلم، والدَّجِيج والدَّجْدَاج: الأسود من كل شيء.⁵

وجاء في قول الشاعر: رومي بن شريك الضَّبِّي:

فَإِنْ تَرَى شَمَطًا فِي الرَّأْسِ لَاحَ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَسْحَمِ دَاجِي اللَّوْنِ فَيَنَانِ

"ودَاجِي اللون": شديد السَّوَادِ.⁶

¹ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 342.

² ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 80.

³ قتال الكَلَابِي، الديوان، تحقيق: أحمد بن عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1989م، ص: 57.

⁴ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 190.

⁵ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 60. الجوهري، الصحاح، ص: 360. ابن منظور، اللسان، 265/2 (نَجَجَ).

⁶ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 192.

21. الأسطوانة:

الأسطوانة من الكلمات الفارسية الدخيلة، وهي من الفهلوية "stún" وتصرف فيها العرب لأنها تبدأ بسكون فأزالوه بزيادة همزة متحركة.¹
والأسطوانة والأصطوانة.² والأسطوان: الدعامة وقوائم الدابة معرب "أستون" ومنه التركي والكُردي "سَيُون" ومنه مأخوذ الأسطوان بمعنى الجمل الطويل العنق أو المرتفع.³

22. الحِرْبَاءُ:

الحِرْبَاءُ جنس من العِظَاء، فارسية مُعرّبة، وأصلها بالفارسية "حَرْبَا"، أي حافظ الشمس.⁴ وقال آدي شير: أَنَّ اللفظة "حَرْبَان" وهي مركبة من "حُرْ" بالفارسية أي الشمس ومن "بان" أي حافظ ومترقب.⁵

وجاء في النوادر: «إذا طلعت الجَوَزَاء انتصب العُودُ في الحِرْبَاء»، يريدون انتصب الحِرْبَاء في العود وذلك من شدة الحرّ، وذلك أَنَّ الحِرْبَاء ينتصب على الحجارة، وعلى أَجْدَالِ الشجر، يستقبل الشمس، فإذا زالت زال معها مقابلاً لها.⁶

23. الشَّنْدَارَةُ:

وهي بالفارسية "الشَهْدَارَةُ" وتعني الفاحشُ والنَّمَامُ المُفْسِدُ وهي مركبة من "شيهه" أي صَهِيل ومن "ذار" أي صاحب.⁷ والشَّنْدَارَةُ مهموز: الفاحش، قال بعضهم الشَّنْدَارَةُ بالنَّون القِيوم، وأنشد:

¹ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 35، 81.

² ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 481.

³ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 11.

⁴ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 263.

⁵ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 50.

⁶ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 409. ابن منظور: اللسان، 307/1 (حرب).

⁷ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 103.

يَسُوقُ بِهِمْ شُدَارَةً مُتَقَاعِسٍ عَدُوَّ صَدِيقِ الصَّالِحِينَ لَعِينُ¹

ورجل شذارة أي غيور، وبالفارسية شذارة أي رجل غيور من "شب" أي سرعة ومن "ذار" أي صاحب.²

24. النَّمَارِقُ:

النَّرْمَقُ فارسي معرَّب لَأَنَّهُ ليس في الكلام كلمة صدرها نون أصلية وثانيها راء. وقال: معناه نَرْمٌ وهو الجِدُّ، وقال غيره: اللَّيْنُ النَّاعِمُ.³
أَعَدَّ أَخْطَالًا لَهُ وَنَرْمَقًا⁴

وأراد بالنَّرْمَقِ الثياب اللينة البيضاء وأصل الكلمة بالفارسية الحديثة "نَرْم" ومعناه اللَّين الناعم. واللفظ معرَّب من الصيغة الفهلوية المنتهية بالكاف.⁵ قال آدي شير: «النرمق اللَّين الناعم تعريب نَرْمُهُ ومنه الكردي نَرْمٌ».⁶ واللفظ الفارسي "نَرْم" صيغته القديمة "نَرْمُ" بتقديم الميم على الراء فهو باللاتينية (namra)، ومن هذه الصيغة جاء نَرْمَقُ،⁷ قال عُبَيْس بن شِيحان:

أَذَاكَ وَلَمْ تَرْجُلْ إِلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ بِرِحْلِي حَرْجُوجَ عَلَيْهَا النَّمَارِقُ

وَالنَّمَارِقُ: مَا تُطْرَحُ عَلَى الرَّحَالِ،⁸ ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ

¹ ينظر: أبو زيد الأنصاري النوادر، ص: 589. ابن منظور: اللسان: 431/4 (شذرن).

² ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 97.

³ ينظر: ابن منظور: اللسان، 352/10 (نرمق). الأزهري: التهذيب، 417/9. الجواليقي، المعرب، ص: 609.

⁴ ينظر: رُوِيَّة، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رُوِيَّة، اعتنى به: الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، الكويت، دط، ص: 109. باختلاف في رواية الرجز: أَجْرُ مَكَانِ خَرٍّ، خِطْلًا مَكَانِ نَرْمَقًا.

⁵ ينظر: الجواليقي: المعرب، ص: 610.

⁶ السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 152.

⁷ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 610.

⁸ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 210.

مَصْفُوفَةٌ¹ والنمارق والنَّمْرُقُ: الوسائد، وقيل وسادة صغيرة.² والنمرق والنُّمْرُقَةُ فُسْرَت بالوسادة الصغيرة يُنَكَّأ عليها أو المثيرة أو الطنفسة فوق الرجل مأخوذة من "تِرْمَاك" وهو يطلق على كل شيء لَيْن ناعم لصيف.³

25. الجَابُ:

الجَابُ الحمار الغليظ مطلقاً أو كلَّ جَافٍّ غليظ تعريب (كَب) ومعناه الحمار الغليظ.⁴ وأنشد أبو زيد:⁵

يَضْرِبُنْ جَاباً كَمْدُقِ الْمِعْطَرِ نَسْتَشِفُّ الْبَوْلَ انْتِشَافَ الْمَعْدُورِ

قال أبو الحسن: يضرِبُنْ جَاباً فَإِنَّمَا عَنَى أَتْنَأَ، والجَابُ الْفَحْلُ: وهو الغليظ من الحُمُرِ.⁶

26. الْجَزَرُ:

الْجَزَارُ السيف الماضي مشتق من (كَرَزَ) وهو ضرب من الأسلحة على شكل عمود من حديد وهو معرَب.⁷ قال أبو زيد: «وَسَيْفٌ جَزَارٌ إِذَا اسْتَوْفَى الضَّرْبَةَ».⁸

27. الدَّوَكَةُ:

الدوكة الشَّرَّ، يقال وقع في دوكة ويَوَكَّة؛ أي في شَرٍّ،⁹ وهي كلمة فارسية بمعنى الشر

¹ الغاشية، الآية: 15.

² ينظر: الفراء، معاني القرآن، 258/3. الجواليقي: المعرب، ص: 610.

³ السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 154.

⁴ نفسه، ص: 37.

⁵ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 570-571.

⁶ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 571. ابن منظور: اللسان، 248/1 (جَابَ). الأزهرى: التهذيب، 221/11.

⁷ السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 40.

⁸ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 474. ابن منظور: اللسان، 317/5 (جَزَرَ).

⁹ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 406.

والخصومة تعريب (دُوكوشمال) بحذف الشطر الأخير منه.¹

28. اليبابُ:

الْيَبَابُ أرض يباب أي خراب، فارسية من "يَبَاب" ومعناه "الخَرِب" المعطلّ القُفْر والمُفْقَر، ويرادفه التركي "يَبَان" وقالوا فيه يَبَب. وجاء في النوادر اليبابُ: الحوض الذي ليس فيه شيء، واليبابُ أيضا الخَرَابُ، وأنشد أبو زيد قول الشاعر:

قَدْ وَرَدَتْ وَحَوْضُهَا يَبَابُ كَأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا أَزْبَابُ²

29. الأسبُ:

الأسب شعر الرُكْب تعريب (السب).³ وجاء في النوادر قول خدّاش بن زهير العامري:

لَعَمْرُ التّي جَاءَتْ بِكُمْ مِنْ شَفَلَجٍ لَدَى نَسِيبَيْهَا سَابِغُ الْإِسْبِ أَهْلَبَا⁴

والإسب: الشعر الأسته، قيل شعر الفرج.⁵

30. البهانة:

الْبَهَانَةُ المرأة الضحّاقة الخفيفة الروح تعريب "يَهْنَأَه" وهو نوع من القُرود، يقال له بالتركية

"يوزينه".⁶ وجاء في النوادر، قول غامان بن كعب بن عمرو بن سعد (شاعر جاهلي):

أَلَا قَالَتْ بَهَانٍ وَلَمْ تَأْبَقْ نَعِمْتُ وَلَا يَلِيطُ بِكَ النَّعِيمُ⁷

¹ السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 69. ابن منظور، اللسان، 430/10 (دوك).

² ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 245.

³ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص 86.

⁴ خدّاش بن زهير العامري، الديوان: صنعت: يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 1986، ص: 58.

⁵ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 179، اللسان، 163/1 (أسب).

⁶ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 30. ابن منظور: اللسان، 647/1 (بهن).

⁷ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 175.

و"بَهَان" اسم امرأة، قال أبو الحسن: « وَأُخْبِرْتُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّ "بَهَانَ" أَخَذَ مِنْ بَهَانَةٍ، وهي العظيمة الخلق الناعمة¹». وقيل الطيبة الريح السمة اللينة في عملها ومنطقها.

31. صيق:

الصيق الريح وأصله نبطي زيقاً، وهو أيضاً: الغبار الجائل في الهواء، ويقال: صيقة وجمعها: صَيِّقٌ. وأنشد ابن الأعرابي:

كَيْ كُلِّ يَوْمٍ صَيْقَةٌ فَوْقِي تَأْجُلُ كَالظُّلَّةِ

وقال رؤبة:

يَنْزَكْنَ تُرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونِ الصَّيِّقِ²

وقال أبو زيد: «يقال: مَا أَتَتْ صَيْقَ فُلَانٍ، وصَيْقُهُ: ريحُه المنتبِةُ خاصّةً ومن كلِّ الدواب³». وقال بعضهم: هي كلمة معرّبة، أصلها زيقاً بالعبرانية، والصيق الصوت أيضاً⁴.

32. الغُس:

الضعيف واللّين من الرّجال تعريب (كث) ومعناه الأعوج⁵، والجمع أغسّاسٌ وغِسّاسٌ وغُسُوسٌ. والغُسُوسُ الضعفاء في آرائهم وعقولهم⁶، قال أبو زيد:

لَوُمْتُ عَنْهُمْ غُلَاماً غُسّاً أَضْعَفَ شَيْءٍ مُنَّةً وَنَفْساً⁷

¹ المصدر نفسه، ص: 176.

² رؤية، الديوان، ص: 106.

³ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 335.

⁴ ينظر: الجواليقي، المعرب، ص: 419-420. الأزهرى، التهذيب، 222/9. ابن منظور: اللسان، 208/10 (صَيِّق).

⁵ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 116.

⁶ ينظر: ابن منظور، اللسان، 154/10 (غُسّس).

⁷ أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 162.

33. فَأَثُور:

الفائور الطسْتُ أو الطشتخان أو الخوان من رخام أو فضة أو ذهب وقرص الشمس والناجود والباطية تعريب (يَنْزِر) وهو كل ما صُفح من ذهب وفضة أو نحاس. والظاهر أَنَّ الكلمة أرامية الأصل ومعناها المائدة والطبق.¹

وأُشد أبو زيد لحاتم الطائي:

وَنَحْرًا كَفَأُورِ اللَّجِينِ بَزِيئُهُ تَوَقَّدُ بِأَقْوَتٍ وَشَدْرًا مُنْظَمًا

والفائور: الخَوَان، اللجين: الفضة.²

34. الصَّرْد:

الصد فارسي معرَّب، وهو البر وهو أيضاً صَرْدٌ بالكردية، وقالت فيه العرب: صُرِدَ صَرْدًا وصَرَدَ والصَّوَارِدَ والرُّود والصَّرِدَ والمِصْرَادَ والصَّرِدَةَ والصِّرُ.³

والتصريد شُرِبٌ دون الرِّي، يقال: صَرَدَ شُرْبُهُ؛ أي قطعه.⁴ الصَّرْد: البحث الخالص، والصَّرْدُ: البَرْد وهو فارسي معرَّب. والصرود من البلاد: خلاف الجروم. وصَرِدَ الرَّجُلُ فهو صَرِدٌ ومِصْرَادٌ: يجد البَرْدَ سَرِيعاً. قال أبو زيد: يقال شربت ماءً خالصاً والصَّرْدُ مثله.⁵

35. عطش:

العطش خلاف الرِّي مثل "تَش" معنى وقريبٌ منه لفظاً ويرادف اللاتيني "sitis" والكردى "تي"

¹ ينظر: السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 117.

² ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 356. ابن منظور: اللسان، 44/5.

³ ينظر: المعرَّب، ص: 420. السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 107. محمد سليم، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 132، 229.

⁴ ينظر: ابن منظور: اللسان، 248-249/3 (صرد). الأزهرى، التهذيب، 139/12 (صرد).

⁵ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 531.

أو "تِهْنُ"¹

خاتمة:

هذه هي كل الألفاظ المعربة والدخيلة التي أحصيتها في كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، الذي اشتهر بجمعه للغة، فكتابه هذا حوى أفصح الفصح إلى جانب الغريب المهمل. وهذه طائفة من الألفاظ الدخيلة في اللسان العربي تبين أنّ العرب قد أخذوها وهم في غنى عنها وذلك بسبب خفة اللفظ المستعار وسهولة نطقه بالقياس إلى المرادف العربي أو بسبب جدّته وطرافته.

¹ ينظر: أبو زيد الأنصاري، النوادر، ص: 288. السيد آدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 115.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو بكر بن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: كرنكو، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، دط، 1351هـ.
2. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983م.
3. أبو زيد الأنصاري، **النواذر في اللغة**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م.
4. أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق علي النجار، دار الكتب المصرية المكتبة العلمية، دط، دت.
5. أبو منصور الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار القومية للطباعة، القاهرة، دط، 1964م.
6. أبو منصور بن الحسن الجواليقي، **المعرب**، عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م.
7. أحمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987م.
8. إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصّحاح**، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2، 1979م.
9. الأعشى الكبير ميمون بن قيس، **الديوان**، تحقيق: محمد إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2010م.
10. ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، دط، دت.
11. حازم علي كمال الدين، **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2008م.
12. حاكم مالك العايبي، **التراذف في اللغة**، دار العربية، بغداد، دط، 1980م.
13. خدّاش بن زهير العامري، **الديوان**، تحقيق: يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، 1986م.
14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، دط، 1980م.
15. رؤبة بن العجاج، **مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة**، اعتنى به: الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، الكويت، دط، دت.
16. السيد أدّي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط2، 1988.
17. عبد القادر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1978م.

التعريب العدد السادس والخمسون . حزيران (يونيه) 2019م

18. عبد العزيز ياسين، **المعرب والدّخيل في كتاب العين - دراسة ومعجم**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة العاشرة، العدد 37، 2002م.
19. علي عبد الواحد وافي، **فقه اللغة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2005م.
20. عمرو بن عثمان بن قنبر، **سبويه، الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت.
21. قتال الكلّابي، **الديوان**، تحقيق: أحمد بن عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1989م.
22. محمد بن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء**، تحقيق: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
23. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005م.
24. محمد سليم، **المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة**، دار الفكر، بيروت، دط، دت.

بحوث في التعليم العالي

التعليم العالي في الوطن العربي

المشاكل ومقترح بعض الحلول

د. صبري محمد خليل خيري

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

السودان

أولاً: مفاهيم العلم والتعليم والتربية

مفهوم العلم: مفهوم العلم له دلالة خاصة ودلالة عامة، أما الدلالة الخاصة فهي نمط معين من أنماط المعرفة، يهدف إلى معرفة القوانين الموضوعية (أو السنن الإلهية بتعبير القرآن) التي تضبط حركة تحول الطبيعة، وتطور الإنسان، التي لا بد أن تأتي حلول المشاكل على مقتضاها لكي تكون صحيحة، وبالتالي يتصف العلم (طبقاً لهذه الدلالة) بصفيتين:

- **العينية:** أي إن العلم يبحث في وقائع معينة بذاتها زماناً ومكاناً ومن ثم تخضع للتجربة والاختبار.

- **الجزئية (النوعية):** أي إن العلم يبحث في الوجود النوعي (الجزئي) أي يبحث في القوانين النوعية التي تضبط حركة نوع معين من أنواع الوجود.

أما الدلالة العامة لمفهوم العلم فهي المعرفة بكل أنماطها.

مفهوم التربية: التربية هي عملية رعاية وتنمية ومتابعة لتكوين ونمو الشخصية بكل مكوناتها الفسيولوجية والعقلية والاجتماعية حتى اكتمال تكوينها، والمقصود باكتمال تكوينها اكتمال الهيكل الأساسي لبناء شخصيه الإنسان، إذ إن كل ما يكتسبه بعد ذلك ويتميز به هو بناء حول هذا الهيكل لا يقوم، معتدلاً ومستقراً، إلا بقدر اتفاقه، نوعاً وكماً، مع الهيكل الأساسي للشخصية¹

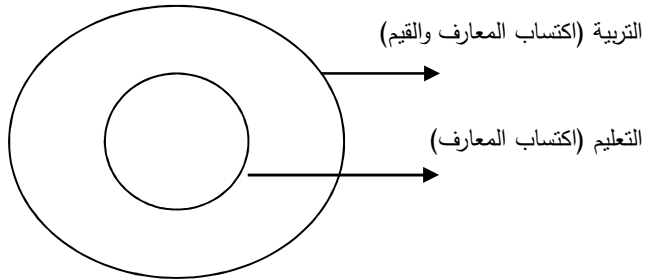
¹ د. عصمت سيف الدولة، عن العروبة والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 346-347.

فالتربية تتضمن عملية اكتساب مجموعة الضوابط الذاتية، أي الداخلة في تكوين الشخصية ذاتها، التي تحدد لكل فرد ما ينبغي أن يكون عليه موقفه وسلوكه واتجاهه في مواجهة الغير، والتي مصدرها المجتمع (الأسرة: الأم أولاً ثم الأب معها ثم الإخوة)، الأقارب، المدرسة، الرفاق... وهنا يجب التمييز لا الفصل بين المجالات الثلاثة للتربية:

- **علم التربية:** مضمونه البحث في الظواهر الجزئية العينية المرتبطة بنمو الشخصية بكل مكوناتها حتى اكتمال نموها والمتضمنة لعملية اكتساب مجموعة الضوابط الذاتية، والقوانين الموضوعية التي تضبط حركتها.
- **فلسفة التربية:** هي الأفكار أو المفاهيم الكلية المجردة السابقة على البحث في الظواهر الجزئية العينية السابقة الذكر.
- **فن التربية:** هو الأساليب أو الأنماط المستعملة في عملية نمو الشخصية بكل مكوناتها واكتسابها الضوابط الذاتية.

مفهوم التعليم: هناك بعض الآراء التي تجعل مفهوم التعليم يتطابق مع مفهوم التربية، لكننا نرى أن التربية أكثر شمولاً من التعليم، إذ إن التربية هي عملية اكتساب القيم والمعارف، أما التعليم فهو عملية اكتساب المعارف، لذا فإن التربية بالنسبة للتعليم بمثابة الكل للجزء تحده فتكمله وتغنيه ولكن لا تلغيه. ويدعم هذا الرأي الأصل اللغوي للمفهومين في اللغة العربية، فالتربية اشتقاق من ربا يربو ربواً إذا نما وزاد أما التعليم فصيغة تفعيل من العلم.

رسم توضيحي يبين علاقة التربية بالتعليم



ثانياً: التخطيط التعليمي:

تعريف المنهج التعليمي: تعددت تعريفات المنهج التعليمي وهنا نورد بعض هذه التعريفات:

1. مجموعة الغايات التعليمية والخبرات التعليمية التي تعرفناها وخططنا لها ونظمناها على نحو ييسر تقويم نتائج التعليم (هاميسون).

2. كل خبرات التعليم التي يكتسبها الطلاب داخل المدرسة (رايت).

3. وثيقة وضع تصميمها بحيث تستعمل كنقطة بداية في التخطيط التعليمي (بوشمان).¹

بناء على التعريفات السابقة فإن عناصر المنهج التعليمي تشمل:

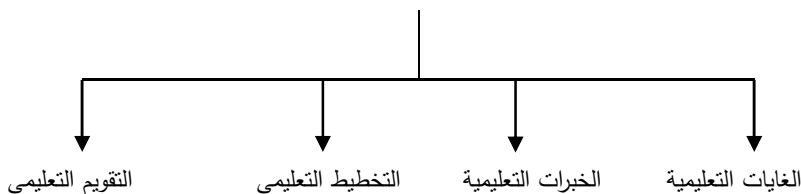
أ. الغايات التعليمية

ب. الخبرات التعليمية

ج. التخطيط التعليمي

د. تقويم نتائج التعليم

رسم توضيحي يبين عناصر المنهج التعليمي



أما تعريفنا للمنهج التعليمي فهو: مجموعه القواعد التي تحدد نوع المشاكل التعليمية (أي المتعلقة باكتساب الشخصية للمعارف والضوابط الذاتية خلال نموها) التي يواجهها المجتمع وطرق العلم بها، ونمط الفكر الذي يصوغ حلولها، وأسلوب العمل اللازم لحلها.

فما اصطلح عليه بوشمان بالوثيقة يقابل في التعريف مجموعة القواعد التعليمية، والخبرات

¹ استراتيجيات تخطيط المناهج وتطويرها، د. طاهر عبد الرازق ود. عبد الرحمن حسن، القاهرة، النهضة العربية، القاهرة 1982، ص 8.

التعليمية والغايات التعليمية وهي تتعلق بنمط الفكر الذي يصوغ حلول هذه المشاكل (إذ الخبرة مجموعة الحلول للمشاكل التي أثبت الواقع صحتها في الماضي، والغاية الحل المقترح للمشكلة في المستقبل)، أما التقويم التعليمي والتخطيط التعليمي فيتعلقان بأسلوب العمل اللازم لحلها (إذ العمل هو تقويم مستمر لصحة الحلول التي تحققت في الواقع (الماضي) والتخطيط لتحديد لمسيرة العمل من بدايته حتى نهايته على وجه تتحقق به غاية محددة من قبل (في المستقبل).

المعنى الواسع والمعنى الضيق للمنهج التعليمي: وهنا يجب التمييز (لا الفصل) بين المعنى الواسع والمعنى الضيق للمنهج التعليمي، فالمعنى الواسع للمنهج التعليمي يشمل كل العملية التعليمية، ومن ثم يتضمن الغايات التعليمية والخبرات التعليمية والتخطيط التعليمي وتقويم نتائج التعليم كما سبق بيانه.

أما المعنى الضيق للمنهج التعليمي فيقتصر على جزء من العملية التعليمية، لذا يقصد به التدريس أو المقررات، فهو يقابل تعريف بوشمان للمنهج التعليمي بأنه وثيقة. ومصدر الخلط بين المعنيين الخلط بين التعليم والتدريس، على حين التعليم أشمل من التدريس.

المنهج التعليمي ومنهج المعرفة: والمنهج التعليمي لابد أن يستند إلى منهج معرفة، فالأخير هو محاولة للكشف عن القوانين (السنن الإلهية) التي تضبط حركة الإنسان، وتطبيقه في مجال التعليم هو الكشف عن القوانين التي تضبط نمو الشخصية بكل مكوناتها خلال اكتسابها للمعارف والضوابط الذاتية حتى تجيء حلول المشاكل التعليمية على مقتضاها لكي تكون صحيحة.

التخطيط التعليمي: والتعليم السليم هو التعليم القائم على الأسلوب العلمي أي القائم على التخطيط طبقاً لمعرفتنا بقوانين حركة الإنسان ونمو الشخصية بخلاف التعليم التقليدي القائم على أساس التجربة والخطأ أي محاولة تحقيق الأهداف التعليمية بدون معرفة سابقة بهذه القوانين وطرق استعمالها.

والتخطيط في مجال التعليم قائم على عدم توقع تحقق غاياتنا التعليمية بدون تدخل إيجابي من ناحيتنا وضرورة أن يسبق الأحداث قبل أن تقع والتحكم في وقوعها طبقاً لمخططات تعليمية

شاملة ومرحلية.

التخطيط التعليمي طبقاً لهذا يتضمن:

- **النظرية التعليمية:** مجموع الحلول للمشاكل التعليمية والتي تتضمن الغايات البعيدة للعمل التعليمي (الأهداف التعليمية) وتسمى أيضاً الفلسفة التعليمية.
- **الاستراتيجية التعليمية:** الخط الثابت بين العملية التعليمية والغايات التعليمية مقسماً على مراحل زمنية متفاوت تبعاً لظروف كل مرحلة (التخطيط التعليمي).
- **الأساليب التعليمية:** مهمات العمل التعليمي المتنوعة (المعنى الضيق للمنهج التعليمي).

التخطيط التعليمي

النظرية التعليمية ← الاستراتيجية التعليمية ← الأساليب التعليمية

مناهج التخطيط التعليمي:

التخطيط العام (الشامل): وتمثله الماركسية وفيه تقوم الدولة بالتخطيط باعتبارها ممثل للمجتمع ويقوم على سيطرة الدولة على كل وسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الخاصة. وفي مجال التعليم يتمثل في انفراد الدولة ممثلة في أجهزتها التعليمية بوضع وتنفيذ وتطوير المناهج التعليمية. هذا النوع من التخطيط يؤدي إلى البيروقراطية وإلغاء دور المؤسسات التعليمية والمجتمع في التخطيط التعليمي.

التخطيط الخاص: وتمثله الليبرالية وفيه تقوم المؤسسات الخاصة بالتخطيط لنشاطها على وجه يحقق غاياتها دون تدخل الدولة إلا للضرورة لتنظيم الإنتاج في بعض مراحله في بعض القطاعات ولو اقتضى ملكية الدولة لبعض الإنتاج، فهو هنا مجرد وسيلة فنية للإنتاج. وفي مجال التعليم يتمثل في ترك حرية التخطيط التعليمي للمؤسسات التعليمية الخاصة في الغالب.

هذا النوع من التخطيط يؤدي إلى التضارب والتعارض بين المؤسسات التعليمية المختلفة، لذا

جرى تطويره تحت إلحاح الضرورة إلى أشكال أخرى له منها:

أ. **التخطيط الدلالي:** تحدد الدولة بموجبه الأهداف والغايات القومية ثم تدل أو تشير إلى ما ينبغي اتخاذه من وسائل لتحقيق هذه الغايات تاركة للمؤسسات الخاصة حرية التصرف. وفي مجال التعليم يتمثل في تحديد الدولة للأهداف والغايات التعليمية ثم تدل أو تشير إلى ما ينبغي اتخاذه من وسائل تعليمية لتحقيق هذه الغايات.

ب. **التخطيط الحافزي:** تكتفي الدولة بالالتجاء إلى بعض أساليب الثواب والعقاب (كالضرائب) من أجل تحقيق مرامي الخطة بدلاً من أن تقوم هي بالتخطيط. وفي مجال التعليم يتمثل اكتفاء الدولة بالالتجاء إلى بعض أساليب الثواب والعقاب من أجل تحقيق مرامي الخطة التعليمية.

ج. **التخطيط في الإسلام:** إن التخطيط يمكن اعتباره تطبيقاً معاصراً لمفهوم تسخير الكون للإنسان الذي قرره القرآن، لأن مضمون التسخير أن الطبيعة هي موضوع فعل الإنسان من أجل إشباع حاجته ويتم ذلك بأن يحول الإنسان دون الامتداد التلقائي للظروف المادية ويفرض عليها أن تتجه حيث يريد، كما أن في القرآن سابقة للتخطيط الاقتصادي في قصة يوسف عليه السلام وملك مصر " تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون..."

والتخطيط في التصور الإسلامي يتصف بالتالي:

- يهدف إلى تحقيق التوازن بين الفرد والجماعة والخاص والعام.
- يشترط فيه أن تكون الدولة نائباً ووكيلاً عن الجماعة استناداً إلى مفهوم الشورى.
- لا يقتضي إلغاء الملكية الفردية ما دامت قائمة على الانتفاع بالمال على الوجه الذي حدده مالك المال "الله تعالى"، وعلى الوجه الذي تتحقق به مصلحة الجماعة المستخلصة في الانتفاع به.
- يجمع بين الوحدة والتعددية وذلك بالجمع بين الأصول التي لا يجوز مخالفتها والفروع التي أُبِيح الاختلاف فيها.

- بناء على ما سبق فإن التخطيط التعليمي هنا يقوم على:
• وجوب إشراك المجتمع (الأساتذة، الطلاب، أولياء الامور ...) في عملية التخطيط التعليمي (الشورى).
- إن التخطيط التعليمي يتناول الاصول التعليمية (الفلسفة التعليمية ...) ويترك الفروع (الأساليب التعليمية ...) إلى المؤسسات التعليمية.

أهداف ووظائف التعليم: يجب التمييز (لا الفصل) بين وظائف التعليم وأهدافه.

أولاً: وظائف التعليم: هي الغايات المباشرة (القريبة) للتعليم وهي:

أ. التدريس

ب. البحث العلمي

ج. خدمه المجتمع

ثانياً: أهداف التعليم: هي الغايات غير المباشرة (البعيدة) للتعليم، وتختلف باختلاف الفلسفة التعليمية، ويمكن تصنيفها طبقاً لعدة مستويات، كما يمكن تصنيف كل مستوى إلى جانبين سلبي وإيجابي:

المستوى العلمي:

- الجانب السلبي: مقاومة أنماط التفكير الخرافي.

- الجانب الإيجابي: تأكيد التفكير العلمي القائم على الموضوعية والسببية.

المستوى الفكري:

- الجانب السلبي: مقاومة أنماط التفكير الأسطوري.

- الجانب الإيجابي: تأكيد التفكير العقلاني القائم على العقلانية والمنطقية والروح النقدية والشك المنهجي.

المستوى الديني:

- الجانب السلبي: مقاومة أنماط التفكير البدعي.

- الجانب الإيجابي: تأكيد الفهم الصحيح للدين.

المستوى القومي:

- الجانب السلبي: مقاومة النزعات القبلية والشعبوية المتطرفة.

- الجانب الإيجابي: تأكيد الانتماء القومي لا بالمعنى العرقي ولكن بالمعنى اللساني الحضاري، فاللغة هي أحد العناصر التي تؤثر في المضمون الفكري والعلمي للحضارة، وتطوع الآداب، والعادات، والتقاليد - بما تتسع له من معان، أو تضيف.

المستوى الحضاري:

- الجانب السلبي: مقاومة الأفكار التي تحاول إلغاء القيم الحضارية للأمة (التعريب)، أو الإبقاء على التخلف الحضاري الذي يحول دون إظهار الدور الإيجابي لهذه القيم (التقليد).

- الجانب الإيجابي: تأكيد القيم الحضارية الإسلامية وتطويرها، إذ لا يقتصر معنى الإسلام هنا الإسلام كدين، بل يمتد ليشمل على الإسلام كثرة اجتماعية ذات مضامين حضارية.

المستوى السياسي:

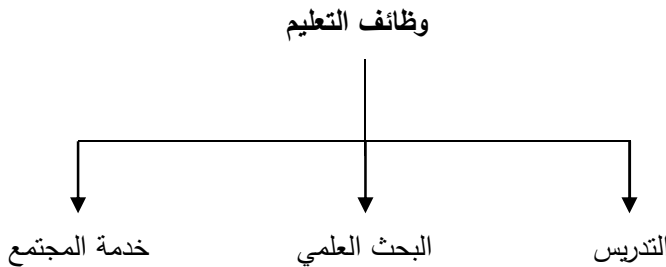
- الجانب السلبي: مقاومة الأفكار التي تُرسخ للتخلف والتبعية الاقتصادية، والاستبداد والتبعية السياسية، والتجزئة، والجمود أو التعريب الحضاري.

- الجانب الإيجابي: تأكيد الأفكار والمفاهيم التي تدعو للعدالة الاجتماعية والوحدة والحرية والأصالة والمعاصرة.

المستوى العالمي:

- الجانب السلبي: مقاومة الأفكار التي تدعو إلى الانعزال عن المجتمعات المعاصرة وإسهاماتها في المجالات المختلفة، أو التبعية لهذه المجتمعات.

- الجانب الإيجابي: تأكيد قيم التعاون الدولي وإقرار التأثير المتبادل بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات المعاصرة، واستيعاب ما لا يناقض القيم الحضارية للأمة من أساليب وحلول وقيم.



بعض مشاكل التعليم العالي في الوطن العربي:

مشاكل الكم والكيف: اعتمد الاستعمار سياسة الكيف والنوع على حساب الكم باحتضان القوى الاستعمارية للعناصر المتفوقة من المتعلمين وإتاحة فرصة إكمال ثقافتهم سواء في الجامعات التي أنشأها، أو في معاهدها وجامعاتها عن طريق البعثات بهدف تغريب هذه العناصر وعزلها عن مجتمعتها.

وبعد الاستقلال اتجهت الدول العربية إلى حل مشكلة الكم بالتوسع في قبول الطلاب لكن على حساب الكيف والنوع ولهذه المشكلة عدة مظاهر:

- إهمال الجوانب النوعية للنظام التعليمي وانخفاض مستوى الطلاب والخريجين.
- التوسع في الكليات النظرية (العلوم الإنسانية) على حساب الكليات التطبيقية والعلمية وذلك للآتي:

- تكلفة التعليم في المجالات النظرية أقل من تكلفة التعليم في التخصصات العلمية.

- السهولة النسبية لتأهيل أعضاء هيئة التدريس في المجالات النظرية.

- تقسيم التعليم الثانوي إلى أدبي وعلمي.

• التركيز على أنماط التعليم التقليدية.

• التركيز على وظيفة التدريس وإهمال الوظائف الأخرى للتعليم كخدمة المجتمع.

مشاكل التوزيع الجغرافي: مشكلة الاختلال في التوزيع الجغرافي لمؤسسات التعليم العالي

أدت إلى عدة نتائج:

- زيادة حدة التفاوت الاجتماعي بين العاصمة والأقاليم والمدن والقرى.
- حرمان الأقاليم من الخدمات التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي.
- الهجرة من القرى إلى المدن.

مشاكل البحث العلمي: هناك عدد من الأسباب التي أدت إلى انخفاض ومحدودية البحث العلمي:

- عدم توفر الإمكانيات المادية والاقتصادية
- النقص في أعضاء هيئة التدريس
- عدم توفّر الفنيين ومساعدتي البحث.
- عدم تدريس مادة البحث العلمي في المستويات الأدنى أو تدريسها بصورة نظرية. ضيق هامش الحرية الأكاديمية وضعف مبدأ استقلالية الجامعة.
- الانفصال بين الجامعات والمجتمع.

المشاكل الإدارية:

- الجمود وعدم المرونة الكافية لاستيعاب مظاهر التجديد.
- انفصال الجامعة عن مؤسسات التعليم العالي الأخرى على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والعالمي.
- تضخم الميزانيات الإدارية واستحواذها على القسط الأكبر من مخصصات الجامعة.
- اقتصار الجامعات على وظيفة التنظيم مع غياب الوظائف الإدارية الأخرى (التخطيط، التوجيه، التنسيق، الرقابة).¹

مشاكل البرامج التعليمية: تم وضع البرامج التعليمية أساساً في الحقبة الاستعمارية، وبعد

الاستقلال حدثت محاولات للتغيير، لكن هذه المحاولات كانت جزئية وأدت إلى حدوث اختلالات منهجية، إضافة إلى مشكلة عدم توفر الكتاب الجامعي، وندرة المراجع والمصادر.

¹ عبد الله طلبه، الإدارة العامة، جامعه دمشق، 1984، ص 61.

..... التعليم العالي في الوطن العربي

مشاكل الوسائل التعليمية: يسود في التعليم الجامعي السوداني استعمال الوسيلة التعليمية التقليدية (اللوحة التعليمية) دون الاستعانة بالوسائل غير التقليدية.

مشاكل طرق التدريس: كما يعتمد التدريس على الطريقة التقليدية أي الإلقاء (المحاضرة) دون استخدام الطرق غير التقليدية.

مشكلة نمط التعليم العالي: يعتمد التعليم العالي في الوطن العربي على النمط التقليدي للتعليم العالي (الجامعة بشكلها التقليدي) مع إهمال الأنماط غير التقليدية للتعليم العالي.

مشاكل التمويل: اتجاه التعليم في الوطن العربي إلى سياسة الخصخصة وإلغاء الدعم الحكومي، مما أدى إلى الإلغاء الفعلي لحق التعليم، ونقض مبدأ المساواة وتثبيت الطبقة التعليمية، ولا مجال للمقارنة بالمجتمعات الليبرالية الغربية العريقة، لأن هذه المجتمعات وصلت إلى درجة من الرخاء المادي، يجعل من الممكن تطبيق سياسة الخصخصة التعليمية، إضافةً إلى انه حتى هذه المجتمعات لديها أشكال من الدعم الحكومي غير المباشر (المنح، التخفيضات والاعفاءات الضريبية...).

مقترح ببعض الحلول لمشاكل التعليم العالي في الوطن العربي:

- العمل على تعريب التعليم العالي، بما لا تناقض مع تدريس اللغات الأخرى أو الاتصال بالعالم الخارجي والإسهامات العلمية للمجتمعات الأخرى، بشرط توفير شروطه من توفير الكتاب المعرب، والترجمة المستمرة للكتاب العالمي، وتأهيل الأستاذ الجامعي...
- السعي لتوحيد المصطلحات العلمية العربية، تسمية الشهادات والدرجات، المناهج التعليمية، ألقاب العاملين في التعليم، وشروط العمل.¹
- الأخذ بالأسلوب العلمي في التعليم، وذلك بالتخطيط التعليمي من خلال وضع نظرية تربوية تحدد أهداف ووظائف التعليم طبقاً لفلسفتنا التعليمية وقيمتنا الحضارية، واستراتيجية تعليمية

¹ ندوه تطوير التعليم العالي، دمشق، مركز العربي لبحوث التعليم العالي، ص 22.

تحدد الخطط التعليمية وأسلوب تعليمي يحدد المنهج التعليمي.

- تأكيد حق التعليم وديمقراطية التعليم ومجانية (المجانية الفعلية) والزامية التعليم الأساسي.
- استحداث أساليب وطرق تمويل تستند إلى واقع اتجاه التعليم إلى سياسة الخصخصة وإلغاء الدعم الحكومي المباشر، دون أن تؤدي إلى الإلغاء الفعلي لحق التعليم ونقض مبدأ المساواة وترسيخ الطبقة التعليمية، وذلك باستحداث مصادر تمويل مختلفة، وتنشيط الاستثمار في مجال التعليم، وتنشيط أشكال الدعم الحكومي غير المباشر (المنح، التخفيضات والإعفاءات الضريبية ...).

• تحقيق التوازن بين الكم والكيف.

- تفعيل دور مؤسسات التعليم في خدمة المجتمع من رعاية صحية، الإرشاد والتوجيه، محور الأمية، تعليم الكبار ...

• تطوير الإدارة التعليمية.

- تفعيل النقابات التعليمية وتفعيل مشاركة الطلاب في العملية التعليمية عن طريق تفعيل دور الاتحادات والروابط والجمعيات العلمية والثقافية.

• استحداث أساليب التعليم القائمة على مشاركة الطلاب.

- تفعيل الدور الخدمي والثقافي والأكاديمي والاجتماعي للاتحادات بدلاً من الاقتصار على النشاط السياسي، وأن يكون للنشاط السياسي في الجامعات دور نشر الوعي السياسي وليس مجرد أداة للأحزاب السياسية واعتماد أسلوب الحوار بدلاً من العنف والأساليب السلمية في التعبير عن الرأي بدلاً عن التخريب.

• الاستفادة من الخبرات العالمية في تطوير التعليم بما لا يتناقض مع القيم الحضارية للامة...

- الاستعانة بوسائل التدريس غير التقليدية (الصور، الخرائط، الرسوم البيانية، المتاحف، المعارض، الأفلام التعليمية التسجيلات الصوتية، المحاضرات والندوات، الرحلات والزيارات،

التمثيلات والمسرحيات، الإذاعة والتلفزيون)¹.

• استعمال طرق التدريس غير التقليدية كالحوار، المشكلات، المشروعات، التعيينات، الوحدات.²
الأخذ بالأنماط غير التقليدية للتعليم العالي كالتعليم عن بُعد distance higher education
والجامعة المفتوحة open university والجامعة الشاملة comprehensive university
والتعليم قصير الدورة institution وجامعة بدون جدران university without wall والتعليم
التعاوني cooperative education وفقا لفلسفتنا التعليمية والمشاكل التي يطرحها واقعنا
العربي.³

الخاتمة:

من العرض السابق نخلص إلى صحة فرضية الدراسة، والتي مضمونها أنه يمكن وضع
حلول للمشاكل التي يواجهها التعليم العالي في الوطن العربي، وتنفيذها حسب الإمكانيات التي
يتيحها الواقع العربي، على كل المستويات: السياسية الاقتصادية، التقنية...

¹ سماح رافع محمد، في طرق التدريس: تدريس المواد الفلسفية، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 128.

² المرجع السابق، ص 51.

³ عبد الله بوبطانه، التعليم العالي في الوطن العربي القضايا والتوقعات، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية، عمان
1989، ص 38، وما يليها.

المراجع

- سماح رافع محمد، **في طرق التدريس: تدريس المواد الفلسفية**، دار المعارف، القاهرة، 1967.
- ندوة تطوير التعليم العالي، دمشق، مركز العربي لبحوث التعليم العالي 1985.
- طاهر عبد الرازق عبد الرحمن حسن، **استراتيجيات تخطيط المناهج وتطويرها**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1982.
- عصمت سيف الدولة، **عن العروبة والإسلام**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
- عبد الله بويطانه، **التعليم العالي في الوطن العربي القضايا والتوقعات**، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية، عمان 1989.
- عبد الله طلبه، **الإدارة العامة**، جامعه دمشق، 1984.

مفهوم البنية بين الخليل والفكر الرياضي المعاصر

المنظومة البنوية* بين المنهج اللساني الخليلي

والمنهج الرياضي الأكسيومي

القسم الثاني

د. عواطف قاسمي الحسني

جامعة يحيى فارس بالمدينة - الجزائر

مقدمة

عرضنا في القسم الأول (في العدد السابق) من هذا البحث مجموعة من الأوجه المنهجية والفكرية التي يتقاطع فيها فكر الخليل مع المنهج الرياضي المعاصر فيما يخص مفهوم البنية، وكان من أهم المحاور التي تطرقنا إليها: [البنية موضوع للدراسة وصورة للمنهج]، ولاحظنا كيف يتقاطع الفكر الرياضي مع الفكر اللساني باتخاذ البنية موضوعا للدراسة، بعدما كانت الرياضيات تدرس المفاهيم الكمية، ورأينا كيف تحوّل موضوعها من الكميات إلى البنيات*، كما تحدثنا كيف يتقاطع المنهج اللساني مع المنهج الرياضي في دمج موضوع الدراسة في المنهج، وذلك باعتبار المنهج اللساني نسقاً استنباطياً كما نجد ذلك في المنهج الرياضي، والنسق الاستنباطي في حد ذاته منهج بنوي في الأساس، بحيث تتولد البنى النهائية وهي النتائج من

* تُجمع (بنية) جمع سلامة على بُنَيَات، تُجمع (بنية) جمع تكسير على بِنَى، والنسبة القياسية إلى (بنية) هي بِنْيِي. وأجاز مجمع القاهرة النسبة إلى الجمع عند الحاجة، فالنسبة إلى (بُنَيَات) هي بِنْيَوِي، وهي شائعة. (مثل: بِنْيَاضَات ← بِنْيَوِي). والنسبة إلى (بِنَى) هي بِنْيَوِي، (مثل: قَتَى ← قَتَوِي). [المجلة]

البنى الأولية هي المقدمات عبر بنىٍ وسطى هي القضايا الوسطى، وهذا يظهر لنا جلياً إذا ما تأملنا ماهية المنهج الرياضي والمنهج اللساني باعتبارهما منهجين يسريان وفق نسق واحد وهو النسق الاستنباطي، غير أنه إضافةً إلى هذا التقاطع البنوي بين الفكر اللساني والفكر الرياضي الحديث على مستوى الموضوع وعلى مستوى المنهج وعلى مستوى دمج الموضوع في المنهج، إذ صار المنهج الرياضي مجموعة من البنيات، وبعبارة أخرى شبكة من العلاقات والإجراءات، هناك تقاطع آخر بالغ الأهمية على مستوى البنية كصورة للمنهج، تقاطع لا يربط المنهج اللساني عند الخليل بمنهج إقليدس وهو يتحرك كنسق استنباطي فقط، بل كمنهج يتقاطع مع ذروة المنهج الرياضي المعاصر وهو **المنهج الأكسيومي**، هذا المنهج الذي حمل على عاتقه إعادة بناء صرح الرياضيات من جديد، ولمّ جميع النظريات الرياضية في الفروع المختلفة من جبر وهندسة وحساب وهندسة تحليلية في بناء واحد.

فماهي لبّات المنهج الأكسيومي، وفيّم تتقاطع المقاربة النظرية للبنية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في اللسانيات العربية مع جماعة يورباكي في منهجها الرياضي المعاصر؟

يقوم المنهج الأكسيومي على مجموعة من الأسس:

أولاً: اتخاذها **البنية موضوعاً**، إذ إن (الباحث الرياضي الذي يطبق المنهج الأكسيومي ينصرف بكامل اهتمامه إلى البنيات التي هي أدواته في العمل والبحث. وهكذا فبمجرد ما يتبين العلاقات التي تقوم بين العناصر التي يدرسها والتي تكفي، أي العلاقات للحصول على بنية من أوليات معروفة، يصبح ماسكاً بالجهاز الذي ينظم القضايا العامة المتعلقة بجميع البنيات التي من هذا النوع، وهذا الشيء ليس بإمكان الباحث، غير المستعمل المنهج الأكسيومي، الحصول عليه إلا بعد بحث طويل ومُضني عن أدوات أخرى، غير البنيات).¹

¹ الهيكل المعماري للصرح الرياضي، نيكولا يورباكي، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الاستيمولوجيا المعاصرة، 214/1. وينظر: L'Architecture des mathématiques, Nicolas Bourbaki, dans: Les Grands courants de la pensée mathématique, Francois Le Lionnais, p42.

ثانياً: اتخاذها **بنية المجموعات** النواة المركزية للفكر الرياضي المعاصر، نواة تشتق منها جميع النظريات الرياضية بفروعها المختلفة عبر نظام تدريجي، وهو الأمر الذي تعرضنا له في الباب النظري، ونؤكد مرة ثانية لأهميته في البناء الفكري، الذي نحن بصدد.

إذ يعود الفضل في إقامة الرياضيات كلها على أساس نظرية المجموعات في العصر الحديث إلى جماعة من الشبان بدؤوا منذ أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين في صياغة مختلف فروع الرياضيات صياغة أكسيومية على أساس نظرية المجموعات، ومنذ ذلك الوقت وهم يعملون متعاونين ينشرون أبحاثهم تحت اسم مستعار هو نيكولا بورباكي. تقول جماعة بورباكي في كتابها "أصول الرياضيات": (والواقع أنه على حين كان الناس يعتقدون من قبل أن كل فرع من فروع الرياضيات يتطلب نوعاً خاصاً من الحدس يمدّه بمفاهيمه وحقائقه الأولية، وهذا الشيء أدى، ضرورةً، إلى تخصيص كل فرع من فروع الرياضيات بلغة رمزية تناسبه، فإننا نعرف اليوم أنه من الممكن، منطقياً، اشتقاق الرياضيات الحالية، كلها تقريباً، من مصدر واحد، هو **نظرية المجموعات**، ولذلك فإنه يكفي القيام بعرض مبادئ لغة رمزية وحيدة، وبيان كيف يمكن أن نعرض بواسطتها نظرية المجموعات، ثم بيان كيف تندمج في هذه النظرية فروع الرياضيات، الواحدة تلو الأخرى. إننا لا ندعي أن محاولتنا هذه ستبقى صالحة إلى الأبد، إذ من الممكن أن يتفق الرياضيون يوماً على استعمال طرق أخرى في الاستدلال، لا تقبل الصياغة الأكسيومية التي نعتمدها هنا. وفي هذه الحالة سيصبح من الضروري توسيع قواعد الصياغة، هذا إذا لم يتطلب الأمر العدول تماماً عن هذه الصياغة إلى طريقة أخرى. إن المستقبل وحده هو الذي سيقدر ما يجب القيام به).¹

فالمنهج الأكسيومي يتخذ من بنية المجموعات مركزاً تدور حوله الرياضيات، ونواة تشتق منها

¹ أصول الرياضيات، نيكولا بورباكي، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 210/1. وينظر: Éléments de mathématique, Nicolas Bourbaki, Livre I Théorie des ensembles

النظريات الرياضية، كما يتميز هذا المنهج بكونه جعل الفكر الرياضي يرتقي إلى أعلى مستويات التجريد، إضافةً أنه قام باختزال الرموز إلى أقصى الحدود، فما يميز الفكر الرياضي المعاصر هو:

1. اتخاذ البنية موضوعاً.
2. جعله المنهج بنية مركبة، بحيث تشتق من بنية المجموعات جميع البنى الرياضية.
3. جمع جميع النظريات والفروع الرياضية وفق منظور بنويّ اشتقاقي.
4. اختزال الرموز الرياضية بما يحقق الاقتصاد في العلم في أعلى مستوياته.
5. المستوى العالي التجريد للفكر الرياضي؛ ومن أهم أوجه تجريد الرموز الرياضية في المستوى الأعلى من جميع المعاني الدالة عليها في المستوى الأقل تجريداً.

تقول جماعة بورباكي: (المنهاج الأكسيومي في معناه الأصلي ليس شيئاً آخر سوى فن عرض النظريات بشكل يجعل من السهل تصور صياغتها بطريقة رمزية، ولا يتعلق الأمر هنا باختراع جديد، غير أن استعماله بشكل منهجي ومقنن كأداة للاكتشاف هو من بين المعالم الأصيلة للرياضيات المعاصرة. فإذا كنا بصدد تحرير أو قراءة نص مَصْنُوع صياغة صورية رمزية فإن المهم، ليس إعطاء هذه الكلمة أو هذا الرمز، هذا المعنى أو ذلك، أو عدم إعطائها أي معنى، بل المهم، هو فقط، التقيد بقواعد الصياغة واستعمالها استعمالاً سليماً. وهكذا، فالعمليات الحسابية الجبرية نفسها، يمكن كما نعرف جميعاً، أن تستعمل لحل مشاكل تدور حول الوزن "الكيلوغرامات" أو النقد "الفرنكات" أو حول أشكال هندسية كالقطع المكافئ، أو السرعات المتسارعة بانتظام. وتلك ميزة تنطبق، للسبب نفسه على كل نص (= نظرية) يُعرض بالطريقة الأكسيومية. إن هذه الإمكانية التي يقدمها لنا المنهج الأكسيومي، إمكانية إعطاء مضامين مختلفة عديدة للكلمات أو المفاهيم الأولية لنظرية ما، هي ذاتها مصدر مهم لإغناء قدرة الرياضي... فإن المنهاج الأكسيومي يمكننا من تصنيف تلك الخصائص حسب البنيات التي

تتنمي إليها، مع العلم بأن بنية واحدة يمكن أن تشمل كائنات رياضية مختلفة).¹

فالفكر الرياضي ومنهجه معروف بإطاره الرمزي والتجريدي والعمومي، فهذا ليس بجديد، كما توضحه جماعة بورباكي، لكن الجديد في الارتقاء بتلك الصياغة وبالفكر الرياضي إلى أعلى مراتب التجريد والعمومية، من مستوى تكون فيه الرموز دالة على مفاهيم وكائنات رياضية معينة، إلى رموز تدل على معانٍ أعم وأشمل تندرج تحتها مفاهيم وكائنات وبنيات رياضية متعددة، بل يصل مستوى التجريد إلى الحدود القصوى في الفكر الرياضي عندما يعزل الرمز عن المعنى، بحيث تندرج مثلاً تحت مفهوم المتوالية جميع العناصر الكونية أو العقلية، الواقعية أو المتصورة، إنها الرياضيات لغة الثوابت والمتغيرات، لغة الرموز التي تندرج تحتها ما لا نهاية من الكائنات والبنيات.

والحقيقة أن المنهج اللساني برغم ما فيه من رموز وتمثيل، لا يرقى أبداً إلى مستوى الترميز أو التمثيل في الرياضيات الأكسيوماتية، لكن ما يهمنا هنا، هو البعد التجريدي لكلا المنهجين، والمنظور البنويّ الفعال فيهما، بحيث تندرج البنى فيهما وفق تسلسل هرمي من الأعلى تجريداً إلى الأقل تجريداً، إلى ما هو أدنى داخل نفس الإطار العقلاني المجرد، وما يهمنا كذلك كنقاط تقاطع بين المنهجين هو اعتماد كلا المنهجين على بنية نواة تتفرع منها جميع البنى.

فلنحاول مع جماعة بورباكي (تمثل صرح العالم الرياضي كله، متخذين من التصور الأكسيومي دليلاً ومرشداً، من المؤكد أننا لانجد في هذا الصرح ذلك الترتيب التقليدي الذي يقتصر، مثله مثل التصنيف القديم لأنواع الحيوانات، على تصنيف النظريات على أساس تشابه مظاهرها الخارجية، وهكذا، فبدلاً من الجبر والتحليل، ونظرية الأعداد، والهندسة، التي كان ينظر إليها كفروع يسكن كل منها بيتاً خاصاً به، ويتمتع باستقلاله، سنجد مثلاً نظرية الأعداد الأولية

¹ أصول الرياضيات، نيكولا بورباكي، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 209/1-210. وينظر: Éléments de mathématique, Nicolas Bourbaki, Livre I Théorie des ensembles

جنباً إلى جنب مع نظرية المنحنيات الجبرية، كما نجد الهندسة الإقليدية مرتبة مع المعادلات التكاملية. أما مبدأ هذا التنظيم الجديد، لفروع الرياضيات، فليس شيئاً آخر غير مبدأ ترتب البنيات تراتباً هرمياً متدرجاً، يسير من البسيط إلى المركب، من العام إلى الخاص).¹

يتمثل مبدأ تراتب البنيات تراتباً هرمياً متدرجاً في قول جماعة بورباكي: (.. وهكذا نجد في مركز الصرح الرياضي العام، الأصناف الكبرى من البنيات، البنيات الأم، إذا صح التعبير، وكل صنف منها يقبل تنوعاً كبيراً، فالى جانب البنية العامة، أو البنية الأم، التي تنبني على أقل عدد من الأوليات، هناك بنيات أخرى فرعية نحصل عليها بإضافة أوليات أخرى إلى هذه البنية العامة، وهو الشيء الذي تترتب عليه نتائج جديدة وفيرة، وهكذا فنظرية الزمر المؤسسة على أوليات عامة صالحة لجميع أصناف الزمر... وهكذا أيضاً نميز في المجموعة المرتبة بين مجموعات كلية الترتيب، ومجموعات جيدة الترتيب... وإذا نحن ابتعدنا قليلاً عن هذا المركز، وجدنا بنيات يمكن أن نطلق عليها اسم [البنيات المزوجة]، وهي بنيات تنتج عن المزوجة بين بنيتين أو أكثر من البنيات الأم، مزوجة قوامها، لا مجرد التجميع والتراكم"، وهو ما لا يأتي بأي جديد"، بل التأليف العضوي الذي هو عبارة عن عملية دمج، تتم بواسطة أولية جديدة واحدة أو أكثر، تشد البنيات المتزوجة بعضها إلى بعض شداً متيناً، ... وبعيداً عن هذا أو ذاك، تبدأ في الظهور [النظريات الخاصة]، بمعنى الكلمة، النظريات التي تنتج من إعطاء فردية متميزة خاصة لعناصر المجموعة المدروسة، العناصر التي تبقى غير محددة المحتوى داخل البنيات الأم، وهنا نلتقي مع فروع الرياضيات الكلاسيكية: الدوال التي يكون متغيرها عدداً حقيقياً أو مركباً، الهندسة التفاضلية، الهندسة الجبرية، نظرية الأعداد، لقد فقدت الآن هذه الفروع، أو النظريات، استقلالها الذي كانت تتمتع به من قبل = قبل الصياغة الأكسيومية"،

¹ الهيكل المعماري للصرح الرياضي، نيكولا بورباكي، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة، 214/1-215. وينظر: L'Architecture des mathématiques, Nicolas Bourbaki, dans: Les Grands courants de la pensée mathématique, Francois Le Lionnais, p43

وأصبحت عبارة عن "ملتقى الطرق" تتقاطع فيه وتتبادل التأثير، عدة بنيات أكثر عمومية.¹

وهكذا يتبين لنا؛ أن المنهج الأكسيومي بعد أن جعل بنية المجموعات هي البنية النواة في الفكر الرياضي، بحيث تشق منها جميع البنى الرياضية باختلافها وتشعبها، وذلك عبر نظام تدريجي، يوضح لنا الخطاب المتقدم، النسق الدائري لذلك العمل التوليدي للبنى الرياضية، فهناك في المركز البنى الأم ممثلة في نظريات المجموعات بكل مستوياتها وأنواعها، وأرقى صورة لنظرية المجموعات هي الزمرة لتكون الزمرة هي نواة بنية المجموعات، لتتولد من هذه البنيات المركزية أو البنيات الأم مجموعة من البنيات الفرعية، فمن نظرية الزمرة الأصلية تتولد لنا الزمر النهائية والزمر اللانهائية وأنصاف الزمر، ومن المجموعات المرتبة تتولد لنا مجموعة مرتبة ترتيباً كلياً، ومجموعات جيدة الترتيب، فالأولى هي المجموعات التي يمكن أن نقارن فيها بين أي عنصر من عناصرها "والتي تخضع لمثل الترتيب الذي نرتب به عادة الأعداد الصحيحة أو الأعداد الحقيقية"، أما الثانية، وهي تحظى باهتمام كبير من طرف الرياضيين، فقد سميت مجموعات جيدة الترتيب، لأن كل مجموعة جزئية فيها تتوفر على عنصر أصغر من جميع عناصرها الأخرى "يكون مقامه كمقام الصفر بالنسبة إلى الأعداد الصحيحة".²

فإذا نحن ابتعدنا من هذه النواة المركزية من البنيات وما ينتج عنها من بنى فرعية، نجد أنفسنا أمام نوع ثان من البنيات هو البنيات المزدوجة، وهي الأخرى تقوم على الدمج بين بنيتين مركبتين أو أكثر، [2 بنيات أم أو أكثر]، وهو دمج بنوي فعال يؤدي بنا إلى بنى جديدة، ليست بنى هي تحصيل حاصل، إنه دمج عضوي بنوي، وليس دمجا تراكمياً، لتكون في المستوى الثالث أمام البنى الرياضية المعروفة وهي بنى رياضية خاصة نحو: نظرية الأعداد، ونظرية الدوال،

¹ الهيكل المعماري للصرح الرياضي، نيكولا بورباكي، ترجمة محمد عابد الجابري في كتابه: مدخل إلى فلسفة

العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دراسات ونصوص في الاستيمولوجيا المعاصرة، -217

216/1، وينظر: L'Architecture des mathématiques, Nicolas Bourbaki, dans: Les Grands courants de la pensée mathématique, Francois Le Lionnais, pp43-44

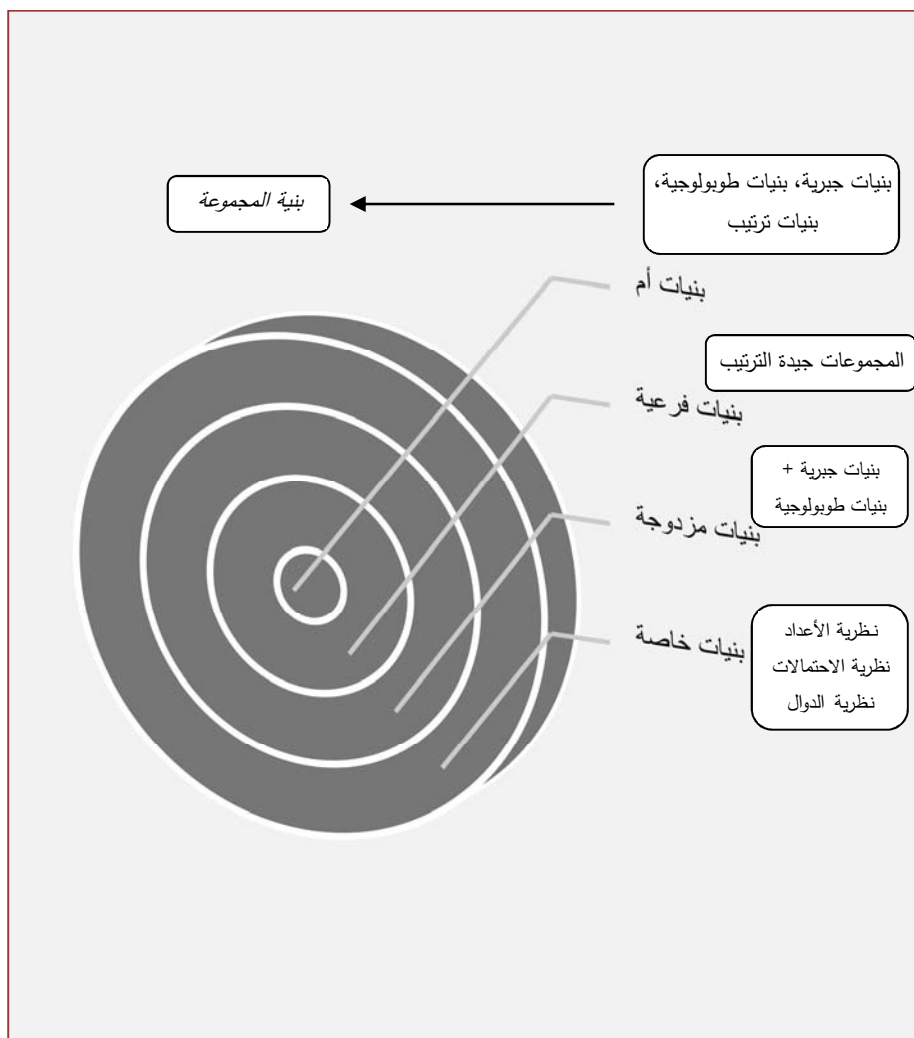
² ينظر: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 216-215/1.

ونظرية الاحتمالات، وغيرها من البنى الرياضية، وهي بنى تتميز بكونها أقل تجريداً من البنى الأم أو من البنى الخليطة أو المزدوجة، وهي أقل تجريداً لأن عناصرها تحيل على معنى بعينه، وهو معنى رياضي خاص، في حين أن عناصر البنى الأم أو الفرعية، أو البنى المختلطة هي عناصر بالغة التجريد لا تحيل إلى مفهوم ومدلول معين، لذا راحت مجموعة بورياكي تقول أن تلك البنى الخاصة فقدت استقلاليتها بانتمائها إلى فرع رياضي معين، بل أصبحت تلك النظريات الرياضية، مفترق طرق تتقاطع فيها الكثير من البنيات العامة، وعلى هذا الأساس كانت (نظرية الأعداد الأولية جنباً إلى جنب مع نظريات المنحنيات الجبرية، كما نجد الهندسة إقليدية مرتبة مع المعادلات التكاملية).¹

فوجود هذه النظريات الرياضية جنباً إلى جنب هو على أساس البنى الأم المتولدة منها (فمن البنيات الرياضية المهمة: البنيات الأم وهي بنيات أساسية، منها تتفرع بنيات أخرى، لا يمكن أن ترتد إلى بعضها، وهذه البنيات الأم هي: البنيات الجبرية التي تشكل الزمرة نموذجها الأصلي، بنيات الترتيب... بنيات طوبولوجية وهي تمدنا بصياغة رياضية مجردة للمفاهيم الحدسية المتعلقة بالجوار والاتصال والحدود التي تخص إدراكنا للمكان).² ويمكننا توضيح تشكل هذه البنى الرياضية في مستوى دائري في الشكل (1).

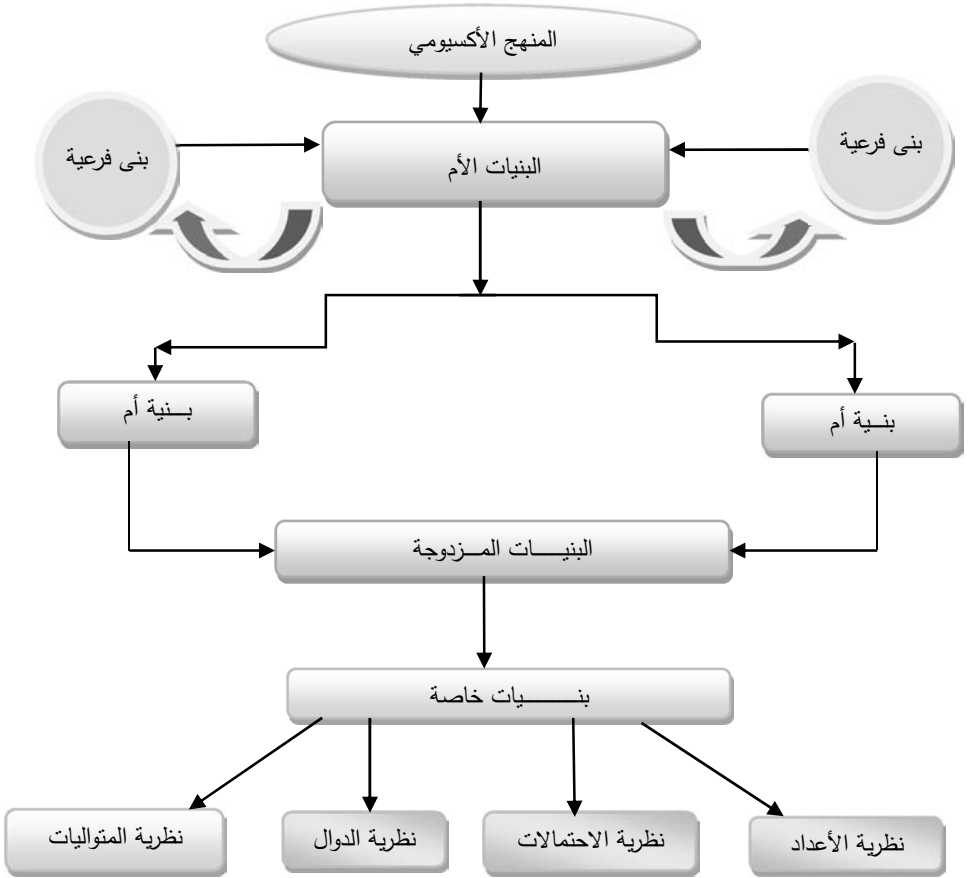
¹ مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 143/1.

² مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 143/1-144.



الشكل 1: النسق الدائري للبنى الرياضية في المنهج الأكاديمي

كما يمكننا توضيح آلية تفريع واشتقاق البنى وفق هذا المنهج الرياضي المعاصر، حتى نتبين أوجه التقاطع بينه وبين المنهج اللساني الخليلي في المخطط التوضيحي التالي:



الشكل 2: البنية في المنهج الأكسيومي

وإذا ما تأملنا هذا المخطط؛ انطلاقاً مما قدمته جماعة بورباكي، نُبيّن لنا أن البنى الرياضية في هذا المنهج الرياضي هي بنى متدرجة التجريد، بنوّة الشكل، اشتقاقية المبنى، بحيث تتولد من البنى الأم. والتي تعد نواتها بنية المجموعات وتحديدًا بنية الزمرة. البنى الفرعية، وهذه البنى الفرعية تشترك مع البنى الأم في ذات المستوى التجريدي، وهو المستوى التجريدي الأعلى الأعم والمركزي، لتتولد لدينا مجموعة البنى المزدوجة من التركيب والدمج بين بنيتين أو أكثر من بنى

الأم، وهذه البنى أقل تجريداً من البنى العامة، لنكون في المستوى التجريدي الأدنى أمام ما يعرف بالبنى الخاصة، أو النظريات الرياضية كما نعرفها في الرياضيات الكلاسيكية، مع فارق أنها باتت لا تنتمي إلى فروع رياضية مختلفة، بل هي نظريات تتقاطع في ذات البنى الأم، ومشتقة من نواة مركزية هي بنية المجموعات في أرقى صورها، المتمثلة في الزمرة باعتبارها بنية جبرية تمثل النموذج الأصلي للبنى الجبرية وللبنى الأم في المنهج الأكسيومي. **لكن ترى قيم يتقاطع هذا المنظور البنوي الرياضي الأكسيومي مع المنظور اللساني الخليلي؟**

في الحقيقة لنقل إنه ليس تقاطعاً، بقدر ما هو تقارب إلى حد ما؛ فإذا ما تأملنا النسق اللساني باعتباره نسقاً استنباطياً، وتأملنا جيداً النظرية اللسانية عند الأولين، خاصة مسلكها الثاني في الاستنباط السابق شرحه وبيانه. والذي تتولد فيه البنى اللغوية كبنى مجردة من الأصول الوضعية العامة، وصولاً إلى الفروع ككيانات مجردة، قد تخرج إلى الاستعمال، وقد تهمل، أو وصولاً للوحدات اللغوية المجردة المطابقة لأصولها، باعتبارها هي الأخرى قضايا نهائية يتوصل إليها اللساني بآلية اشتقاق البنى من البنى الأم الأصول الوضعية العامة، هذه الوحدات اللغوية النهائية ذات الطابع التجريدي، قد تخرج إلى الاستعمال كما هي مطابقة لصورها الخاصة والعامة، وقد تخرج مغيرة، محولة "الفروع المستعملة"، وقد تهمل فلا تخرج أصلاً لا مطابقة ولا مغيرة، وما يهمننا في هذا المسلك الاستنباطي هو الجزء الرئيسي فيه، أي مرحلة الاستنباط التي يتوصل فيها اللساني إلى الوحدات اللغوية باعتبارها وحدات بنوية مجردة، قبل أن ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة تطبيقية، إذ نجد فكر اللساني فكراً يتقاطع مع الرياضيات التجريدية البحتة، كما يتقاطع مع الرياضيات التطبيقية، وما يهمننا الآن رياضيات اللساني البحتة، التي تتجلى في أقوى صورها في المسلك الاستنباطي الثاني للنسق اللساني في مرحلته الأولى.

تتمثل أوجه التشابه بين المنهج الأكسيومي وبين المنهج اللساني الخليلي في النقاط التالية:

أولاً: إذا اعتبر المنهج الأكسيومي أن البناء الرياضي كله يقوم على بنية أساسية واحدة، هي بنية المجموعات، والتي تعد نواة تشتق منها جميع القضايا والبنى الرياضية، فالمنهج اللساني

الخليبي، يقوم هو الآخر على بنية مركزية تمثل مجموعة ذات بنية أي ذات نظام، هي بنية الأصل والفرع، وتحديدًا **مجموعة الأصول الوضعية العامة**، التي تمثل النموذج الأصلي لتلك المجموعة النواة، كما تمثل الزمرة النموذج الأصلي للبنى الجبرية باعتبارها [بنيات أم].

إذ (يستمد ترتيب المقولات قيمته من معيار الأصول والفروع، باعتبارها كلية من الكليات التي تحكم بنية العربية، تشد مفرداتها وتراكيبها، وألفاظها، ودلالاتها في نسق متماسك، وهذا المعيار نظام يسري في جسم العربية فيغترق (أي يستوعب) كل ظواهرها حتى إنه لمن منطق الأشياء أن يحتل النحو به، ويخصص لها حيزًا في وصفه للسان العرب).¹

هذا ويتضح بهذه (الأوصاف الفوائد الكبيرة التي ترتبط بنظرية الأصل والفرع واللجوء إلى هذين المفهومين في تفسير كثير من الظواهر اللغوية، فقد بني النحو العربي كله تقريباً على هذين المفهومين، كما تصوروها، فاللغة عندهم كلها أصول وفروع، وتوزيع عناصر اللغة إلى أصول وفروع هو ردُّ بنيتها الأساسية إلى ما هو نواة وما هو متولد عنها، ولكن الأهم في ذلك أن وجود الفروع يقتضي القدرة على إيجادها، وهي القدرة على التصرف بالانتقال من العناصر الأولية إلى الوحدات المتولدة عنها، وإجراء العمليات التحويلية لتفريع الفروع وهو نوع من الحساب على الوحدات اللغوية، وقد برع فيه النحاة العرب منذ أقدم العصور... وخلاصة القول في الأصالة والفرعية أنها هامة جداً إذ يمكن أن يتأول الأصل والفرع من الناحية المنطقية الرياضية).²

فبنية الأصل والفرع سارية المفعول في جسم العربية، في جميع مستوياتها، ويشمل ذلك مستوياتها التجريدي، ومستواها الحسي، وما يهمنها في هذا الموضع مستواها التجريدي، حيث تتشكل الأصول الوضعية العامة كنواة أساسية تشتق منها الأصول الوضعية الخاصة ومنه الفروع كوحدات مجردة.

¹ الأساس المعرفي للغويات العربية، عبد الرحمن بودرع، ص 111-112.

² منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 154-155.

وكما تعد هذه [البنى الأم] الأساس الذي تنفرع منه [البنى الفرعية]، بإدخال عناصر أولية على البنية الأم باعتبارها بنية أصلية، بحيث لا يتغير شكل البنية بالكلية، وتبقى هذه البنى الفرعية في ذات المستوى التجريدي العام الذي تدور فيه البنى الأصلية، وهذا الأمر عينه يحصل في النسق اللساني، فمن البنى الأصلية الكلية تشتق البنى الفرعية، هذه البنى التي تتقاطع مع بنائها الأصلية في ذات المستوى التجريدي العالي، غير أنها بنى تابعة مبنية على الأصول الوضعية العامة أو على البنى الأم بتعبير الفكر الرياضي. مثال ذلك: تقوم الجملة العربية. كما رأينا سابقاً، على بنية كلية جامعة هي [البنية العاملة]، صاغها لنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح صياغة رياضية دقيقة: $E + M \pm 1$. هذه البنية الأصلية التي تشكل نواة البنية التركيبية في اللغة العربية، لها ما يقابلها من بنى فرعية هي بنى مجردة، وهي عالية التجريد مثل البنى الأصلية المتفرعة عنها، تندرج تحتها هي الأخرى العديد من الجمل المجردة في ذهن المتكلم العربي أو المستعملة في الواقع اللغوي.

وكما تقوم البنى الفرعية المجردة في الفكر الرياضي المعاصر ببنائها على البنى الأم أي البنى الأصلية، وذلك بإضافة عناصر أولية على البنى الأم، الأمر عينه يحصل في بناء البنى الفرعية على الأصول الوضعية الكلية في بناء اللغة العربية، وهذا الأمر عبر عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رياضياً فيما يخص المستوى التركيبي بـ: $[E \leftarrow M \pm 1 \pm 2] \pm X$ ، فهذه بنية فرعية، ذات صياغة رياضية تشمل جميع البنى الفرعية المبنية على البنية العاملة الأم أو البنية النواة، بإدخال عناصر أولية هي المخصصات أو ما يعرف بالمتمات؛ المتمثلة في جميع المفاعيل ما عدا المفعول به لأنه يمثل محوراً في البنية النواة، فهناك نموذجان أصليان للبنية النواة: $[E + M \pm 1]$ و $[E + M \pm 1 + M \pm 2]$ ، تدخل المخصصات أو ما يعرف بالمتمات على هذه النماذج الأصلية باعتبارها بنى مركزية في المستوى التركيبي، هذه المتمات كما قلنا هي جميع المفاعيل ما عدا المفعول به، فهو جزء محوري في النواة، ومنها النعوت، والحال، والتمييز، وجميع التوابع كالمعطوفات والإضافات وغيرها من الكائنات اللغوية النحوية، مما يشكل لنا مجموعة من البنى الفرعية، تتجلى لنا بوضوح في المستوى التجريدي الأقل وهو مستوى البنى التركيبية العامة،

المندرجة تحت البنى الأصلية الكلية أو الأعم؛ ونعني بها بنية الجمل الفعلية في مقابل بنية الجملة الاسمية، يقول ابن هشام الأنصاري: (الجملة عبارة عن [الفعل وفاعله] كقام زيد، و[المبتدأ والخبر] ... وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: "ضُرب اللص" و"أقائم زيدان"، و"كان زيد قائماً" و"ظننته قائماً"¹ فهي هو ابن هشام يوضح لنا البنى الأصلية العامة للجملة وما يقابلها من بنى فرعية عامة في قوله وما كان بمنزلة أحدهما، أي بمنزلة النموذجين الأصليين: نموذج الجملة الفعلية، ونموذج الجملة الاسمية، ولنمثل ذلك في الجدول التالي:

الجدول 1

البنى الأصلية الكلية والعامة	البنى الفرعية
عامل + معمول أول.	عامل + معمول أول + مخصصات.
عامل + معمول أول + معمول ثانٍ.	عامل + معمول أول + معمول ثانٍ + مخصصات.
فعل + فاعل.	فعل + فاعل + نعت.
فعل + فاعل + مفعول به.	فعل + فاعل + مفعول به + حال.
فعل + فاعل + مفعول به.	فعل + فاعل + مفعول به + حال + جار + مجرور.
فعل مبني للمعلوم + فاعل + مفعول به.	فعل مبني للمجهول + نائب فاعل.
فعل + فاعل + مفعول به.	فعل + فاعل + مفعول به + تمييز.
الابتداء + مبتدأ + خبر.	الناسخ + اسم الناسخ + خبر الناسخ.
الابتداء + مبتدأ + خبر.	الابتداء + المبتدأ + الخبر + مضاف إليه.

وقيام اللغة العربية على الأصول الوضعية العامة لا يقتصر على المستوى التركيبي، بل هي سارية المفعول في جميع المستويات اللغوية، غير أن المستوى التركيبي في نظام اللغة العربية يقوم على نوعين من البنيات الأم:

أولاً: البنية اللفظية الكلية والمتمثلة في البنية العاملة: [ع + م ± 1 م ± 2]، فتحت هذه البنية يندرج عدد لا نهائي من الجمل العربية، بجميع أنواعها الاسمية والفعلية، وهذه البنية تتشكل في

¹ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 505/2.

أعلى مستوى تجريدي للغة العربية.

ثانياً: يتمثل النوع الثاني من بنيات الأم في الأصول الوضعية العامة التي تخص إما الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية، فتحت النمط الفعلي تتدرج الجمل الفعلية، وتحت النمط الاسمي تتدرج الجمل الاسمية.

وكما نجد البنية اللفظية الكلية لها ما يقابلها من بنى فرعية، كذلك للنوع الثاني من الأصول الوضعية العامة ما يقابله من البنى الفرعية، غير أن هذه البنى الأصلية هي أصول وضعية عامة، والأصول الأولى هي أصول أعم، كما أن هذا النوع من البنيات يأتي في المرتبة الثانية في المستوى التجريدي، فهي أقل من المستوى التجريدي للبنى اللفظية الكلية، فهذه الأخيرة أصلية كانت أم فرعية هي ذات مستوى تجريدي أعلى من الأصول الوضعية التي تخص أنماط الجمل الاسمية في مقابل الجمل الفعلية. إذ تتدرج الجمل الاسمية والفعلية تحت تلك البنية اللفظية الجامعة.

ومنه فإن البنيات الأم في المنهج الرياضي تتقاطع مع البنيات الأم الأولى في المستوى التركيبي، لا مع النوع الثاني، وذلك لأن أساس البنيات الأم في المنهج الرياضي عدم الارتداد إلى غيرها من البنى، في حين أن النوع الثاني من البنيات الأم في المستوى التركيبي ترتد إلى النوع الأول، وقد أطلقنا عليها مصطلح البنية الأم؛ وذلك لأنها مصدر اشتقاق لكثير من البنى اللغوية، وتعمل ذات العمل الذي تعمله البنية الكلية، إضافةً أن هذه البنية الكلية تخص المستوى التركيبي، في حين أن الأصول الوضعية العامة تحتل موقع البنيات الأم الوحيدة في باقي المستويات اللغوية، ومنه نجدها تتقاطع في باقي المستويات اللغوية مع مفهوم البنيات الأم في المنهج الرياضي، لأنها لا ترتد إلى بنيات تجريدية أعلى منها، كما أنها تتفرع عنها البنى الفرعية كما تتفرع البنى الفرعية من البنى الأم في المنهج الرياضي، وهذا جارٍ في جميع المستويات اللغوية، نوضح ذلك في الجداول التالية:

الجدول 2: المستوى الفونولوجي

البنى العامة	البنى الفرعية
الأصل في الأصوات الوصل.	الفرع في الأصوات الفصل.
الأصل أن ينطق كل حرف من مخرجه وبصفاته.	الفرع أن يخرج الحرف من مخرج آخر، أو يكتسب صفات حرف آخر.

الجدول 3: المستوى الإفرادي

البنى الأصلية	البنى الفرعية
صبيغ أصلية: [مَفْعُولٌ ، فاعل، يَفْعَلْ]	صبيغ فرعية: [مَفْعُلٌ. فاع، يِعْلْ]
أصل الاشتقاق: [ق. و. ل]	اسم الفاعل [قائل]، اسم المفعول [مَفْعُولٌ].
الأصل في الأسماء الإفراد .	الفرع في الأسماء التثنية والجمع.
الأصل في الأسماء التذكير .	الفرع في الأسماء التأنيث.
الأصل في الأسماء التثنية .	الفرع في الأسماء التعريف.
الأصل في الأفعال البناء .	الفرع في الأفعال الإعراب.
الأصل في الأفعال الدلالة على الحدث والزمان .	الفرع في الأفعال الدلالة على الزمن دون الحدث

الجدول 4: المستوى الدلالي

البنى الأصلية	البنى الفرعية
الأصل في الكلمة دلالة اللفظ على المعنى الوضعي.	الفرع في الكلمة دلالة اللفظ على معنى سياقي، أو معنى مقامي.
الحقيقة ما أقر في الاستعمال على ما دل عليه اللفظ في أصل الوضع.	دلالة الجملة على معنى مقامي، أو معنى مجازي.

فهذه جملة من القواعد تعتبر (عنواناً على الباب ولم يؤت بها هنا مُحَصَاة محصلة محاطة بها، بل جيء بها للاستدلال على طريقة النظر في تجريد الأحكام من المسائل، والضوابط من المثل، وعلى صدور النحو. في قراءته للسان العرب. عن مرتفق مكين ونظام محكم يصنف المفردات والظواهر إلى أصول ثابتة ومتنوعة قبلاً بالوضع، وفروع منحدره منها ومتنامية تتولد

عنها ظواهر جديدة وتتوسع، وتمتد إلى آفاق الاستعمال المختلفة التي تتنازع فيها مذاهب القول، ولكنها تظل وفية لأوضاع الواضع ملتزمة بأقيسته غير تاركة أصله ولا ناسخة شرعه).¹

ثانياً: كما يقوم المنهج الأكسيومي على بنى مجردة، فبنى المسلك الثاني في النسق اللساني الاستنباطي هي كذلك بنى مجردة سواء أ كانت أصولاً وضعية كلية، أم أصولاً وضعية عامة، أم أصولاً وضعية خاصة، وصولاً إلى بناء الفروع ككيانات مجردة، إذ يتسم النسق اللساني (بالشمول... أما العنصر الثاني من الشمول فهو تجريد الثوابت، ويكاد النشاط النحوي كله يكون من قبيل تجريد الثوابت، فلقد جرد النحاة الأصل والفرع... فأما الأصل فقد يكون أصل وضع، أو أصل قاعدة، وأصل الوضع يمكن أن يكون أصل حرف أو أصل كلمة أو أصل جملة).²

ثالثاً: كما يجري انتقال البنى الرياضية في المنهج الأكسيومي وفق البناء الهرمي المتسلسل، من بنى أم إلى بنى فرعية، إلى بنى مزدوجة إلى بنى خاصة، يتحدث الأمر عنه في النسق اللساني عند العلماء الأولين، إذ تتبنى البنى اللغوية في الذهن كما تتبنى البنى الرياضية وفق بناء هرمي، وذلك ببناء الوحدات اللغوية من أصول وضعية كلية أو أصول وضعية عامة إلى الأصول الوضعية الخاصة إلى الفروع. وكما يجري الانتقال في ذلك البناء الهرمي للبنى الرياضية من مستوى تجريدي أعلى يخص البنيات الأم والبنى الفرعية إلى مستوى تجريدي أقل يخص البنيات المزدوجة، إلى مستوى تجريدي أدنى يخص البنى الخاصة، الأمر عنه يحصل في الفكر اللساني؛ إذ يجري الانتقال من مستوى تجريدي أعلى خاص بالأصول الوضعية الكلية وما يقابلها من فروع كلية مجردة، هي في ذات المستوى التجريدي لبنائها الأصلية، إلى المستوى التجريدي العالي، وهو أقل درجة من البنى الكلية، إنه مستوى الأصول الوضعية العامة وما يقابلها من بنى فرعية، إلى مستوى تجريدي خاص وأقل تجريداً هو مستوى الأصول الوضعية الخاصة، فمن الأصول الوضعية الخاصة ما قدمه سيبويه في قوله: (وإنما الأصل قيوم وديور،

¹ الأساس المعرفي للغويات العربية، عبد الرحمن بوردع، ص 119.

² الأصول، تمام حسان، ص 58.

لأنهما بنيا على فِعَالٍ وفِعُولٍ¹، إذ يوضح لنا سيبويه هنا كيف تتبني الأصول الوضعية الخاصة: [قِيُوم، وديوور] على الأصول الوضعية العامة: [فِيْعَال، وفِيْعُول].

وفي كثير من الحالات ينتقل اللساني من هذا المستوى التجريدي إلى ما هو أدنى منه هو مستوى بناء الفروع كوحدات لغوية مجردة، وذلك إذا وقع تغيير في الأصول الوضعية الخاصة، ولقد رأينا فيما مضى؛ كيف عقد ابن جني باباً في بناء الفروع على أصول فاسدة، وكان ذلك من قبيل البناء والافتراض، فإن اللساني في المسلك الثاني في النسق اللساني، وهو مسلك افتراضي في الأساس الأول يبني الفروع ككيانات مجردة، ثم يرى هل هي مستعملة أم مهملة، وبناء الفروع المجردة إنما يكون على الأصول الوضعية الخاصة، بتغيير معين يلحق الأصل فيبنى الفرع، الذي قد يخرج إلى الاستعمال أو يهمل، أو يلغيه المتكلم في سياق لغوي معين مستغنياً به عن فرع أو أصل آخر، فإجراء (العمليات التحويلية لتفريع الفروع وهو نوع من الحساب على الوحدات اللغوية، وقد برع فيه النحاة العرب منذ أقدم العصور... وخلاصة القول في الأصالة والفرعية أنها هامة جداً إذ يمكن أن يتأول الأصل والفرع من الناحية المنطقية الرياضية).² مثال ذلك: أن نظام اللغة العربية يقدم لنا الكلمة المنصرفة على أنها نتاج صياغة أصل اشتقاق معين في أصل صيغة معينة أو صيغة فرعية، وعليه يستطيع اللساني أن يجري عملاً عقلياً بصياغة أصول الاشتقاق في صيغ صرفية فرعية، فنكون النتيجة كلمة محولة عن أصلها العام والخاص، وهي فرع قائم بذاته لكنه فرع مجرد، لا يُقَرُّه اللساني إلا إذا أقره الاستعمال، وفي كثير من الحالات نجد المتكلم العربي لا يستعمل ما أفضى به القياس الذي أجراه اللساني، انطلاقاً من القياس الأصلي الذي تقوم عليه اللغة العربية.

فلقد بينّا سابقاً كيف أن لهذا اللساني أن يفترض، وكيف له أن يجري أدواته المنهجية وتجريبه العقلي، نظيره في ذلك نظير الرياضي، فإن بناء العلماء للوحدات اللغوية في نسقهم اللساني بما

¹ الكتاب، سيبويه، 367/4

² منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 154-155.

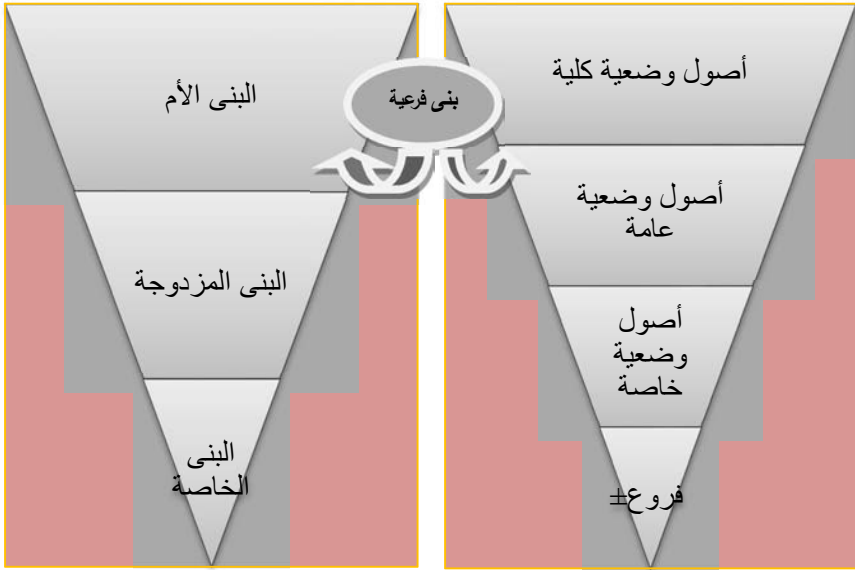
في ذلك الفروع المجردة، ما هو إلا مقارنة نظرية لما يحدث في ذهن المتكلم العربي، ومقارنة نظرية لما حدث في فكر واضع هذه اللغة، انطلاقاً من المنطق الأصلي للغة في حد ذاتها، فافتراضهم مبني على أصول قياسية، وفي ذلك يقول ابن جني: (اعلم أنك إذا أدّك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه، فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت مُخَيَّر فيه... فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة)¹ فبناء الأصول والفروع عند الأولين في مسلّكهم الاستنباطي الثاني (مداره على القياس، ذلك لأنه بُني أساساً على افتراض النحاة المؤسسين تَحَقُّقَ إمكانات القياس في الاستعمال أو في التقدير دون الاستعمال)² بمعنى أن ما افترضه النحاة مما ترك استعماله لو جاء على ما يوجب القياس بالحمل على أمثاله لكان على تلك الصورة التي افترضوها.³ والملاحظ مما تقدم ذكره؛ أننا أمام نفس البناء الهرمي للبنى بين الفكر الرياضي والفكر اللساني، ونفس النظام التوالدي الذي يقيمه الفكر في إنتاج بناءه، سواء أكانت بنى رياضية كلية، أو بنى لغوية تعد إحدى النماذج الهامة العاكسة للبنى الرياضية ولمنطق الفكر الرياضي.

إذ نلاحظ من هذا البناء الهرمي للنموذج الرياضي والنموذج اللساني؛ أن الفكر يبني بناءه في المستوى التجريدي بذات الآليات، وهي هنا آلية التوليد، ومنه تتشكل البنى وفق نظام هرمي، كما نلاحظ أن هذا المستوى التجريدي درجات، بحيث تنتقل البنى الرياضية، والبنى اللسانية التي تعد نماذجاً من بين النماذج الرياضية للفكر، من مستوى تجريدي أعلى إلى مستوى تجريدي عالٍ أقل درجة، إلى مستوى أقل إلى مستوى أدنى.

¹ المنصف، ابن جني، 126-125/1.

² ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه، بن لعلام مخلوف، ص 150.

³ المرجع السابق، ص 150.



الشكل 3: البناء الهرمي للبنى الرياضية والبنى اللسانية.

كما نلاحظ في الشكل من خلال المخطط الهرمي المزدوج، أن البنيات اللسانية أكثر تدرجاً، فالبنى الأصلية في الفكر اللساني تنقسم إلى بنيات كلية أكثر تجريداً وهذه تتقاطع مع البنيات الأم في المنهج الرياضي، وذلك لأنها بنى لا ترتد إلى غيرها، في حين لا وجود في الفكر الرياضي لبنى أم ثانية، أقل درجة في التجريد، في حين أن المنهج اللساني توصل إلى مفهوم البنى الأصلية الأقل تجريداً من الأصول الوضعية الكلية، نحو بنية المبتدأ والخبر في مقابل البنية العاملة: [عامل ومعمول أول ومعمول ثانٍ]، فهذه البنى الأصلية الوضعية هي في الحقيقة [بنى أم] تتفرع منها هي الأخرى بنى فرعية، وتشتق منها الأصول الوضعية الخاصة، كما تشتق من البنى الكلية، فيمكن اعتبارها [بنيات أم ثانية] نقل درجة عن البنى الأم الكلية، وهذا يحدث كثيراً في المستوى التركيبي، أما في المستويات الأخرى فلا وجود لبنيات أصلية كلية أعم في مقابل بنيات أصلية عامة، كما رأينا سابقاً، وهنا يتقاطع البناء الهرمي الرياضي مع البناء الهرمي

اللساني بشكل أكبر؛ على مستوى ماهية البنيات الأم وعدد البنيات، فتكون لدينا في المنهج اللساني بنيات أم واحدة هي الأصول الوضعية العامة، نحو: الأصول الوضعية الاشتقاقية، أو أصول الصيغ، أو أصول وضعية عامة تخص الأسماء نحو: الأصل في الأسماء التذكير، الأصل في الأسماء التذكير، الأصل في الأفعال البناء، الأصل في الأفعال الدلالة على الحدث والزمان، وغيرها من الأصول العامة، وفي المستوى الدلالي: الأصل في اللفظ الدلالة على معنى وضعه الأول، الأصل في الحقيقة ما أقره ظاهر اللفظ، وفي المستوى الصوتي الأصل في الأصوات الوصل والفرع الفصل، لنكون بعدها أمام الأصول الوضعية الخاصة، التي قد تجري عليها تغييرات فتتشكل لدينا الفروع كوحدات لغوية بعينها مجردة ومحوّلة.

كما نجد أن التركيب بين بنيتين أم أو أكثر يؤدي بنا إلى نوع من البنى الجديدة في المنهج الأكسيومي يطلق عليها البنى المزدوجة، وهي بنى جديدة وليست نوعاً من التراكم الذي لا يعطينا جديداً، ونكون فيه أمام تحصيل حاصل، الأمر عينه نجده في النسق اللساني، فالتركيب بين أصول الاشتقاق وأصول الصيغ باعتبارها بنيات أم يفضي بنا إلى بنية جديدة هي أصول وضعية خاصة؛ فصياغة أصل الاشتقاق [ق. و. ل] في أصل صيغة اسم الفاعل: [فاعل] تكون نتيجته بنية لغوية جديدة هي: [قاول] المحوّل في الاستعمال إلى [قائل]. كما يؤدي بنا التركيب بين الجمل البسيطة إلى ولادة نوع آخر من الجمل هو الجمل المركبة، كالجمل الشرطية، كما يعتبر نموذج الجمل الكبرى والجمل الصغرى الذي وضعه لنا ابن هشام في بناء الجمل الاسمية من أهم النماذج الدالة على البنى المزدوجة في نظام الجمل العربية، نحو: "زيد أبوه قائم"، ف [أبوه

قائم] خبر زيد هو جملة صغرى، ومجموع المبتدأ والخبر: [زيد أبوه قائم] جملة كبرى.¹

وكما راح الرياضي يرتقي بالبنى المجردة من مستوى تجريدي إلى مستوى تجريدي أعلى، راح الفكر اللساني يستتبّط البنى من درجات أدنى إلى الدرجات العليا التي تقوم عليها الظاهرة اللغوية، فليس هناك من شك في أن المنهج اللساني بقارب المنهج الأكسيومي بكونه (أداة للتجريد

¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 45/2.

والتحليل بالغة الأهمية، أداة تفتح أمام الفكر باب التجريد بأوسع ما يمكن، وتطرح أمامه باستمرار آفاق جديدة وإمكانيات جديدة في المضي قدماً في العالم المجرد، إن الانتقال من نظرية مرتبطة بالمشخص إلى نفس النظرية وقد صيغت صياغة أكسيومية... خطوة هامة جداً في إغناء الفكر البشري وإكسابه قدرة لا تحد على معالجة أكثر القضايا تجريداً وتعميماً... إنها خطوات لا يساويها في الأهمية سوى تلك الخطوات التي نخطوها عندما ننقل من العدد المشخص "كومة" من الأرقام أو من الحصى مثلاً إلى العدد الحسابي 1، 2، 3... ومن الحساب إلى الجبر... إن هذا الانتقال من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى، على صعيد التجريد يفتح أمام الفكر آفاقاً جديدة خصبة، ويساعده على تنظيم المعلومات المعارف التي اكتسبها تنظيمياً محكماً، وإرجاعها في النهاية إلى مجموعة قليلة من المبادئ والطرز المضبوطة بدقة).¹

وكما يعود الرياضي إلى الواقع، فتصبيه الدهشة لانطباق البنى التي أنتجها في الرياضيات البحتة على الواقع، يعود اللساني إلى الواقع اللغوي من جديد، بعدما ينتهي من تجريبه وبنائه العقلي للوحدات اللغوية، دون أن تصيبه الدهشة، لأنه يختلف عن الرياضي بارتباطه، برغم تربيته في التجريد، ببنية يعلم أنها متحققة أصلاً في الواقع.

فقد لا يشعر بدهشة المفاجأة كما يشعر بها الرياضي لأن اللساني لا يبني البنى بقدر ما يكتشفها ويكشف عنها، لكنه يشعر بالجمال عندما يقوم بتصوير دقيق للعمل العقلي الباطني في إنتاجه للظاهرة اللغوية؛ وكأننا بالخليل. وغيره من العلماء الأولين الذين ساروا على نهجه وخطاه. يعمل عمل الرياضي في الرياضيات البحتة عندما يكون بصدد إجراءاته العقلية الافتراضية التي يحاول بها الكشف عن المنطق الرياضي اللغوي للفكر، كما يعمل عمل الرياضي في الرياضيات التطبيقية، عندما يعود من الافتراض إلى الواقع، مصوراً لنا مجريات هذا الواقع في كثير من أوجهه وفق منطق رياضي كذلك، إنه تزواج فعال في منهج الأولين، وانعكاس دقيق للغة على منهجهم، الذي تصيب المتأمل فيه الدهشة ويشعر بالجمال العقلي والعلمي في تلك الصياغة

¹ مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 90/1.

لأبجديات اللغة وفق منطق رياضي. فإن (استمرار الرجوع إلى المسموع والاعتماد الكلي على المشاهدة مع عدم التساهل على الإطلاق في تقبل المعطيات يظهر كل ذلك بوضوح في كتاب سيبيويه، وكتب الكثير من أتباعه من جهة ثم اللجوء الدائم، مع كل هذا، إلى الوسائل العقلية والافتراض في هذه الكتب نفسها من جهة أخرى **ليثير العجب**: كيف يمكن أن توجد جنباً لجنب في مواقف هؤلاء العلماء نزعة التمسك الشديد بالمشاهدة" وصحة نقلها" واللجوء الواسع في نفس الوقت إلى الاستدلال والتصورات العقلية المعقدة والبعيدة عن المحسوس).¹ هذا وينبغي (ألا يفهم من وصفنا للوسائل التي لجأ إليها النحاة القدامى بأنها من جوهر رياضي، أن ذلك ينطبق على كل شيء بل هو يخص فقط التحليل للتراكيب والبنى وصوغها، والنحاة العرب هم أول من تقطن إلى أن التراكيب اللغوية يمكن أن تتناول بالتحليل الرياضي، ثم إن كل ما هو عقلي ليس بالضرورة رياضياً، فالمنطق بمعناه الضيق هو عقلي وبخص طريقة الاستدلال وليس بالضرورة رياضياً ويمكن مع ذلك أن يصاغ بطريقة رياضية).²

فلقد كان العلماء العرب هم أول من تقطن إلى الجوهر الرياضي للغة، وإلى أن آلية تحليلها لا بد أن تتحو منحى رياضياً، حتى تجاري مسلكتها ومجراها في ذلك المنطق الرياضي، يؤكد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أسبقية الفكر العربي إلى الرؤية الرياضية للغة وإلى منهج تحليلها الرياضي، وذلك للحضور القوي للتفكير الرياضي في الدرس اللساني الحديث والمعاصر، سواء على المستوى النظري أو على المستوى التطبيقي، فلقد (بدأ علم اللغة الحديث في الفكر الغربي" بثنائيات "دي سوسير"، واكتسب الصياغة الرسمية بفضل رياضيات راسل وتشومسكي، واستقر في الفضاء النظري الأشمل بفضل البحوث الدلالية والمعرفية، ودانت ظواهره للتحليل الدقيق والمحاكاة الأمينة لخضوع نموذجها للسيطرة التحليلية والتركيبية لنظم المعالجة الآلية، هذه هي خلاصة المسار الحلزوني الجدلي الذي سلكه علم اللسانيات الحديث).³

¹ منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 109-110.

² منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 30-31.

³ اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي، ص 77.

فحضور الفكر الرياضي في اللسانيات الحديثة حضور ذو وجهين، وجه نظري يتمثل في اللسانيات البنوية، وحضور تطبيقي يتمثل في اللسانيات الحاسوبية، فعلم اللغة الرياضي اليوم (واحد من الفروع اللسانية الحديثة التي تتظر في اللغة على أنها ظاهرة حسابية، منسوجة صوتاً وتركيباً ودلالةً، ومنظمة على نحو متشابك يتوخى تطويعها ووضعها في أطر وصيغ رياضية، بقصد معرفتها معرفة دقيقة لإثبات الفرضية التي وضعها تشومسكي من أن اللغة عبارة عن آلة مولدة ذات أدوات محددة قادرة على توليد ما لا نهاية من الرموز اللغوية من خلال طرق محددة)¹.

وإذا كانت الصورة الرياضية للسانيات قد بلغت ذروتها على يد نعوم تشومسكي، فإنها ظهرت على يد سابقه من البنويين، فلقد بدأ انتساب الفكر الرياضي في اللسانيات البنوية على يد بلومفيلد "رائد النظرية التوزيعية" ليتبلور أكثر وبشكل أدق على يد يامسلاف "رائد النظرية النسقية"، فلقد ظلت اللسانيات الغربية (مدّة طويلة علم الملاحظة، حيث تستحصل النتائج بالاستقراء والتعميم بمقارنة مختلف مراحل تطور لسان ما أو مقارنة ظواهر تنتمي لألسنة مختلفة، ثم ارتأى بعض اللسانيين مثل بلومفيلد وبالمسلاف إمكان دراسة البنى اللسانية وضرورتها باستعمال البنى الرياضية)².

وقد فجر تشومسكي النموذج الرياضي للفكر اللساني الحديث في نظريته التوليدية التحويلية، إذ جاءت اللسانيات البنوية عنده لسانيات رياضية رؤية وصياغة ومنهجاً، إذ (تمتاز الصيغ الرياضية بقدرتها الهائلة على تمثيل الظواهر اللانهائية، فيمكننا مثلاً، بمعادلة رياضية واحدة للخط المستقيم: $أس + ب + ص + ج = 0$ ، تمثيل العدد اللانهائي من المستقيمات مختلفة الاتجاهات والمواضع، وبصيغة واحدة للمتواليات الهندسية أو العددية، يمكننا التعبير عن الحالات اللانهائية لسلاسل هذه المتواليات، لقد نجح تشومسكي في اختزال نظام التقعيد اللغوي إلى

¹ علاقة اللسانيات بالرياضيات "رهانات أم عقبات"، صابر حباشة، ص 50.

² علاقة اللسانيات بالرياضيات "رهانات أم عقبات"، صابر حباشة، ص 50.

تجريدات رياضية، قادرة على تمثيل المتنوع اللغوي اللانهائي، ووضع الصبغ الرياضية، التي يمكن بها التحقق من صحة التعبير اللغوي).¹

كذلك للفكر الرياضي حضور أقوى في اللسانيات الحاسوبية التي تستفيد كثيراً من المعطيات اللسانية الرياضية في اللسانيات البنوية الرياضية، فلقد (صاحب ظهور الحاسوب في أواخر الأربعينيات تفاؤل شديد باستعمالاته المحتملة في مجال التحليل اللغوي، والترجمة الآلية، وكان من الطبيعي أن تجيء المحاولات الأولى في حقل الترجمة الآلية، ونمذجة اللغات مخبية للآمال، إذ لم يكن من المعقول أن نتعامل قوة الحاسوب الآلية ذات التنظيم المطلق الاطراد، مع المعضل اللغوي قبل إخضاع هذا المعضل للتجريد الرياضي الذي هو بمثابة تصريح الدخول الرسمي لساحة المعالجة الآلية)² لتظهر في (نهاية الخمسينيات نظرية "النحو التوليدي التحويلي" على يد نوام تشومسكي، لتضع أسس النموذج الرياضي للغة، والذي اكتسبت اللسانيات به رؤيتها العلمية الخاصة).³

ومع أن اللسانيات البنوية اتخذت البنية موضوعها الأوحد، كما نجد ذلك في الفكر الرياضي المعاصر، ومع تفوق النظرية التوليدية التحويلية في الصياغة الرياضية للبنى اللسانية، فإن حضور البناء الرياضي عند العرب الأولين كان حضوراً بنوياً أقوى، ويدرك المتأمل في المنهج الأكسيومي أن النظرية التوليدية التحويلية بنيت على أساس المنهج الأكسيومي، فما البنى العميقة إلا البنى الأم وما البنى السطحية إلا البنى الخاصة في الفكر الرياضي، وما التحويلات الجارية من البنى العميقة إلى البنى السطحية إلا آليات توليد، كشف عنها تشومسكي وفق ذلك المنهج الرياضي، لكن مع ذلك التشابه، ومع تلك الصياغة الرياضية الدقيقة لنظريته، نجد دراسات الخليل لا تقل شأنًا عن الدراسات اللسانية البنوية المعاصرة في ذلك المنهج الرياضي في دراسة

¹ اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي، ص 75.

² اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي، ص 73-74.

³ اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي، ص 74.

البنية اللسانية، فأهم ما يتميز به المنهج الأكسيومي هو توليد جميع البنى الرياضية من بنيات أم، وهذا ما فعله العلماء العرب عندما جعلوا جميع الظواهر اللغوية تشتق من بنية نواة واحدة هي بنية الأصل والفرع، هذه البنية السارية المفعول في جميع مستويات اللغة العربية، في حين أن البنى العميقة في النظرية التوليدية التحويلية بنى تخص المستوى التركيبي أي تخص الجمل، ولا تسري في جميع المستويات اللغوية، فهي بنى أم محدودة الفعل والفاعلية في المنظومة الكلية للظاهرة اللغوية.

كما يتقاطع المنهج اللساني عند الخليل مع المنهج الرياضي المعاصر في ذلك المستوى التجريدي العالي والمتمثل في البنى الكلية، وفي الأصول الوضعية العامة، أو ما يعرف بالمثل، ومفهوم المثل وما يتبعه من مفهوم الموضع كمفهوم مجرد ذي مستوى عالٍ، لا وجود له في اللسانيات البنوية كما وضح لنا ذلك الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ يقول: (فأما مفهوم الموضع كما وصفناه، وكذلك مفهوم المثل فلا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً، حتى الآن...) ¹ فمع أن اللسانيات الرياضية عند تشومسكي هي أكثر عمومية، لأنها لسانيات عامة تخص جميع اللغات، إلا أنها لم تتوصل إلى مفهوم عام بالغ التجريد كمفهوم المثل وما يتعلق به من مفهوم تجريدي عالي المستوى هو مفهوم الموضع، فإذا كانت اللسانيات التحويلية لسانيات عامة، فمفاهيم اللسانيات العربية. مع كونها لسانيات خاصة. أفرزت مفهوماً صورياً رياضياً عالي المستوى، وبالغ التمثيل الرياضي. فالبنية عند العرب الأولين (أو البناء، هي مجموعة مرتبة من المواضع، والموضع يشبه هنا إلى حد بعيد الموضع الطبولوجي في الرياضيات الحديثة، ولا يعرف هذا المفهوم الهام جدا الكثير من علماء اللسانيات). ²

وذلك لأن مفهوم الموضع في الدرس اللساني مفهوم اعتباري تصوري، ولا يعني موقعاً في مدرج الكلام، كذلك مفهوم المكان في الرياضيات الحديثة، فهو لا يعني أبعاداً حسية، بل هو

¹ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 21/2.

² منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 291.

تصور ذهني، كما رأينا ذلك عند حديثنا عن مفهوم الكم في الرياضيات الكلاسيكية، ومن الأقوال الدالة على هذا المفهوم الذهني الصوري للموضع في البنية اللسانية، مثلما نجد الموضع الطبولوجي مفهوماً صورياً، ما يقوله ابن جني عن أحوال الموضع: (وهذا يدل على قوة اعتقادهم أحوال المواضع وكيف يقع فيها، ألا ترى أن الموضع موضع جمع وقد تقدم في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الأفراد، لأنه مما يؤلف في هذا المكان).¹

ثم هناك نقطة مهمة تتمثل في أن أساس البنية في الفكر الرياضي هو مفهوم التقابل التناظري أي القياس، واللسانيات البنوية لا تقيم نظرياتها على أساس القياس التناظري، وإنما على الاندراج بما في ذلك النظرية التوليدية التحويلية، التي تميزت بصياغتها الترميزية وبأشكالها الشجرية (فهذه الرسوم تمثل عند البنويين الأمريكيين بنية هذه الجملة، والشجرة هي أمثل صورة ... وهو الشكل الاندراجي المتداخل، وهذا الشكل ينطبق على كل ما يسميه البنويون structure حتى عند تشومسكي الذي تبنى التحليل إلى مكونات قريبة وإن كان قد بين قصور هذا التحليل فصاغه من أجل ذلك صياغة منطقية" النظرية التوليدية التحويلية" وحاول أن يصلح هذا النقص بإضافة مفهوم التحويل وكان ذلك حادثاً حاسماً في اللسانيات الغربية).²

ومن أوجه الصياغة الرياضية عند تشومسكي ما يعرف بقواعد إعادة الكتابة، والتي تكتسي طابعاً توليدياً اندراجياً، فلقد (استعار تشومسكي أيضاً هذا المصطلح للدلالة على التوليد الاندراجي "قواعد إعادة الكتابة" وليس التوليد عند العرب "اندراجياً بل تركيبياً" فالشجرة عند تشومسكي ترسم عملاً تحليلياً، يتبين فيه كيف تتدرج المكونات القريبة بعضها في بعض، ويمكن أن نرسم المثال المولد العربي بشجرة أيضاً غير أنه يصير تحليلياً فلا تتبين فيه الحركية التحويلية التركيبية).³

¹ الخصائص، ابن جني، 419/2.

² بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 36/2.

³ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 87/2.

فالمنهج الخليلي أقرب إلى المنهج الرياضي المعاصر، وذلك لأنه ينطلق من البسيط إلى المركب، بإضافة عناصر أولية تتدرج من خلالها الوحدات الفرعية الأكثر تركيباً من البنيات الأصلية، فعملهم [تركيبى - تفريعى] في حين أن عمل البنويين بما في ذلك النظرية التوليدية التحويلية هو [تحليلي تقطيعي]، إذ إن (كل العناصر المفيدة القابلة للانفراد تعتبر في اللسانيات الخليلية كأصول يمكن أن تفرع منها وحدات أخرى بعمليات خاصة وهذا بعد حصر الأصول، فهذا أقرب إلى "الصياغة الرياضية" من تحليل الجمل بعملية التقطيع المتسلسل والاستبدال كما هو الحال عند الوظيفيين، وتجاوز هذا التحليل الساذج القرائيون الأمريكيون بلجوئهم إلى التقطيع إلى مجموعات متداخلة من العناصر اللغوية يسمونها بالمكونات القريبة، فجاء تشومسكي فاستطاع أن يصوغها على شكل "شجرة" وهو مفهوم منطقي رياضي، ومهما كان فكل هذا عمل [تحليلي - تقطيعي]، أما عند الخليلين فالعمل على عكس ذلك [تركيبى - تفريعى]، وهذا طبيعي لأنهم ينطلقون في عملهم من أصغر ما يتخاطب به مفرداً ويعتمدون في ذلك، كما فعل الخليل.

ليس هذا فحسب؛ وإنما تقوم البنى اللسانية عند الأولين في الأساس على المواضيع، والموضع ليس عنصراً يركب، أو يدخل في سياق الكلام، إنما هو جزء من نظام باطني، لا يسري وفق نظام الاندراج، وإنما وفق نظام التكافؤ بين الوحدات اللغوية، يستنبطه العلماء الأولون باعتباره بنية بالغة التجريد وفق القياس أو وفق التقابل التناظري.

أما فيما يخص [الصياغة الرياضية والتعميم]، فلقد تفوقت اللسانيات المعاصرة في ذلك، وهذا أمر بديهي لأن الرياضيات ماثلة أمامها، أما فيما يخص العرب فهو الأمر المدهش فعلاً، إذ نعلم أن المنطق الرمزي في الفكر الرياضي لم ينتج دفعة واحدة، فإلى غاية عصر الخوارزمي كانت الرياضيات تكتب في كثير من أوجهها كعبارات، أكثر من كونها رموزاً، ومع هذا وفي القرن السابع للميلاد، نجد الخليل يقدم لنا البنى اللغوية في تمثيلات رياضية بالغة الترميز، بعناصر محدودة في المستوى الإفرادي الخاص بالكلمات المنصرفة، وهي [ف . ع . ل] الدالة على المتغيرات، مبقياً الزوائد على حالها، يدلك على ذلك قول ابن جني: (ما مثال ضُرب؟ قلت: هو

فُعل. فتحكي في المثال بناء ضرب فتنبيه كما بنيت مثال المبني)¹، والتمثيل عند العلماء الأولين ناتج عن عملية الحمل أو القياس إذ (يؤدي هذا الحمل إلى **تجريد رياضي**، لا يكتفي فيه بتجريد الصفات المشتركة الذي ينتج منه الجنس "الفئة البسيطة" بل إلى **بنية مجردة** وهي مثال الكلمة وتمثل فيها المتغيرات برموز "ف/ ع/ ل" والثابت بالبقاء على أصلها)².

والتمثيل اللساني هنا هو عين التمثيل الرياضي، ناتج عن القياس وعن عبقرية الخليل الرياضية في دراسته للبنية، التي لم يكتف فيها باستنباطها استنباطاً رياضياً، ونعني بها استنباطها عن طريق التقابل التناظري، إنما راح يقوم بترميزها ترميزاً رياضياً، مما يدل على قدرته الفائقة على التجريد فالتمثيل عند النحاة الأولين هو (وسيلة يلجأ إليها النحوي ليمثل البنية التي اختصت بها مجموعة من العناصر أو مجرى من مجاريها بصفة عامة، وهي دائماً رسم مختزل للواقع اللغوي... واختار النحوي العربي ما هو مهم في اللغة وفي تصويره العلمي، وهو البنية.. وكما يفعل الباحث في العلوم الطبيعية بلجؤه إلى وضع نمط أي نموذج Model يمثل به بنية الشيء وكيفية تصرفه، ليوضح أسرارها وما غمض من ذلك وكل ما يمكن أن يعرف بمجرد مشاهدته له، فهو تدخل من الباحث وصنعة منه كما يقول علماؤنا القدامى)³ ولا يقتصر التمثيل الرياضي عند الأولين على مستوى النحو العربي، فلَكم هو أمر مذهل صياغة الخليل للعروض العربي وفق ثنائية الثابت والمتغير: [المتحرك والساكن]، وكيف قام بتلك التمثيلات الترميزية الرياضية للبحر الشعرية، هنا الإعجاز، وهنا العبقرية، وهنا الروعة الفكرية الجمالية، إنك ترى عقل الخليل يتحرك وكأنه عقل رياضي من القرن العشرين، وهذا لا يمكن (أن يحصل إلا في أعلى مستوى من التجريد العلمي، وساعد الخليل في ذلك ما وهبه الله من القدرة النادرة على التجريد حتى بلغ اجتهداه أن وضع وابتكر الكثير من المفاهيم الرياضية التي لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر

¹ الخصائص، ابن جني، 2/ 200.

² بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 39/2.

³ منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 295.

مثل ... /الابنومورفيزم" توافق البناء" فهذه هي حقا معجزة العرب!).¹

ومما تقدم ذكره؛ يتبين لنا كيف يقترب المنهج اللساني الخليلي من المنهج الأكسيومي كمنهج رياضي معاصر، فهذا المنهج (بالنسبة إلى التفكير كقواعد النحو والصرف للغة، فكما أن عرب الجاهلية مثلا كانوا يتحدثون اللغة العربية بطريقة سليمة قبل صياغة قواعدها النحوية والصرفية صياغة مقننة، فكذاك بالنسبة إلى التفكير الأكسيومي. وإذن، فإن الأمر هنا لا يتعلق باختراع جديد، بل فقط باستعمال منهجي مقنن لطريقة كانت مستعملة من قبل، بشكل أو بآخر، طريقة ينهجها الفكر البشري، بكيفية لا واعية، سواء في ميدان الرياضيات أو المنطق، أوفي ميدان العلوم الاستدلالية الأخرى، إن هذا الاستعمال الواعي للمنهج والمقنن للطريقة الأكسيومية هو ما يشكل بحق إحدى المعالم الرئيسية التي تبرز أصالة التفكير الرياضي والعلمي المعاصر).²

إن الجسر الرئيسي الذي تعبر عليه العلوم إلى هذا المنهج الرياضي المعاصر هو نزوعها نحو التجريد، ولأن اللسانيات العربية عند الأولين كانت استقرائية من الدرجة الأولى وفي ذات الوقت تجريدية في المستوى الأعلى، نراها تتقاطع مع الفكر الرياضي المعاصر، قبل أن تتقاطع معه العلوم الطبيعية في القرن العشرين، على رأسها العلوم الفيزيائية، وفي مقابل العلوم الفيزيائية نجد علوما ما تزال بعيدة في منهجها عن المنهج الأكسيومي بسبب عدم ارتقاها إلى مراتب التجريد التي تؤهلها لأن تتقاطع معه مثلما نجد ذلك في العلوم البيولوجية، في حين نجد المنهج اللساني الخليلي يتقاطع مع المنهج الأكسيومي في أوجه كثيرة، ففكر صاحبه كان سابقا لعصره، ونجد المنهج الأكسيومي يقارب في أبجدياته التجريدية اللسانيات العربية قبل أن يغزو بأبجدياته الفيزياء النظرية، قبل أن يغزو فيزياء الأشياء الصغيرة جداً "الميكروفيزياء" وفيزياء الأشياء الكبيرة جداً "فيزياء الفضاء"، إذ يمثل مفهوم الموضع. باعتباره مفهوماً تجريدياً. فضاء الفكر المجرد في اللسانيات العربية.

¹ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 76/75/2.

² مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 89/1.

يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه "مدخل إلى فلسفة العلوم" عند حديثه عن تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة: (...أما في ميدان العلوم الطبيعية فإن أقل ما يمكن قوله هو أن المنهاج الأكسيومي يسير سيراً حثيثاً لغزو العلوم الفيزيائية، خاصة منها فيزياء الأشياء الصغيرة جداً، "الميكرو فيزياء" وفيزياء الأشياء الكبيرة جداً" ميدان الفضاء". وإذا كان هذا المنهاج لم يجد بعد سبيله إلى العلوم الطبيعية الأخرى كالبيولوجيا، مثلاً، فما ذلك، إلا لأن هذه العلوم ما زالت ترحف على الدرجات الدنيا من سلم التجريد... لقد أصبحت الفيزياء اليوم كما يقول Destouches غير قابلة للقياس التزامني، أي تحديد الموقع والسرعة في آن واحد، **إنها اليوم فيزياء علاقات، فيزياء بنوية تتوقف فيها الحدود على العلاقات، على خصائص النظام الأكسيومي**.¹

وإذا كانت اللسانيات العربية منذ القرن السابع للميلاد ما تزال لسانيات بنوية أيضاً، تبحث في شبكة العلاقات الداخلية والخارجية للغة، باتت الرياضيات والعلوم المتأثرة بها اليوم هي كذلك تبحث عن منظومة العلاقات المتشابهة التي تتشكل من خلالها البنى، للتقاطع مع اللسانيات في ذلك الوجه البنوي، إذ يمكن القول (الآن إن وجه الرياضيات تغير رأساً على عقب، بعد أن صيغت فروعها صياغة أكسيومية. وهكذا، فبدلاً من التصنيف التقليدي الرياضي، حسب موضوعها، إلى حساب وجبر وحساب تفاضل وهندسة، نجد أنفسنا اليوم أمام تصنيف جديد أكثر وضوحاً ودقة، تصنيف يقوم على أساس العلاقات والبنى التي تشكل من هذه العلاقات).²

الخاتمة:

إن موضوع الفكر الرياضي المعاصر هو كل بنية يمكن إدراكها بالفكر، ولأن الظاهرة اللغوية إنتاج فكري يخضع لنظام أي لمنظومة من العلاقات، أو بتعبير آخر لأن الظاهرة اللغوية هي في حد ذاتها بنية ينتجها الفكر وقابلة للإدراك الفكري، فإن الرياضيات تتقاطع مع اللسانيات العربية،

¹ مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 92/1.

² مدخل إلى فلسفة العلوم، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، محمد عابد الجابري، 91/1.

كما أن جميع البنى التي تدرسها العلوم تتقاطع مع الفكر الرياضي، بعد أن أخذت الرياضيات على عاتقها البنيات كموضوع للدراسة وكجزء محوري لمنهجها الفرضي الاستنباطي، لكن ما يميز التفكير اللساني عند الأولين أنه سبق اللسانيات البنوية اليوم في التعامل مع **البنية كموضوع دراسة**، وما يميزه عن كثير من العلوم اللسانية، أن منهج الأولين كان يستند أيضاً إلى منهج رياضي في دراستهم وتحليلهم للغة العربية كبنية مجردة، فلم يكتف باتخاذ البنية موضوعاً، ولم يكتف بتقاطع المنظور اللساني مع المنظور الرياضي للبنية، بل كان منهج الدراسة منهجاً رياضياً سابقاً لعصره، لأن فكر الخليل فجّر مفاهيم رياضية لم يعرفها الفكر الغربي إلا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هذه المفاهيم التي باتت قوام المنهج الرياضي المعاصر باعتباره منهجاً أكسيوماتيكياً، فإذا كانت اللسانيات البنوية الحديثة في وجهها الرياضي قد صاغت شكلها وفق مقتضيات الفكر الرياضي المعاصر باعتباره فكراً حاضراً ماثلاً أمامها، فالخليل كان فكره رياضياً أصيلاً في تعامله مع الظاهرة اللغوية كبنية، موضوعاً ومنهجاً.

بحوث في الترجمة

الدلالات والمقاصد من ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا من اللغة العربية إلى الروسية وغايته العلمية من تأليف¹

سيد رحمن سليمانوف
جمهورية طاجيكستان

الترجمة هي إحدى أهم الأعمال الثقافية الإنسانية التي أدّت دوراً مهماً في حياة البشر الحضارية، وأصبحت جسراً مهماً بين الشعوب الإنسانية المختلفة، فهي عامل من عوامل التواصل والتفاعل بينها، سواء أكان هذا التفاعل اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً.

ولا أحد ينكر ما للترجمة من أهمية في نقل التراث الفكري بين الأمم، وما لها من أثر في نمو المعرفة الإنسانية عبر التاريخ. والترجمة عملية فكرية وذهنية ولغوية معقدة تتطلب إبداعاً مضاعفاً ممّن يقوم بها.

فالدور الذي قامت به الترجمة في إحياء الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية لدى الأمم الأخرى لا يمكن إنكاره أو تجاهله. فقد أدّت دوراً حضارياً وثقافياً وفكرياً بدأ منذ بروز فجر التاريخ البشري ولا تزال تقوم بدورها حتى وقتنا هذا، وستستمر في أدائها ما دام للبشر حياة على وجه الأرض.

الترجمة هي البوابة السحرية لفهم الآخر ومعرفة ثقافته ومنجزاته الفكرية والأدبية والعلمية، كما أنها الأداة التي يمكننا بها مواكبة الحركة الفكرية والثقافية في العالم. والمترجمون هم عماد نقل هذه الثقافات، ولا تقل أهمية المترجم عن أهمية المؤلف والمصنّف فكل منها يكمل الآخر ويساهم

¹ ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان. راجعه وقدم له الدكتور إبراهيم مذكور، القاهرة 1390هـ/1970م.

في نقل العلوم المختلفة لشعوب العالم، وقد قال الكاتب الروسي الشهير بوشكين بهذا الصدد: "المرجمون هم الخيول البريدية للتتوير"¹، ومن هذا المنطلق فإن الترجمة عملية أساسية في إشاعة المعرفة العلمية ونقل التكنولوجيا وتوطيدها وغيرها من العمليات الضرورية للاستفادة من العلوم الأخرى وتقنياتها في تحقيق التنمية الهادفة إلى رُقَى حياة الإنسان.

في الوقت الراهن ومع انتشار العولمة التي سيطرت على الثقافات المحلية وخاصة الحضارة الإسلامية، علينا أن نعتمد على جذورنا وثقافتنا الإسلامية لكي نتمكّن من المقاومة على هيمنة العولمة العالمية وحفظ الأركان الأساسية لهذه الحضارة الكريمة. الخطوات الأولى في هذا المجال هي ترجمة وتحقيق ونشر آثار المفكرين الإسلاميين القدامى من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية ومنها اللغة الروسية، ولكن لماذا إلى اللغة الروسية؟ لأنه حدث انهيار ما كان يسمى الاتحاد السوفياتي الذي كان يعيش فيه العديد من القوميات المختلفة التي تجيد حتى الآن اللغة الروسية، ومن هذا المنطلق في الوقت الحالي هناك الكثيرون في الجمهوريات السوفياتية السابقة، وهُم من قوميات مختلفة يعرفون الروسية، فهي لغة جامعة لكل هذه الشعوب، لذا كانت الآثار الإسلامية للغة العربية مهمة جداً، لأنه يستفيد من هذه الترجمات العديد من الشعوب والقوميات التي كانت تحت مظلة الاتحاد السوفيتي السابق. واستناداً إلى هذا الأساس فقد قمت بترجمة وتحقيق أحد مؤلفات الفيلسوف الكبير والعالم الفذ الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا في علم الطبيعيات وهو كتاب الحيوان من كتاب الشفاء إلى اللغة الروسية، وسوف يصدر في أقرب الأوقات. علماً بأنني قد ترجمت سابقاً إلى اللغة الطاجيكية والروسية عدداً من مؤلفات ابن سينا الفلسفية التي صدرت في المركز السنوي في معهد الفلسفة والحقوق لأكاديمية العلوم لجمهورية طاجيكستان في سنوات متعددة وهي: الحكمة المشرقية، وكتاب النجاة، وعيون الحكمة، وكتاب الهداية والمباحثات، ومجموعة رسائل ابن سينا الفلسفية، وأجزاء من كتاب الشفا مثل المغالطة والعبارة والقياس والكون والفساد، وكتاب الحيوان وكتاب النبات.

¹ ПеревоЛ – средство взаимного сближения народов (الترجمة هي: الوسيلة للتقارب المتبادل للشعوب) .М.: "Дрогпресс", 1987, С.1

وحينما يطلع الإنسان على الترجمات والدراسات لمؤلفات ابن سينا العديدة والمختلفة يعجب من سعة اطلاع الشيخ الرئيس، ويقف الباحث حائراً أمام الطرق العلمية التي نهجها الشيخ الرئيس لنفسه في تأليفاته وكتابات المبدعة وتنوع معارفه وعمق ثقافته، مما جعله بحراً من أية جهة تأتبه وأن يأخذ مكاناً رفيعاً وفذاً بين المفكرين الإسلاميين وعابرة العالم كله.

وقد سبق اليونانيون العرب إلى التأليف في علم الحيوان. قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم الحيوان فيه كتب قديمة وإسلامية: منها كتاب الحيوان لديمقراطس، ذكر فيه طبائعه، ومنافعه وكتاب الحيوان لأرسطو، تسع عشرة مقالة، ونقله بن البطريق من اليوناني إلى العربي وقد يوجد سريانياً نقلاً قديماً، أجود من العربي. ولأرسطو أيضاً كتاب في نعت الحيوان غير الناطق، وما فيه المنافع والمضار.¹ ثم جاء الجاحظ (200هـ) الأديب العربي الكبير فوضع أوّل كتاب عربي شامل في علم الحيوان جمع بين الأدب والسياسة، والكلام، والفلسفة والطب والطبيعة.²

وعُني العرب منذ عهد بعيد بتعرّف الحيوانات التي وقعت تحت بصرهم مثل: كتاب الإبل لأبي حاتم السجستاني (647هـ) والأصمعي (122-216) وأبي عبيدة (110-209) وكتب الخيل لابن قتيبة (213-276) وابن الأعرابي... إلخ. وكتاب الغنم والشاة لأبي الحسن الأخفش (215)، وكتاب الوحوش للأصمعي وللنضر بن شميل وغيرهم. وهناك كتاب آخر عن الحيوان المسمى من حياة الحيوان الكبرى للأستاذ العلامة والقوة والفهامة الشيخ كمال الدين الدميري وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات.³

¹ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة ملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة، 1017هـ/1067م، 4 مجلدات، مكة المكرمة، بدون سنة طبع، ص 694.

² ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان، ص ك.

³ حياة الحيوان الكبرى للأستاذ العلامة والقوة والفهامة الشيخ كمال الدين الدميري وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني، بدون سنة طبع، مصر.

وكتاب الحيوان الذي نحن بصدد دراسته وترجمته هو الفن الثامن والأخير من فنون طبيعيات كتاب الشفاء، ومن أكبرها حجماً، بل هو أكبر من الإلهيات، وهي قسم رئيسي من أقسام الشفاء الأربعة، إذ بعد دراسة النبات تأتي دراسة الحيوان، وهو القسم الثاني من أقسام الكائنات الحية تبعاً لتقسيم ابن سينا والذي يذهب فيه إلى تقسيمها لثلاثة أقسام النبات والحيوان والإنسان. من وجهة نظر التركيب يتكون الحيوان من تسع عشرة مقالةً وتحت كل مقالة فصل أو أكثر، وأطولها المقالة الثالثة عشرة التي تتضمن خمسة عشر فصلاً وبلغت فصول الكتاب في مجموعها سبعة وستين فصلاً. من الاحتمال القريب أن يكون ابن سينا قسم كتابه إلى تسع عشرة مقالة، وربما أراد أن يحاكي كتاب الحيوان لأرسطو على نحو شهرته عند العرب؛ لأن ابن سينا نفسه يقول في مقدمة كتاب الحيوان ما يلي: "ولنتكلم الآن في الحيوان محتذين في جميع هذا الكتاب حذو المعلم الأول إلا في تشريح أعضاء الإنسان".¹

وجدير بالذكر بأن الأستاذين الكبيرين إبراهيم مذكور وعاطف العراقي عُينا عناية كبيرة وكتباً معلومات ودراسات قيمة حول كتاب الحيوان ومكانته ومنزلته في الحضارة الإسلامية، ويجب الرجوع بهذا الصدد إلى المقدمة التي كتبها الأستاذ إبراهيم مذكور في مقدمة كتاب الشفاء² وكتاب الأستاذ الدكتور عاطف العراقي.³ وإضافةً إلى ما قاله هذا الأستاذان الكبيران أريد أن أتوقف عند المميزات الرئيسية لترجمة هذا الكتاب القيم للشيخ الرئيس وأركز انتباهكم على مكانته ومنزلته في إيجاد المصطلحات العلمية والتخصصية المتعلقة بالحيوان في اللغة العربية.

إن السمة الرئيسية في ابن سينا أنه كان من أولئك العباقرة الموسوعيين، لم تقف همته على علم واحد برأسه بل كانت إحاطته بالعلوم شاملةً، وكان شغفه بالمعرفة لا حدود له، درس وأوعب وجمع فأوعى، وواتته موهبة مسعفة وحافظة قوية، وذكاء نادر وعقل نير متفتح، فإذا هو يضع

¹ ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان، ص 1.

² المصدر السابق، ص من ك إلى ت.

³ عاطف العراقي مذاهب فلاسفة المشرق، القاهرة، ص 90-205.

مؤلفات في شتى العلوم التي عرفها عصره، بلغت الغاية في دقتها وعمقها واستيعابها وتقصّيها، ولم يكتف فيها بتحرير الموروث من المعارف وتهذيبه، بل كان يضيف مسائل غفل عنها الأولون، ويذكر أشياء لم يُسبق إليها، ألّف في الطب والمداواة والفلسفة بكل أبوابها المعروفة في عصره على سعتها وتعددتها، وألّف في الدين الزهد والتصوف والعشق، وألّف في الكيمياء والأسرار وتأويل الرؤيا، وألّف في الفلك وفي تدبير الجند وخراج الممالك، وألّف في الموسيقى، وألّف في اللغة والنحو والعروض، وألّف القصص واصطنع فيها الرموز، وكتب الرسائل الجميلة هو البحر من أي النواحي أتيتها.

الشيخ الرئيس كان من جملة العلماء الأفذاذ الذين أسهموا إسهامات جليلة في جميع ميادين العلوم القديمة، وكتاب الحيوان يعتبر من جملتها. كما يظهر من دراسة نص كتاب الحيوان عناية ابن سينا بدراسة الحيوان، التي بلغت حداً كبيراً. إذا إنه قد عرض لوصف كثير من أنواع الحيوانات سواء منها المائية أو البرية وكذلك عرض لكثير من أنواع الطيور حتى إننا نجد أن دراساته عالمياً قد غلبت على دراساته فيلسوفاً.¹

لقد تأثر ابن سينا بأرسطو واستفاد منه فائدة كبيرة وبصرح تلميذه عبد الواحد الجرجاني، بأنه "حاذى في كتاب الحيوان كتاب أرسطوطاليس الفيلسوف وهو أكبر كتاب في الحيوان، وزاد فيه من ذلك زيادات".² لكن من الخطأ أن نعتبر أن كتاب الحيوان لابن سينا مجرد تعليق أو تلخيص لكتب أرسطو وإنما هو كما يقول الأستاذ إبراهيم مذكور دراسة مستقلة صاغها صاحبها على نحو خاص وتأثر فيها بمؤثرات مختلفة.³

وإذا كانت شهرة أرسطو ترجع إلى حد بعيد إلى دراساته لعلم الحيوان، فإننا يمكن أن نطبق

¹ المصدر السابق، ص 149

² كتاب المنطق، تصنيف الشيخ الرئيس أبي علي ت 428هـ. حققه وعلق عليه محمد عثمان، المجلد الول، القاهرة 1428هـ/ 2008م، ص 54.

³ ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان، ص. ك.

هذا على ابن سينا، فالدارس لكتاب الحيوان، وهو الذي يعد من أكبر فنون كتاب الشفاء، يجد سعة الأفق وتشعب النظر والملاحظة الصادقة البالغة الدقة. فإذا أضفنا إلى ذلك أنه لم يقف عند حدود دراسات أرسطو لهذا المجال، بل قدم لنا مشاهدات وتحليلات خاصة به، وأنه لم تتوفر له الأدوات الحديثة من عدسات مكبرة وآلات وغيرها. استطعنا أن نقول إنه قد بذل غاية جهده في التوصل إلى كثير من الحقائق الخاصة بالحيوان.

ويكاد يدور كتاب الحيوان لابن سينا حول أبواب أربعة رئيسية: علم حيوان مقارن، تشريح، وظائف أعضاء، تناسليات، وعلم أجنّة، ولو أننا لن ندخل في تفاصيلها الفنية. وكتاب الحيوان في تاريخ الحضارة الإسلامية فريد من نوعه لأنه مستودع للمصطلحات العلمية المتعلقة بالحيوان والإنسان، ونريد مجرد ذكر المواضيع التي عالجها وثبتت اصطلاحاتها العلمية ويخصص ابن سينا تسع عشرة مقالة لكتابة المواضيع التالية: اختلاف الحيوانات من حيث المأوى والمطعم، والأعضاء الظاهرة والباطنة، والتناسل والإنتاج والطباع والخصال. وأما التشريح فقد توسع فيه كثيراً وزاد على أرسطو زيادة واضحة ودار حديثه حول الإنسان، ولا يعرض لتشريح الحيوان إلا قليلاً. ولا غرابة فهو طبيب ألم بالدراسات الطبية السابقة. وقد رسم لوحة تامة ودقيقة للهيكل العظمي للإنسان، بادئاً بالرأس، أو بالدماغ كما يسميه، منتقلاً إلى القفص الصدري والعمود الفقري والحوض والعجز، ومنتهياً بالفخذين والساقين. وأدرك ما للعضلات من شأن في حركة الإنسان وتتبعها عضلة بعد عضلة وأشار إلى العضلة التي كشفها جالنيوس.¹ وشرّح المخ والجهاز العصبي تشريحاً تاماً، وربطهما بالحواسّ ووسائل الإدراك. وعرض للقلب، فشرّحه وبيّن ما تفرّع منه من أوردة وشرابين منتشرة في الجسم جميعه. ولم يفته أن يتحدث عن الأنسجة والأمزجة والأخلاط، وفصل القول في الدم، والمخ والنخاع، وبيّن الفرق بين الطب وعلم الحيوان وخصص لذلك ثلاث مقالات هي أطول مقالات الكتاب، وهي الثانية عشرة، والثالثة عشرة، والرابعة عشرة.

¹ ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان، ص 360.

ولم تكن عناية ابن سينا بوظائف الأعضاء أقل من عنايته بالتشريح، ويرى فيها سرّاً من أسرار الله في خلقه، وتفسير أسباب الوجود. ويذهب إلى أن هناك ثلاثة أعضاء رئيسية أو كُلية على حسب تعبيره أيضاً، هي مبادئ القوى الضرورية لبقاء الشخص والنوع، وهي القلب مبدأ قوة الحياة والدماغ مبدأ قوة الحس والحركة والكبد مبدأ قوة التغذية.¹ ولكل عضو من هذه خدام، فخدام القلب الرئة والشرابين، وخدام الدماغ أعضاء الغذاء والعصب، وخدام الكبد المعدة والأوردة.² ويعطي ابن سينا صورة واضحة عن الجهاز الهضمي، فيشير إلى ما للقم والأسنان فيه من الأثر، ويَعُدُّ المعدة مطبخ الطعام.³ وقد عرف المريء والحجاب الحاجز، الاثنا عشري، وفتحة البواب، والبنكرياس، والأمعاء الدقيقة والغليظة.⁴ وبيّن ما للعصارات من أثر في إتمام الهضم، وبخاصة المرارة.⁵ ويقول ابن سينا مع أطباء اليوناني الأول بالروح الحيواني المسمى بـ "بنفنا" وهو جسم بخاري لطيف ينتشر في الجسم جميعه يخرج من القلب ويمتد إلى سائر الأطراف وكأنما يسير مع الدم في الشرايين والأوردة.⁶ وقد عني ابن سينا بالتنفس، ووضّح جهازه كلّهُ. فعرف القصبه الهوائية ولسان المزمار، وشرح الرئتين، وبيّن شعبهما المختلفة وأشار إلى وظيفة هذا الجهاز وهي إعداد الهواء ليكون صالحاً لغذاء الجسم والروح، ويرى أن من حكم الله أن يكون للمرء رئتان، بحيث إذا تعطلت إحداها لا يتعطل التنفس.⁷ فنحن نجد في كتاب الحيوان لابن سينا معلومات قيمة عن الفسيولوجية القديمة، في التناسليات وعلم الأجنة... إلخ. ولو تركنا الجانب الفني لكتاب الحيوان للمتخصصين في العلوم البيطرية والحيوانية لوجدنا أن

¹ المصدر السابق، ص 15.

² المصدر السابق، ص 15.

³ المصدر السابق، ص 292.

⁴ المصدر السابق، ص 295-296.

⁵ المصدر السابق، ص 320.

⁶ المصدر السابق، ص 224-226.

⁷ المصدر السابق، ص 277-282.

كتاب الحيوان لابن سينا من وجهة نظر العلوم الفيلولوجية من ناحية إيجاد المصطلح العلمي الطبي والحيواني هو مستودع كبير للاصطلاحات المتعلقة بالحيوانات. وتعتبر الدراسة اللغوية لكتاب الحيوان ومادته الوفيرة عن مدى التقدم العلمي في عصره. والمواد الاصطلاحية الموجودة في كتاب الحيوان دليل ساطع على أن اللغة العربية في أوائل القرن الخامس الهجري أصبحت لغة علمية مستقرة لها دوالها ومصطلحاتها وما أشبه هذه المصطلحات بما يُستعمل اليوم. مثال آخر أنا أضرب من خلال تجربتي ترجمة الآثار الفلسفية إلى اللغة الروسية واللغات الأخرى. كتاب العبارة لأرسطو نقله حنين بن إسحاق إلى السريانية، وإسحاق بن حنين في القرن التاسع الميلادي إلى اللغة العربية،¹ ونفس الكتاب ترجم إلى اللغة الروسية في القرن العشرين أي بعد أحد عشر قرناً.²

لقد اختط ابن سينا لنفسه منهجاً علمياً خاصاً في دراسة وتوضيح المواضيع العامة المتعلقة بأسماء الحيوانات وكثيراً ما استوقفه اللفظ اليوناني وحاول أن يكشف عن مقابله العربي الصحيح.³ وإن عرَّ عليه ذلك لم ير غضاضة في الاحتفاظ بالأصل اليوناني، ونجد في كتاب الحيوان أن المصطلحات اليونانية الأصل، التي يُحتمل أن ابن سينا لم يجد مقابلاتها في العربية كثيرة، ذلك لأن هذه الحيوانات والطيور الذي ذكرها ابن سينا في كتاب الحيوان لم تعرف الجزيرة العربية مثل: طوميداس، ستيئا، عفارين، فنجوا، فاربابوا، مالاقياء، باليقي، مسطوا و.... إلخ.⁴

والجدير بالذكر أن صعوبة المصطلحات في كتاب الحيوان اضطرت الباحثين والمترجمين أن يهملوا تحقيق وترجمة كتاب الحيوان عند علماء العرب والمستعربين، كما ظهر من دراسة آثار ابن سينا الفلسفية والطبيعية، مع أن كتاب الحيوان هو أقل صعوبة في الترجمة والتحقيق من بين آثاره العلمية.

¹ شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة، دار الشرق، بيروت، 1982.

² Аристотель. Сочинения. В четырёх томах, том второй, "Мысль", М., 1978, С. 91-116.

³ ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، الحيوان، ص 227.

⁴ المصدر السابق، ص 58.

وبهذا الصدد نحن أثناء ترجمة كتاب الحيوان صادفتنا الصعوبات التالية: أسماء أكثر الأسماك، بعض الحيوانات والطيور أشير إليها بأسمائها اليونانية ولكن مسجلة ومحرفة بالحروف العربية، إذ يصعب وحتى نتعذر ترجمة صحيحة للأسماء باللغة العربية.

يضطر المترجم أن يجد الشكل اليوناني الصحيح وبعد ذلك يقوم بترجمة الاسم إلى اللغة العربية، ومن شديد الأسف قلة وجود المعاجم الخاصة للنصوص الفلسفية والعلمية القديمة في العربية، لذا نتعذر ترجمة هذه النصوص ومن بينها كتاب الحيوان لابن سينا.

أثناء ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا أولاً راجعت ترجمة كتاب أرسطو عن الحيوان باللغة الروسية في أجزاءها الثلاثة وهي: تاريخ الحيوان، وأجزاء الحيوان، وتكوين الحيوان بعد ذلك بدأت بترجمة كتاب الحيوان وتصحيح أسمائه المحرفة بالعربية.

المشكلة الأخرى في أثناء ترجمة كتاب الحيوان هي التحريف الكبير للأسماء الجغرافية والمدن التي ذكرت في هذا الكتاب وللحصول على الأسماء الصحيحة كنا مضطرين للرجوع إلى آثار أرسطو وترجمتها إلى اللغات الأجنبية وخاصة الروسية.

استفاد ابن سينا في كتابه من مصطلحات من ثلاث لغات العربية واليونانية والفارسية.

المصطلحات العربية هي التي كانت متداولة في زمن ابن سينا في الفلسفة والعلم والتي مستعملة حتى في يومنا هذا. بهذا الصدد نستطيع أن نعتبر كتاب الحيوان مستودعاً كبيراً وكثراً خالداً للمصطلحات المتعلقة بالحيوان والإنسان.

المصطلحات اليونانية وإن كانت قليلة بالقياس إلى الاصطلاحات العربية لكنها تمثل جزءاً كبيرة هاماً باعتبارها صارت تمهيداً لإيجاد المصطلحات العربية الخاصة في ميدان المصطلحات البيطرية العربية.

استفاد ابن سينا في كتابه من كلمتين فارسيتين وهما المارما وهي أي "سمكة حية" وهماي

بالعربية البلح.¹

وفي أثناء الترجمة صادفنا صعوبات كبيرة في تحديد وتعريف الأسماء الجغرافية اليونانية المحرفة بالعربية ورجعنا لتوضيح هذه الأسماء إلى كتاب أرسطو في ترجمته باللغة الروسية وأصلحنا ودققنا باللغة الأصل وهذا الأمر حسب رأينا يمثل لنا فرصة في أن نعين إطار الترجمات من اللغة اليونانية إلى العربية وتحديد منطقة انتشار الحيوانات المذكورة في كتاب الحيوان.

أثناء ترجمة الأسماء اليونانية والفارسية في كتاب الحيوان إلى اللغة الروسية استقدنا من الطريقة العالمية العلمية في علم اللسانيات أي التعبير الرمزي للأصوات transcription وأشرنا إليها في قسم تفسيرات ترجمة النص الأساسي العربي.

وأما المصطلحات العربية الأساسية الموجودة في داخل نص الترجمة فأشرنا إليها بين القوسين بعد ترجمتها باللغة الروسية وذلك لغرض دقة ترجمة مصطلحات ومقايسته بالبدل العربي، على سبيل مثال معنى القوة المصورة وقوة التصوير اللتين لهما، في علم الفلسفة والمنطق معنى خاص غير المعنى في عالم الحيوان، وجئنا بهما بشكلهما العربي والروسي ومارسنا هذا النمط في جميع ترجمة هذا الكتاب. صفوة القول أثناء الترجمة قمنا ليس بالترجمة فقط، بل أشرنا وجمعنا الأكثرية الساحقة للمصطلحات الموجودة في كتاب الحيوان.

خلاصة القول فإن الدراسات والتحقيقات حول الآثار الطبيعية للمفكرين الإسلاميين القدامى قليلة بالقياس إلى التحقيقات في مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية لذا من واجبات العلماء في البلدان العربية وخاصة المستعربين ترجمة وتحقيق وانتشار الآثار المتعلقة بالعلوم الطبيعية إلى اللغات الأخرى بهدف تعرّف الإرث الإسلامي المؤلف باللغة العربية.

ومن وجهة النظر المعاصرة ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا تساعد على معرفة الحضارة الإسلامية التي سطعت أنوارها في القرون الوسطى وأظهرت النوابع التي أسهمت بإسهامات جليلة

¹ المصدر السابق، ص 32، 127.

..... الدلالات والمقاصد من ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا

للإنسانية وتؤكد أن العلم والمعرفة هما من هدايا الحق سبحانه وتعالى للبشر أجمعين لا لقوم ولا لشعبٍ واحدٍ.

ختاماً إن ابن سينا لم يكن من الفلاسفة العظماء وحسب بل كان كذلك عالماً طبيباً كبيراً فذاً إلى جانب كل ذلك له ثقافة جمعت كل صنوف المعرفة الرفيعة. ولو كان ابن سينا قد عاش أو ظهر في هذا العصر لكن أعظم فلاسفة العلم عامة وعلم الحيوان خاصة وسيمقى ابن سينا خالداً وحيّاً بيننا ما دامت أفكاره الشامخة وآثاره العلمية باقية في أفكارنا ونفوسنا وعند أجيالنا.

الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

د. سام عبد الكريم عمار

كلية التربية بجامعة دمشق - سورية

1. مقدمة

تشكّل المعلوماتية أكثر فأكثر جزءاً من الحياة اليومية، وتشكّل أيضاً جزءاً هاماً من حياة المترجمين. وسواء أتعلم ذلك بترجمة آلية يشارك فيها الإنسان أم بترجمة بشرية تشارك فيها الآلة، تبقى الآلة اليوم عميقة الصلة بنشاط الترجمة. وسنجد هنا في أن نحذر من مماثلة مبالغ فيها لعمل العقل البشري بعمل الآلة، وفي أن نبين نقاط التشابه والاختلاف بين ترجمة الآلة وترجمة الإنسان.

لقد كانت اللغة الأجنبية موضوعاً لترجمة اللسانين الذين انخرطوا في المحاولات الأولى للترجمة الآلية. ولأنهم مقتنعون بأن الكلمات ستكون سهلة نسبياً على الترفئة (الترجمة إلى قانون مختلف) (transcoder)، وأن التراكيب ستكون أقل سهولة، ركزوا على النحو. وقد قام جيل كامل من الباحثين في الولايات المتحدة وفي غيرها، بالبحث في بنى نحوية عن المعنى الموجود في ذهن الشخص الذي يترجم.

ومشكلات الترجمة الآلية ليست في رأي المترجم مشكلات ترجمة (traduction)، ولكنها مشكلات ترفئة (transcodage) وعندما يتعلق الأمر بالغموض، وتعدّد معاني الكلمات، والجمل الطويلة جداً، الصعبة الفهم على الآلة، يبين المترجم أن مشكلات الآلة ليست مشكلاته.

والتعارض بين الترجمة الآلية التي تعالج لغات الترجمة البشرية التي تعالج المعنى مقنعة بواقع أننا نستعمل كلمة ترجمة (traduction) لنعبر عن العمليتين. ومن المؤكد أن اللغة

المترجِّم إليها تحل محل اللغة المترجِّم عنها، في كل من الحالتين، وبهذا الخصوص يكون مشروعاً في الحالتين أن نتكلَّم عن ترجمة، ولكنَّ عملية التحويل ليست ذاتها (إقامة التَّطابُّقات والمُعَادِلَات)، والنصوص المترجِّمة (textes de départ) والمترجِّم بها (textes d'arrivée) لا تمتلك القيم الفكرية والانفعالية ذاتها.

سأحاول في هذا الفصل أن أبَدِّ الغموض الأساسي الذي يسمُّ كلمة ترجمة، وأن أبَيِّن، انطلاقاً من المشكلات المُثارة بخصوص الآلة، الفرقَ بين الآلة التي تعمل تبعاً لقواعد شكلية والعمليات العقلية للشخص الذي يترجم.

2. تاريخ الترجمة الآلية

الترجمة في أشكالها كلها هي نشاط بشريّ يمتد في غياهب الزمن. والترجمة التي ظلت زمناً طويلاً ذات صبغة دينية (مقدِّمة البوذية في الصين لا تُشرح إلا بالترجمة، وفي أيامنا أيضاً يعمل مئات المترجمين يومياً على ترجمة الإنجيل) كانت تستجيب لاهتمامات الملوك (سادة الشعوب) في الوقوف على الجديد في الميادين التي كانت تمسُّهم عن قُرب: كتب الطبِّ وعلم التنجيم والكيمياء كانت من بين الترجمات الأولى التي انتشرت في العالم. كذلك ترجمت أوامر السلطة المركزية الرومانية بلغات مختلفة ونُقِشت على الحجارة في الأمبراطورية كلها.

والترجمة كما كانت تطبَّق في بغداد في القرن التاسع الميلاديّ، وفي أكاديمية تُولد (Tolède) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (في إسبانيا)، هما مثالان لامعان للاهتمام المؤلَّى للترجمة في كل زمان. وفي العصر الحديث، يتلقَّى ترجمة الأدب في الغالب جمهورٌ أوسع بكثير من ذاك الذي يتلقَّى العمل الأصليّ. لقد أصبح تبادل المعارف العلمية والنقنيّة ضرورياً، وأخذ يسلك هو أيضاً طريق الترجمة. والحاجات المتنامية إلى الترجمة كانت تهدد بتجاوز إمكانات المترجمين البشريين.

ولأن تزايد عدد المترجمين أخذ مظهراً مسبباً للدُّوار في نهاية الحرب العالمية الثانية، فتح ظهورُ الحواسيب الأولى، بفضل سرعتها في الحساب، آفاقاً جديدة. ولأن الحاسوب يعمل بسرعة

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

أكبر بكثير من مترجم بشري، كان من الطبيعي أن تشق فكرة الترجمة الآلية طريقها إلى الظهور. كان ينبغي لها أن تصل إلى نهاية مجلدات من الترجمة لا حصر لها.

لقد شابته الجهود الأولى للترجمة الآلية عملية الترجمة بفك ترميز (décryptage) رسائل الأعداء خلال الحرب العالمية الثانية. وبفضل الحواسيب الأولى التي كانت حصرياً بين أيدي العسكريين، كان فك الترميز هذا نشاطاً مقاومة التجسس الرئيسي لدى الحلفاء. وتكرر نجاح فك الترميز هذا؛ فمن إيضاح رسائل الأعداء، كَوْن و. ويفر فكرة أن اللغات الأجنبية يمكن اعتبارها رسائل مُرمّزة ممكنة الترجمة بحسب المبادئ ذاتها المعتمدة في فك الترميز.

ويبدو أن عمليتين كان عليهما أن تُوصلا إلى نتيجة حاسمة، وهما: إبدال كلمات نصّ ما كلمات مطابقة، ثم إعادة بناء الجُمْل المنتجة في اللغة المترجم إليها بحسب القواعد النحوية لهذه اللغة. وبهذا الشكل تكون لغة أجنبية ما "مفكوك الترميز" (décodée)، ثم "معادة الترميز" (encodée) في لغة أخرى. إن و. ويفر يُحافظ بهذا التصوّر للترجمة الآلية، على المصطلحات: رمز (code)، وفك الترميز (décodeur)، وأعاد الترميز (encodeur)، وعلى فكرة أن الترجمة تقوم على ترجمة لغة ما بلغة أخرى. وحتى ثمانينيات القرن الماضي كانت النظريات السائدة في اللسانيات وعلم الترجمة وعلم النفس راضية بأن تستعمل فعل *أعاد الترميز* للتعبير عن "الكلام أو الكتابة"، *وفك الترميز* للتعبير عن الفهم، وحين نعود اليوم إلى كلمة *الفهم*، فلكي نعبر غالباً عن فهم لغة ما خارج السياق.

وربما أمكننا أن نأمل أنه بعد وضع معاجم ملائمة، ووضع القواعد الصرفية والنحوية المناسبة في الذاكرة، سيكون التحويل من لغة إلى أخرى ممكناً مع حواسيب ذات طاقة كافية. وقد أنتج هذا التصوّر في البدايات رطانة قابليتها للفهم قليلة، تضاف إلى الفرح الكبير للمترجمين الذين كانوا يسخرون من هذه السليبيات في الأداء. لقد رأينا أحياناً في اتجاههم السلبي من آلة الترجمة، خوفاً من المنافسة؛ فالمترجمون كانوا يرفضون الآلة كما رفض النساجون في الماضي مهنة النسيج الآلي. إن موقف هؤلاء النساجين اليدويين في الأزمنة الحديثة يُفسّر بطريقة أخرى؛ فهم يرون

الآلة غير قادرة على أن تتنافس مع الحد الأدنى من أداءاتهم، ولذلك تولّد لديهم الميل إلى التقليل من قيمتها.

أما اليوم فوسائل الحساب كافية في مدى واسع، ولكننا لا نأمل مطلقاً أن نترجم آلياً جميع النصوص؛ إننا نسعى على نطاق واسع إلى أن نضع الحاسوب في خدمة المترجمين، وهؤلاء يقدّرون المساعدة التي قُدّمت لهم.

3. الترجمة الآلية في الوقت الحاضر

لأنني لم أكن بأية حالة متخصصاً في الترجمة الآلية، اعتمدت فيما يخص القسم التقني من هذا الفصل على كتاب ممتاز لجون هوتشنز وهارولد سومرس،¹ وعلى العديد من المقالات التي ظهرت في الصحافة المتخصصة، وعلى بعض الفصول من كتابين لتيري وبنوغراد.²

لقد وضع هوتشنز وسومرس قائمة إجمالية لعمليات الترجمة التي تذهب من ترجمة أُنجِرت كلياً بالآلة إلى ترجمة بشرية، مروراً بمرحلتين وسيطتين هما: الترجمة الآلية بمساعدة الإنسان (Human Aided Machine Translation (HAMT، والترجمة البشرية بمساعدة الحاسوب (Machine Aided Human Translation (MAHT).

1.3 الترجمة الآلية كلياً

أعلن تقرير ألباك (Alpac) الشهير عن الآمال الأولى للترجمة الآلية كلياً. وقد كان تبين سابقاً أن الآلة لم تكن تستطيع أن تترجم لغة ما ترجمة صحيحة؛ لأن مشكلات الغموض من كل نوع، ومشكلات إعادة التنظيم النحوية كانت على درجة من الكثرة لا تسمح بوضع تطابقات صحيحة بين جُمل لغتين، وكان يبدو مستحيلاً لحلّها، أن نضيف إلى دلالة جملة ما، "زاداً معرفياً" و"سياقاً معرفياً".

¹. Hutchins, J. et Somers H. (1992): *An Introduction to Machine Translation*, Academic Press, Londres.

². Winograd, T. (1972): *Understanding Natural Language*, Academic Press, New-York et (1983): *Language as a Cognitives Process*, Addison Wesley, Londres.

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

وبالجملة، حدّدت إذن الترجمة الآلية التي كنا اعتقدنا أنها كانت تستطيع ترجمة كل شيء، ميدان عملها بسرعة، هاجرة النصوص الأدبية في ظل استحالة وضع قواعد لأساليب اللغة وسجلاتها؛ وسأضيف إلى ذلك، استحالة إمكان وضع قواعد الخيال الذي تنتجه المخيلة والتنبؤ به. وخلافاً لأيّ جهاز آليّ أو إلكترونيّ، لا يحتاج إلا إلى طاقة ليعمل، يتطلّب الحاسوب إعداداً كبيراً لكل نصّ تُراد ترجمته ليس فقط بحسب اللغة، وإنما أيضاً بحسب الموضوع المعالج والمفردات المستعملة.

إن الترجمة الآلية كلياً تُستعمل في الوقت الحاضر للتوثيق النّقّي الذي يُعنى بكثافة بالمصطلح، وللنصوص ذات الصبغة المتكررة، من مثل الترجمات المتتالية للوثيقة نفسها. وفي غياب المراجعة، تعطي الترجمة الآلية فكرة عن محتوى نصّ، أو على الأقل، عن الموضوع الذي عولج بها. وفي بعض التطبيقات الضيقة جداً تقدّم ترجمةً خاماً بعيدة جداً عن نوعية الترجمة البشرية، ولكنها على أقلّ تقدير قابلة للاستعمال على منوال بعض ترجمات اللغة "ب" (أي اللغة الأجنبية، لأن اللغة "أ" هي لغة المترجم الأم). وتتوالى الأبحاث لتوسيع ميدان تطبيقها، ضمن إطار أمل، خادع من دون شك، في الوصول إلى وضع قواعد للفكر الإنسانيّ. ولكن الجهد الأساسيّ يتناول اليوم التعاون بين الآلة والإنسان قبل الترجمة، وفي أثنائها، وبعدها.

2.3 تدخل الإنسان

يتعلق الأمر هنا بمساعدة الإنسان للآلة في إعداد نص الانطلاق (النص المعد للترجمة)، أو في إيضاح نصّ الوصول (النص في صيغته الجديدة بعد الترجمة)، أو في صيغة تسمّى تفاعلية. وهذا ما يُطلق عليه اسم: الترجمة الآلية بمساعدة الإنسان.

1.2.3 تهيئة النصّ

يجب أن تجعل عمليات التهيئة من نص الانطلاق نصّاً قابلاً للترجمة بالآلة. وهذا العمل يقوم على استكشاف النص، قبل عملية الترجمة، لحل المشكلات التي تواجه الآلة: أسماء الأعلام، وتعيين الفئة النحوية للفظ المُقابل، وتعيين الجمل التابعة، وإدماج الكلمات التي لا

تعرفها الآلة، في معجم الكلمات العويصة.. إلخ. وعملية تهيئة النص يمكن أن تصل إلى إعادة صياغة شاملة لنص الانطلاق في لغة قابلة للمعالجة في الآلة على صعيد تسهيل صياغات الجمل وتسهيل المفردات.

إن نصاً مهياً قبل ترجمته، ولكن ترجمته لم تراجع بعد معالجته في الآلة، كان يعطي في عام 1989 نتيجة من نوع ذاك الذي سأعرضه في الفقرة التي ستلي. وقد كنت طلبته حينها في معرض اللغات في باريس من صالة كانت تقدم عرضاً عن الترجمة الآلية مطبقاً على نصٍّ هيّاه العارض.

2.2.3 النصّ المهيّأ

Rapidly developing into the/ “go-anywhere, do-anything”/ executive aid is the/ incredible shrinking microcomputer, today’s models are robust enough/ to endure the rigours of travel/ while providing the resources/ which users on the move/ are likely to want.^{1/}

3.2.3 ترجمة الجملة الأولى

إن التطوير السريع إلى / "الذهاب إلى أي مكان، أي شيء" / المساعدة التنفيذية هي / الحاسوب الصغير المتقلص بشكل مذهل، يُنْقَضُ الآلة فعلٌ (ف)، والأكثر على ما يبدو صيغة الفعل: أذهب، تذهب، يذهب، تذهبون، يذهبون (صيغة المثنى غير موجودة في الفرنسية والإنكليزية).

ومن الصعب أن نحكم إن كان معنى هذه الجملة مفهوماً إن لم نكن نعرف الحاسوب الصغير المقصود، أو إن لم نكن نعرف على الأقل، الإنكليزية لكي نفهم اللغة العربية² من خلال استعادة الإنكليزية التي هي أساسها. إن هذه الترجمة تتطلب مراجعةً.

¹ النص كما قدّمته الكاتبة باللغة الإنكليزية.

² ترجمنا الجملة إلى العربية، وتصرفنا بتعليق الكاتبة ليناسب الانتقال من الإنكليزية إلى العربية.

4.2.3 مراجعة الترجمة

تطوّرت مراجعة الترجمة بشكل أو بآخر، تبعاً للجمهور المقصود بها؛ إنها سريعة جداً حينما يتعلق الأمر فقط بتقديم معلومات إلى قارئ ذي خبرة بالميدان المعالج. ولكنها ستكون أكثر تعمقاً عندما يتعلق الأمر بنصوص تتجه إلى جمهور أوسع. إننا نجد هنا ردود الفعل المرتبطة بالترجمة باللغة "ب: اللغة الأجنبية"؛ فكما كانت معرفة الجمهور المستهدف بالترجمة كبيرة قلت الحاجة إلى إنتاج ترجمة ذات نوعية أسلوبية جيدة.

إن الكتب الضخمة لصيانة الآلات الضخمة، ولا سيما الطائرات هي من الفئة الأولى. فالمهم ألا يستمر الغموض، وأن تبقى عبارة "clean cloth" مفهومة على أنها: "chiffon propre: خرقة نظيفة"، وليس على أنها: "تنظيف الخرقة"، فالأسلوب ليس له أي دور هنا. وضمن الحدود التي صار فيها واضحاً الآن أن الآلة لا تستطيع بلوغ مستوى النوعية الأسلوبية للترجمة البشرية، ولكنها تستطيع أن تعطي معلومة خاماً ستكون مفهومة ممن يملكون المتممات المعرفية الضرورية، تكون الآلة التي تمدنا بترجمات تتطلب قليلاً من المراجعة قد وجدت وظيفتها.

وحينما تكون المراجعة دقيقة، يعدّل المترجم النصّ المترجم من الآلة على شاشة، ويغيّر بنية الجمل، وترتيب الكلمات وعددها، ويترجم المصطلحات أو أجزاء الجمل التي لم تحولها الآلة إلى اللغة المترجم إليها، ويستبدل بكلمة أخرى إن لم تكن هذه الكلمة ملائمة، ويعطي الآلة تعليمات بتبديل كلمة ما بالطريقة ذاتها في النص كلاً،.. إلخ. وهناك عدد كبير من المترجمين يعملون في المنظمات الدولية الكبرى على هذا النوع من الترجمة. أما ردود أفعالهم فمعتدلة؛ إنهم يبدون أحياناً عدم الارتياح للترجمة الآلية التي تتطلب تدخلاً طويلاً، والتي تبقى نوعيتها النهائية غالباً متوسطة، والتي تكون مدينةً للمراجعة حينما تكون جيدة لا إلى الآلة.

ومع ذلك بقي بعض آلات الترجمة في قيد الاستعمال منذ سنوات، ففي منظمة بان أميريكان للصحة (PAHO) مثلاً، تعمل الآلة في الترجمة من الإسبانية إلى الإنكليزية وبالعكس، وفي الجماعة الأوروبية (CO)، يتركز الاهتمام على تسهيل صعوبات التعددية اللغوية

(multilinguisme) للبلدان الأعضاء فيها (في الوقت الحالي: وقت تأليف الكتاب هناك تسع لغات لاثني عشر بلداً)¹. وهذه الآلات تُجَنَّب المترجمين كثيراً من العمل المُملّ، بسبب رتابته.

5.2.3 التفاعل

في عالم العمل هذا، يستجيب الإنسان لأسئلة الآلة حينما تكون غير قادرة على تفسير بعض البنى، أو على أن تختار الكلمة المناسبة من بين عدة كلمات.

لقد أعطانا كريستيان روزيوم، وهو مدرس من المدرسة العليا للمفسرين والمترجمين (ESIT)، مثلاً للتفاعل. قال: لتكن لدينا الجملة الآتية:

"this chapter provides the procedures you need to install and power up the printer".

عندما تصل الآلة إلى عبارة "power up" ستجد لكلمة "power" كلمتين ممكنتين في معجم مصطلحاتها. وستطرح عند ذاك على المترجم السؤال الآتي: أينبغي أن نترجم "power" بـ "alimentation: تغذية" أو بـ "actionner: تشغيل"، أو بالأحرى: أينبغي أن نترجم عبارة "power up" (ليس لدى الآلة نظير للعبارة المكونة من الكلمتين)، ونتجاهل إن كان الأمر يتعلق بكلمتين أم بكلمة واحدة؟ وسيجيبها المترجم: "power up: mettre sous tension: وضع تحت الضغط". وستترجم الآلة عند ذاك "power up" بـ "وضع تحت الضغط، وتضيف هذا النظير إلى معجم مصطلحاتها الثنائي اللغة.

4. كيف تفهم الآلة اللغات

يُغطّي "الفهم" مفهومين مختلفين جداً تَبَعاً لما نعنيه بمنْ يفهم: أهو الإنسان أم الآلة؟ فلدَى الإنسان تتدمج المتممات المعرفية غير اللفظية مع مدلولات لغوية مناسبة؛ ولدى الآلة يتعلق الأمر بحذف المدلولات غير المناسبة للكلمات والجمل. والعامل المشترك لدى المترجم هو القاعدة

¹ صدر الكتاب عام 1996.

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

العامة، والمشكلة الكبرى لدى الآلة هي الغموض الجوهرى للغات. وما من شك في أن البساطة الظاهرية للغات دفعت المصممين الأوائل لآلات الترجمة إلى الاعتقاد بأنه كان يكفي، لكي نترجم، أن نستبدل بكلمات كلمات، وأن نعدل بنى نحوية. والمعاني المتعددة التي اصطدموا بها دفعت اللغويين إلى تطوير تحليل اللغات إلى ما بعد اهتمامات مستعملي اللغات، وهم الأشخاص المتكلمون والمترجمون. وباستثناء جهد خاص جداً، لا يقرأ أحد نصاً لا يرى فيه إلا المعاني التي تأخذ بها اللغات. يضاف إلى ذلك أن المترجمين، وهم يمارسون فنهم، لا يسعون إلى فصل معرفتهم للغات عن معرفتهم للعالم؛ ولأنهم يفهمون المعنى دفعة واحدة، يجهلون مشكلات الآلة. والآلة، على نقيضهم، يجب أن تفهم اللغات، وعليها قبل كل شيء، التوصل إلى استخلاص معاني مشتركة. إن ذاكرة أنظمة الترجمة الآلية تضم معطيات معجمية ومعطيات نحوية، متآلف بعضها مع بعض في البحث عن هذا الاشتراك.

1.4 المعجم

المعجم غير منظم في الآلة وفق نظام ألفبائي، وإنما في فئات متجانسة، كالأفعال المتعدية، والأسماء المجردة على سبيل المثال. فكل كلمة تقدم فيه مع فئتها النحوية، ونمطها الصرفي، وسماتها الدلالية؛ وهي مقترنة بنوعها، وجمعها إن كان جمع تكسير، .. إلخ. والمعجم فيها تنظم في فصول مستقلة: مفردات شائعة جداً، وعبارات اصطلاحية، وأفعال غير منتظمة التصريف، .. إلخ. وتتخذ كذلك بالحسبان معاجم مصغرة مقسمة بحسب الميدان التقني: الكهرباء، والزراعة، .. إلخ. فكلمة مثل "domaine: حقل" تظهر في أي من هذه الحقول بمعنى واحد: "حقل" (كهربائي)، أو: "حقل" (شوفان).

ولأن الآلة لا تتعرف إلا العلامات الخطية، والكلمات كلها متعددة المعاني عملياً في اللغات كلها (المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، والوحدات الدلالية الصغرى المتعددة التي يمكن لجزء منها فقط أن يأخذ معناه في سياق الحال)، كان على الآلة أن تمنحها، عند الترجمة، دلالتها الحالية المناسبة. فبخصوص كلمة مثل: "oil: زيت" يجب أن ترجع الآلة إلى "معاجم سياقية".

وفي عدد خاص من مجلة المدرسة العليا للمفسرين للمترجمين (META) يذكر كلود بيرو¹ بخصوص نظام سيستران (systran): الشركة الرائدة عالمياً في تقنيات الترجمة لعدة عقود) أن: "كلمة: "oil: زيت" تتطلب، من أجل تحديد معناها، في اللغة الإنكليزية، أن نختار بالفرنسية واحدة من بين الكلمات الثلاث الآتية: (huile: mécanique ou alimentaire) : (زيت: معدني أو غذائي)؛ و (pétrol: بترول)؛ و (parfum: عطر)".

2.4 قواعد التحويل

وإضافةً إلى مشكلات تعدد المعاني البسيط، كان يجب أن تُحلَّ، في لغات مثل الإنكليزية التي لا تعرف الإعراب، مشكلة الإعراب في لغات أخرى.

وقد بُنيت المحاولات الأولى على نظريات شومسكي عن وجود بنى عميقة، وعلى قواعد تحويل البنى السطحية من البنى العميقة، ثم، التحويل، من جديد، من هذه البنى السطحية إلى بنى سطحية في لغات أخرى.

وسنتناول هنا مثلاً أعطاه هوتشينز وسومرس في الصفحة 32: لدينا الجملتان الآتيتان:

1. أُنْفَعْ جُونُ مَارِي بَأَنْ تَرْوَرِ وَالْدَهَا.

2. وَعَدَ جُونُ مَارِي بَأَنْ يَزُورَ وَالْدَهَا.

فالآلة تملك معجماً ونحواً، وهي تملك قواعد تحويل. والجملة (1) تضم في بنيتها العميقة تركيبين هما: (أ). أُنْفَعْ جُونُ مَارِي، (ب). مَارِي تَرْوَرِ وَالْدَهَا. أما الجملة (2) فتضم في بنيتها العميقة تركيبين هما: (أ). جُونُ وَعَدَ مَارِي، (ب). جُونُ يَزُورَ وَالْدَهَا. ففي الجملة الأولى مَارِي هي فاعل العمل الذي يجب القيام به؛ وفي الجملة الثانية جُونُ هو الفاعل.

إن معجم الآلة يعطيها التعليمات المناسبة التي تمكنها، بعد أن امتلكت قواعد التحويل من جملة معقدة إلى جملتين بسيطتين، من أن تعطي لكل من هاتين الجملتين (البسيطتين) بنى

¹ Bureau, C. (1992): "Télécommunication et micro-informatique" META, vol. 37 ? décembre, Montréal.

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

سطحية جديدة في اللغة الأخرى، مثل: "جون أُنفع ماري بأن تذهب لرؤية والدها"، و"جون وعد ماري بأن يذهب لرؤية والدها".

3.4 المعالجة النحوية

تلجأ أنظمة مختلفة في الوقت الحاضر إلى التحليل النحويّ للجملة تبعاً لطرائق ذات تعقيد شديد. هوتشينز وسومرس يخصصان 160 صفحة لوصف أنظمة: سيستران وسوسي وميتيو، وجيتا، وأوروتا، وميتال، وروزيتا، ودلت. كما يخصصان 19 صفحة لأنظمة في طور البناء: الذكاء الصنعيّ، وأنظمة على أساس الأمثلة أو الإحصاء، وأنظمة مقتصرة على حقل تقنيّ واحد (تيتوس¹، مثلاً للصناعات النسيجية)،... إلخ.

ولعل محاولة إيجاز الجهود العملاقة في البحث والتطوير التي تُجَزَّ أن تكون تشويهاً لها. يضاف إلى ذلك أن هدفي ليس التدقيق في تفاصيل الترجمة الآلية، بل تدوين المبادئ التي تستند إليها، ثم مقارنتها بالترجمة البشرية.

4.4 مقارنة بين الإنسان والآلة

من دون الدخول في تفحص نظام خاص، سأحاول أن أضع بالتوازي عمليات الآلة وعمليات الإنسان، باعتبار أن هذه العمليات قابلة للملاحظة، وأن باحثي المدرسة العليا للمفسرين والمترجمين قد لاحظوها.

1.4.4 الاختلافات

1.1.4.4 الكنز المعجمي لكل فرد

ترتبط المعارف المعجمية لفرد ما بدرجة ثقافته، وبأنشطته المهنية، وباهتمامه باللغات،... إلخ. لتقويمها يجب ألا ننسى أن عدد الكلمات التي يعرفها، ولكنه لا يستعملها فعلياً، أكبر بكثير من عدد الكلمات التي يستعملها فعلياً. والمعرفة المعجمية تختلف إذن كمياً بحسب معرفة الفرد

¹ تيتوس titus: نظام وضعه معهد النسيج الفرنسي لترجمة ملخصات ذات صلة بصناعة النسيج.

السلبية أو معرفته الإيجابية.

وسنفترض إجمالاً أن المترجم، الذي يمارس مهنته كالكاتب، يعرف تقريباً عشرة آلاف كلمة، أي ما يعادل الكلمات التي تضمها قائمة المفردات الأساسية لحاسوب ما. وكل واحد من الاستثناءات والفروق البسيطة لمعاني هذه الكلمات قد تعلمه المترجم في السياق أو من نصوص، وهو يستعملها مجدداً في معنى واحد لكي ينقل فكره وفكر الكتاب الذين يترجم لهم. ونادراً ما تهيأت له الفرصة ليتساءل في المجرّد عما تملكه من معانٍ كامنة. وليس الأمر كذلك بخصوص الآلة التي لديها في ذاكرتها، على قدم المساواة مع الإنسان، المعاني المختلفة للكلمات، والتي يجب عليها أن تجد، من بينها، المعنى الذي يناسب التحويل (إلى اللغة المترجم إليها) في جملة معينة.

2.1.4.4 الغموض المعجمي للآلة

تنشأ حالات الغموض المعجمي، بحسب هوتشينز وسومرس عن ثلاث فئات هي: النحو، والتجانس الإملائي (تشابه إملاء الكلمات مع اختلاف معانيها)، والتحويل (إلى اللغة المترجم إليها).

- حالات الغموض المعجمي للفئة النحوية

يتعلق الأمر هنا بكلمات لا يحدّد شكلها الانتماء إلى فئة نحوية محدّدة. من ذلك مثلاً حالة الكلمة الإنكليزية "light" التي يمكن أن تكون اسماً (ضوء)، أو صفة (مضيء)، أو فعلاً (يضيء). وجاء حالات الغموض المعجمي هذه تتطلب تحليلات نحوية كبيرة. لنأخذ مثلاً: جملة اخترعها لغويون معلوماتيون ليستمتعوا بها، وهي: Gas pump prices rose last time oil stocks fell. إن كل كلمة في هذه الجملة يمكن أن تكون اسماً أو فعلاً. يمكننا أن نتصور عدد التوجيهات التي يجب إعطاؤها للآلة، لكي تزيل غموض كل كلمة، وتنظّم الكلمات في فئات نحوية مناسبة.

وعلى خلاف التحليل النحوي الذي تلجأ إليه لإزالة غموض احتياطيّ دلاليّ ضخم، يدمج العقل البشري دلالات ألفاظ الجمل في معرفته للعالم. فالشخص المتكلم يفهم معنى

النصوص دون أن يعي (يعبر باله) الفئات النحوية الأخرى غير الملائمة. وفيما يخص التعبير الشفوي، سأذهب إلى حدّ القول: إن الصرف والنحو ليسا عند المستمع إلا تغييرات صوتية مثل تغييرات الصوت: ارتفاع الصوت، وشدّته، ونغمته المستعملة، وإن كان لها الأثر الإدراكي ذاته.

إن مترجماً يمتلك الحد الأدنى من الزاد المعرفي سيفهم فوراً الجملة الآتية ويترجمها: "ازداد سعر البنزين في المحطة في المرة الأخيرة التي انخفض فيها مخزون البترول". فاقتران المعرفي بالدلالي سمح له بالترجمة من دون صعوبة. إن مشكلات الآلة هي التي دفعت إلى اكتشاف اتساع ظواهر الغموض المعجمي؛ أما الإنسان فلا يرى في النصوص إلا دلالات آنية.

- حالات الغموض الناجمة عن التجانس الإملائي

تضاف مشكلات غموض التجانس الإملائي إلى مشكلات غموض الفئات النحوية. إننا نعرف الجملة التي تُهيج تلاميذ المدارس: "*Les poules couvent au couvent*" (تحضن الدجاجات بيضها في الدّير): إن إملاء (*couvent*) الأولى مثل إملاء (*couvent*) الثانية، ومع ذلك لا يخطر في بال أحد أن يقرأ هذه الجملة قراءة غير تلك التي يفهم فيها أن الدجاجات ترمك على بيضها في مكان يُؤوي متدينات أو متدينين. أما الآلة فستكون بحاجة إلى تحديدات حول الفئات النحوية لكلمتي (*couvent*).

ويؤدي السياق اللفظي المباشر (الكلمات الست أو السبع التي يحتضنها النظر معاً)، لدى الإنسان، دوراً هاماً في تحديد الفئات النحوية، وفي تحيين المعاني المناسبة (إعطاء المعنى الآتي المناسب للكلمة في السياق). وفي النصوص الكتابية يقترن السياق اللفظي المباشر بظاهرة الإدراك البصري، فالعين تحتضن دائماً عدداً من الكلمات كافياً لتجنّب ما هو أساسي من حالات الغموض، ونحن ندرك نصّاً بوثبات (*empan*) بصرية مماثلة للوثرات السمعية التي بيّنت عملها في الترجمة الفورية، والتي من خلالها تتقل العناصر الصوتية للخطاب معناها بهزّات (*saccades*) متتابعة، لأن المعنى لا يبدو إلا بعد بضع كلمات تنتوع بحسب المعارف غير اللغوية للأفراد.

والأمر ذاته يحصل في التلقّي البصري لما هو كتابي. فحركات العين متواصلة، وإذا كانت القراءة تجبر العين على شيء من الانتظام في الحركة فإن الجزء من النص المقدم في مركز التلقّي هو دائماً أكبر من الكلمة المعزولة، وهو يفهم باعتباره كلاً لا يتناوله كلمة بعد كلمة.

والأخطاء التي تحصل في فهم النصوص ناجمة بالدرجة الأولى عن أخطاء الارتباط لا عن حالات الغموض المعجمي، الموجودة دائماً في حالة كمون، ولكنها نادراً ما تُلحظ عندما لا تكون متعمّدة.

- تحويل النص المترجم إلى معنى ظاهرة خاصة بالإنسان

إن تحويل النص المترجم إلى معنى (قبل إعادة صوغه بكلمات اللغة المترجم إليها)، باستعمال اللغة والذاكرة، الذي هو حصرياً بشري، يشكل بالمقابل ظاهرة. واستعمال المعجم ينقسم إلى قسمين: فمن جهة هناك الكلمات الأحادية المرجع التي يستحضرها الشخص المتكلم استحضاراً واعياً، والتي يبحث المترجم بوعي عن مقابلاتها؛ وهناك من جهة أخرى الكلمات التي تتصافر لتشكل المادة اللغوية لوحداث المعنى. والكلمات الأحادية المرجع للغة الانطلاق (المترجم عنها) تبقى في الذاكرة حتى اللحظة التي تدوّن فيها الكلمات المقابلة في اللغة الأخرى (المترجم إليها). وباقي الترجمة يأتي عن المعنى الذي حول إليه نص اللغة الأولى. أما الآلة فلا يمكنها إلا معالجة النص بمجمله بالتقابل.

- الفهم الفوري للمعنى لدى الإنسان

تعمل الآلة جملة فجملة. ولأن الكلمات والجمل لها على صعيد اللغات افتراضات معنى متعددة، يجب على الآلة أن تبدد غموضها. والمترجم هو أيضاً يعطي الانطباع بأنه يترجم جملة فجملة، ولكن عينه في الواقع لا تتابع كلمة كلمة تتالي مكونات النص. إنه يتصفح صفحة بعمليات ذهاب وإياب لا تنقطع، فيخلق سياقاً معرفياً يضاف إلى ذكريات المقاطع السابقة، وإلى الزاد المعرفي، ليمنع ظهور دلالات متعددة.

ويعي المعلوماتيون دور السياق المعرفي. ويعطي هوتشينز وسومرس مثلاً لجملة غامضة، هي: "The man saw the girl with tetescope"؛ فقد يتعلق الأمر بفتاة تحمل منظاراً يراها رجل، أو بالرجل مشاهداً إياها بمنظار. ولعل السياق المعرفي يجعل قارئاً ما، أياً كان، يرى الحلّ الجيد. والآلة هي الأخرى تنثير الحالتين، وتطلب المساعدة من أجل اختيار الحل الصحيح.

والإنسان لا يلجأ إلى تحليل نحوي للجمال؛ ففهمه للبنية النحوية انتقل منذ زمن طويل إلى رد الفعل. والجمال لا تتطلب تحليلاً واعياً، بل تنبّه دائماً المتمماتِ المعرفية التي تتضافر مع دلالات الألفاظ لتوليد فرضيات معنى. ومن المهم أن نبين ذلك؛ لأننا نقرأ أحياناً أن المترجمين يصطدمون أحياناً مثل الآلة بحالات غموض، ويلجؤون مثلها إلى تبديد هذا الغموض. ونضيف، لكي نبرر تأكيداً بأن أية ملاحظة لا تعطي إثباتاً، أنّ هذه العملية تحصل لا شعورياً. وهذا ازدراء من المناسب أن نشجبه. والإجراءات المستعملة في الأنظمة المعلوماتية هي كذلك بسبب عدم قدرة الآلة على استدعاء معارف غير لفظية لتفسير مقاطع من نص؛ وفي غياب ما هو أفضل، ينبغي علينا في الترجمة الآلية إذن، أن نلجأ إلى عمليات تبديد الغموض. أما الإنسان فليس الآلة. والناطق بلغته الذي يكون في وضع تواصل لا يبدد غموضاً، ولا يفهم جملة ما، كلمة بعد كلمة، ولكنه يعالج نصاً كاملاً في عملية فهم واحدة.

وهذا الذي قلناه بدّه في نظر بيير ليفي¹: "إن القدرة على إدراك الصيغ أو تعرّفها تتصف بسرعتها الفائقة. والنظام الإدراكي يثبت في جزء من الثانية تفسير توزيع إثارة خاصة للآقطات الحسية. فنعرّف فوراً حالة أو شيئاً، ونرى حل مشكلة سهلة دون الحاجة إلى استدعاء سلسلة من الاستقرات الواعية. فالإدراك المباشر هو العادة الإدراكية الأساسية".

وافتراضات التعدد والغموض اللغويين اللذين يخلقان كثيراً من المشكلات للآلة لا توجد لدى الإنسان إلا عندما لا يمتلك المعارف غير اللغوية التي تتيح له فهم النص.

¹ Levy, p. (1990) : *Les technologie de l'intelligence*, Editions La Découverte, Paris, P. 178.

2.4.4 التشابهات

1.2.4.4 الشبكات واللغات الفرعية

بيّنت لنا تجربة الترجمة المتزامنة (الفورية) وجود حقول دلالية ثنائية اللغة تقريباً، في ذاكرة شبكات المقابلات المعجمية، تضع كلمة واحدة منها الشبكة كلها في حالة تأهب. وهذه الشبكات تشبه التجمعات العاملة في الحواسيب في (E): "اللغات الفرعية"، كما في نيتوس (برمجية الترجمة الآلية)، حيث وُضع في الذاكرة معجمُ صناعة النسيج باللغتين الإنكليزية والفرنسية.

والمترجم الذي يعمل بانتظام في ميدان تسعير الكهرباء مثلاً سيجد دون تردد المقابلات للكلمات التقنيّة، سيقول دون تردد: إن "two-part tariff" مقابل لـ "tarif binôme" (تعرفة ذات حدّين)؛ و "block tarif" مقابل لـ "tarif à tranches" (تعرفة ذات شرائح)، ولكن إذا استعمل أحدهم خلال عملية ما فجأة تعبيراً مجازياً، مثل: "cuisine à l'étouffée" (طبخ على البخار وعلى النار) أو "feston" (كشكش)، فسيرتّبك، وسيتردّد وسيجد صعوبة في استدعاء كلمات المطبخ أو الخياطة هذه التي تنتمي إلى شبكة دلالية أخرى.

وبهذا الخصوص، هناك تقارب بين عمل الذاكرة البشرية والترتيب في معاجم صغيرة بحسب المواضيع. فكل شيء يمضي كما لو أن الإنسان العاقل رتب معجمه ترتيباً منطقياً، مجمّعاً الكلمات تبعاً لميادين الاستعمال.

2.2.4.4 الترجمة إلى قانون مختلف ظاهرة مشتركة بين الإنسان والآلة

الكلمات التقنية هي أحادية المرجع في ميدان استعمال محدّد، وهي إذن غير غامضة، وهكذا، ففي صناعة الفولاذ تكون (F) "estampage" (طبع بحروف بارزة) هي (E) "drop forging" (انخفاض التزوير)، أيّاً كان المقابل الذي يمكن أن تستدعيه هذه الكلمة في ميادين أخرى أو في مستويات لغوية أخرى. والكلمات المتعددة المعنى على المستوى اللغوي ستحافظ على معنى واحد ما إن يحدّد ميدان استعمالها. وحين يُعرّف ميدان استعمال الكلمات تصبح قابلة للترجمة إلى قانون آخر على صعيد النصوص، فالكلمات والعبارات لا تغير معناها بانئقالها من

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

المستوى اللغوي إلى مستوى النص. ومقابلاتها تستقرّ باستدعاء الكلمة في اللغة الأخرى، إننا نعرف أو يمكننا أن نعرف مقابلاتها بقطع النظر عن النصوص التي تظهر فيها. وتبدو هذه الكلمات سهلة جداً على الترجمة الآلية. لقد بين كلود بيدارد¹ الفائدة الكبيرة التي يمكن أن تجنيها الترجمة البشرية من قدرات الترجمة إلى قانون آخر، تقوم بها الآلة.

3.2.4.4 حالات غموض التحويل

يدرك الفرنسي في لغته الأم غالباً إدراكاً سيئاً حقيقة أن بعض الكلمات التي تبدو ذات معنى بسيط تأخذ معناها في النصوص كما لو كانت تحتاج إلى ترجمات مختلفة. إن الـ (F) "pourquoi" (لماذا) مثلاً، التي نميل إلى أن نقابلها بـ (D) "warum" بالألمانية تأخذ معناها غالباً على أنه: (لماذا أعمل) أو (لأي سبب)، أي بـ (D) "wozu" أو (D) "weshalb". إن "لماذا" الفرنسية تعبر عن فروقتها الدقيقة دون أن نعي بالضرورة أن جزءاً فقط من احتياطيها الدلالي يظهر في كل استعمال. وفي الإنكليزية تبدو كلمة "river" (نهر) بسيطة، في حين يأخذ معناها بالفرنسية على أنها: "fleuve, rivière"² (نهر، نهر صغير: جدول) أو "cours d'eau" (مجرى ماء)، تبعاً لما تعنيه الكلمة في النص.

ويتحدث إ. كوزيريو عن تعدد معاني خارجي في تسمية هذه الظاهرة: إن كلمة تبدو بسيطة ظاهرياً تبدو متعددة المعاني عندما تجب ترجمتها. فتعدد المعاني الخارجي هو ظاهرة تمس المترجمين البشر بمقدار ما تمس الآلة. إن الميل المسيطر على المترجم يتمثل في الاستعمال الدائم للمقابل الأكثر تكراراً، أما مشكلة الآلة فناجمة عن أن تحليل لغة الانطلاق (المترجم عنها) ليس قادراً على كشف هذا التعدد للمعاني.

¹ Bédard, C. (1992): "La prétraduction automatique, outil de productivité et d'évaluation professionnelle", *META*, vol, 37, no 4.

² النهر (fleuve) يتميز بغزارته وطوله، وبأنه يصل إلى البحر. أما (rivière) فهو نهر صغير قليل الغزارة والطول لا يصل إلى البحر، وقد يصب في النهر الأول. (المترجم)

4.2.4.4 السياق والزاد المعرفيان

سبق أن تحدثنا عن المتممات المعرفية لدى الإنسان، وهي السياق والزاد المعرفي والمعارف غير اللفظية، التي تتضمن إلى دلالات ألفاظ الجمل، ولا تسمح بظهور أي غموض معجمي أو نحوي. فالسياق المعرفي لا يتوقف تأثيره على تبديد حالات الغموض، بل إنه يخلق معارف جديدة غير لفظية تؤثر في كل لحظة في فهم النصوص. والاستعانة بالسياق المعرفي بوصفه مبدئاً للغموض يفهمه المعلوماتيون، ولكن إثارته على الآلة تتطلب تعييده (وضع قواعد محددة له)، وتعبيد ما ليس لفظياً يشكل صعوبة كبرى. يقول هوتشينز وسومرس بهذا الخصوص¹: "نادرة هي أنظمة الترجمة الآلية القادرة على الإفادة من المعارف المنبثقة عن السياق المعرفي، فلا شيء يبين لنا أين نذهب لنبحث عن جزئيات المعرفة التي تمكن في حالة خاصة، من تبديد حالات الغموض".

ويستفيض ت. وينوغراد في هذا الاتجاه فيعطي مثلاً يتصل هذه المرة بالزاد المعرفي وهو: "There is a man in the room with a green hat on" (هناك رجل في الغرفة يرتدي قبعة خضراء). يقول: إن هذه الجملة ليست غامضة على الإنسان، لأننا نعلم جيداً أن القاعة لا تلبس قبعة. ويضيف: دون معرفة العالم، كل الجمل تقريباً هي غامضة.

والمعارف غير اللغوية عند المترجم تعادل التحليلات النحوية على الآلة. إن اللغويين المعلوماتيين الذين واجهوا ترجمة النصوص، وخرجوا إذن من مستوى اللغة قد فهموا شيئاً فشيئاً أن كل ترجمة هي تفسير. وقد فهموا أن تفسير جملة ما في نص ما تتعلق إلى أبعد الحدود بالمتممات المعرفية. فإذا كانت التحليلات اللغوية ما زالت ترجح كفتها أيضاً بقدر واسع في تصميم الأنظمة الحالية، فإن أبحاثاً كثيرة العدد لا تزال تسعى لوضع الجهاز في تناغم مع الرجل.

5.4 الآلة تقترب من الإنسان

لم تعد المعلوماتية تقتصر على ترجمة الجمل خارج السياق وخارج الموقف، وعلى استكشاف

¹ Hutchins, J. et Somers H. (1992), op. cit. P. 92.

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

احتياطي تعدد المعاني المعجمي وغموض النصوص البنيوي. لقد فهمت أن التزفة ليست ترجمة. وليس ممكناً مع ذلك أن ندخل إلى الآلة زاداً معرفياً مماثلاً لزاد الإنسان. وقد أكد ذلك هوتشنز وسومرس¹ عندما قالوا: "إن من المستحيل في وقتنا الحاضر أن نرمز وندخل إلى الآلة معارف العالم الضرورية لحل حالات الغموض الممكنة جميعها، حتى لو تعلق الأمر بأنظمة مقتصرة على تطبيقات ضيقة نسبياً. وعلى الرغم من تقدم الذكاء الصناعي وثقافة المعلومات، يبقى الاحتمال قليلاً في أن يتحسن الوضع في مستقبل قريب، لأن تعقيد المعارف وصعوبة تعقيدها يشكّلان العائقين الكبيرين اللذين لا يتيحان الأمل بحلول سريعة".

ولعلنا نشك في أن الزاد المعرفي للفرد (المترجم أو القارئ) يمكن أن يكون يوماً قابلاً للوصول إلى الآلة. إنه غير لفظي والآلة لا تستطيع العمل إلا مع معطيات مقعدة. والشيء الوحيد الذي يشكّل تقدماً مع ذلك هو أن المعلوماتيين وعوا حدود الآلة وحصة النشاط البشري في الانتقال من نص إلى آخر.

1.5.4 قواعد المعرفة

إن الوعي بأننا لكي نترجم يجب أن نشرك معارف غير لغوية لتفسير نص، أوجد أبحاثاً في جامعة كارنيجي ميلون في بطرسبرج تهتم بإعطاء الآلة قاعدة معارف، أي كتلة معارف تتيح لها أن تربط نتائج تبديد الغموض اللغوي لنص ما بمعرفة الميدان المعالج في هذا النص.

يرجع مشروع كارنيجي ميلون إلى لغة وسيطة (interlangue) مكونة من معاني مستقلة من لغة ما أياً كانت، تعرض الأحداث، والحالات، والأفراد المذكورين في نص الانطلاق. وإضافة إلى الدلالات اللغوية، ترمي هذه اللغة الوسيطة إلى أن تأخذ بالحسبان الدلالات التداولية والخطابية، وموقف المتخاطبين من الجمل، وأفعال الكلام، وبنى الموضوعات، والطريقة التي تتربط بها الجمل لتشكل نصوصاً متماسكة،.. إلخ.

ومبدأ الاعتماد على معارف غير لفظية لتكوين معنى الجمل يقرب باحثي كارنيجي ميلون من

¹ Hutchins, J. et Somers H. (1992), op. cit. P.93.

تصورنا التفسيري، ولكنْ إذا كان المبدأ هو ذاته فإن طريقة العمل مختلفة بالضرورة، لأن ما هو غير لفظي عند الإنسان يجب أن يجد صيغته في الآلة. إن قواعد معارف الآلة تتوافق مع الزاد المعرفي للإنسان في مبدئها، لا في صيغتها. فالزاد المعرفي قياسي، من حيث إنه يتوضع في دارات عصبية، أما قواعد المعرفة فتُعرض في معانٍ فردية. يضاف إلى ذلك أن معارف الإنسان غير اللغوية ديناميّة، فهي تنمو مع كل وحدة معنى تتضاف إلى الزاد المعرفي مع تقدم القراءة. والمشكلة العملية المتمثلة في أن نُدخل في الآلة جميع المعطيات التي تتوافق مع زاد معرفي بشري تحدّ من قدراتها على التدخل في ميادين ضيقة جداً.

كثُرَ هم الباحثون الذي يشككون في إمكان أن يكون لدينا آلة ذكية، وفي ضرورة ذلك، ومن المبكر الحديث عن نجاح هذا المشروع. وربما كانت مشكلات الاستعمال غير قابلة للحل، ولكن رؤية الأشياء التي تقدمها الترجمة الآلية المبنية على قواعد معرفية تستند إلى تصور صحيح للترجمة.

2.5.4 الشبكات العصبية

هناك أيضاً محاولات في قيد الإنجاز منذ عدة سنوات، ولاسيما تلك التي تجرى في معهد ماساشوستس للتقانة لمحاكاة عمل الدماغ باستعمال حواسيب تعمل على البطارية، وجعلها تعمل بالتوازي للقيام بعمليات تحليل نحوي وتداولي تزامنياً.

نحن نعلم أن الأنشطة العقلية العليا للإنسان تقوم على شبكات خلايا عصبية تتطوي على إدراكات هذه الأنشطة ومعارفها، واكتسابها. لقد كتب عالم النفس العصبي جاك باربيزي الذي عملت معه سنوات، مقالاً منذ 1964 عن "مشكلة الترميز العقلي ودوره في آليات الذاكرة"¹ نستطيع أن نستخلص منه أن قراءة نص ما (موقف خارجي ونشاط وظيفي ملائم) تشغّل شبكة خلايا عصبية نوعية، وأن السيالة العصبية التي تجتازها تُظهر بشكل شبه تزامني جوانب حسيّة

¹ Barbizet, J. (1964): "Le problème du codage cérébral, son rôle dans les mécanismes de la mémoire", Annales médico-psychologiques, Masson, Paris, no1, P. 26.

..... الترجمة الآلية في أفق الترجمة البشرية

(الإدراك البصري لما هو مكتوب)، ومعرفيةً (تنبيه المعارف الملائمة، الدلالية وغير اللفظية)، أو انفعاليةً (نستطيع أن نبكي أو نضحك لدى قراءة نص).

وحالة الوعي التي يتحدث عنها باربيزي تتوافق مع المرحلة التي نتحقق فيها، في الترجمة، من وجود معنى غير لفظي، في اللحظة التي يعود فيها جزءٌ من نصٍّ محوّلٍ إلى معنى، إلى الظهور في لغة أخرى. والجوانب الثلاثة التي ذكرها باربيزي: الحسية والمعرفية والانفعالية تنشط بشكل شبة متزامن "في شكل بزوغ سريع لصورة في أخرى". ففي كل إدراكٍ يُثير حالةً وعيٍ تنشط آلاف الخلايا العصبية بشكل شبة متزامن.

لقد شَبَّه عملُ الآلة بعمل الشخص المتكلم منذ مدة طويلة. ولا نستطيع إلا أن نغتنب بالاتجاه الحديث نحو "شبكات الخلايا العصبية"، الذي يقلب الاتجاهات السابقة: فبدلاً من أن تُصوّر العمليات العقلية للإنسان انطلاقاً من عمل الآلة، بُدِئَ بمحاولة بناء نماذج لعمل الآلة انطلاقاً من نموذج الإنسان.

2.6 الترجمة البشرية بمساعدة الحاسوب

لا تُستعمل الترجمة الآلية في الوقت الحاضر إلا في المنظمات الكبرى التي تحتاج كثيراً إلى ترجمة نصوصٍ مصطلحاتها قليلة نسبياً. أما النصوص التقنية الصغيرة الحجم، التي تكون برمجة الآلة من أجلها مكلفة جداً بالزمن وبالمال، فإن الحواسيب الشخصية التي تقدم برامج لمعالجة النص وتوصل إلى بنوك معطيات مصطلحية تصبح أدوات تساعد الإنسان أكثر مما تساعده آلات الترجمة.

في عام 1983 نَبَّهت فلورانس إريولو المترجمين المحترفين إلى عدة مراحل هامة يمكن أن تؤدي فيها مساعدة الحاسوب دوراً كبيراً، هي¹:

1. البحث الوثائقي، فبدلاً من الذهاب إلى المكتبات ومراكز التوثيق لتفحص مجلات تقنية وشراء كتب تقنية سيكون أسهل وأسرع أن نُدخل إلى الحاسوب بعض الكلمات المفتاحية، وبعض

¹ Herbolot, F. (1983): "TAO: pour un essai de définition", *Traduire*, no 114, Paris ? avril.

موضوعات الأبحاث لنحصل بالمقابل على قائمة بالمراجع، وملخصات مقالات، ومقاطع نصوص موثقة. والاشتراك في بنك معطيات أو أكثر قادر على تقديم كلمات في سياقها، وتحديدات مرجعية، ونصوصاً كاملة أو غير كاملة، على الشاشة أو على الطابعة.

2. **البحث المصطلحي.** والحل هنا بالأسلوب ذاته: الاشتراك في واحد أو أكثر من بنوك الكلمات، مع مدخل باللغة الأجنبية يمد المترجمين بعبارات، لا كلمات معزولة عن السياق وخارج ميدان الاستعمال. وسيمنح ذلك المترجم سهولة أن يعرف بالقراءة على شاشة حاسوبه ما لا يستطيع اكتشافه اليوم إلا بتصفح عدد كبير من المعاجم، وتصحيحها واحداً بالآخر.

3. **الترجمة ذاتها.** وهنا أيضاً ستكون ميزات الآلة مفيدة جداً. يجب ألا نطلب إليها أن تختار فهذه ليس مهنتها، إنها مهنتنا، ولكن لنطلب منها تقديم مسرد، وترتيب مئات العبارات المعجمية المطبوعة في ملحق كتاب ضخّم ألفبائياً، وترجمة العبارات الجامدة، والكليشيات، والأمثال التي خزناها في ذاكرتها. وإذا كانت الآلة حاسوباً قابلاً للبرمجة يمكنه أن يقوم وحده بترجمات مرهقة، مثل تبديل موقع قائمة قطع غيار وقائمة مصطلحات، وتحويل نصّ، بعد تهيئته سلفاً، إلى نص خالٍ من أي غموض.

مرت سنوات عشر ما بين 1984 و1994، والمترجمون يستفيدون من هذه التسهيلات. الزمن يقترب من نهايته، حيث كان المترجمون يُملّون ترجماتهم على مسجلات، ثم ينقلونها على الورق. وهم اليوم يستعملون بأعداد ما تتفك تزداد مساعدات معلوماتية، بدءاً بالمعالجة البسيطة للنص وانتهاءً بالأدوات الأكثر إتقاناً.

ويتوطّد اليوم اتجاه في البحث يسعى لا إلى معالجة معلوماتية لـ "مكان عمل" المترجم من أجل مزيد من الفاعلية فحسب، بل أيضاً، وبالتعاون مع المترجمين أنفسهم، إلى جعل استعمالها مريحاً ولطيفاً أكثر. ومن بين الوسائل التي قُدّمت لهم نذكر خاصةً إمكان أن يستشيروا على الخط معاجم من كل نوع.

والكلمات التقنيّة هي الأسهل ترجمة على الآلة. وهي تضع المترجم أمام ثلاثة أنواع من

المشكلات: فإما أنه لا يعرف الكلمة الأجنبية وعليه أن يطلب مساعدة خارجية ليعرف معناها؛ وإما أنه يعرف الكلمة الأجنبية ومقابلها في لغته، ولكنه لا يعلم إلى شيء أو مفهوم تُحيل؛ وإما أنه يعرف الكلمة وما تحيل إليه، ولكنه لا يعرف مقابلها في لغته.

وفي هذه الحالات الثلاث كانت العودة إلى معجم ثنائي اللغة وتوثيق خاص ضرورية. أما اليوم فالمترجم الذي يستعمل الحاسوب سيجد في متناوله المعطيات الضرورية دون أن يضطرّ إلى مغادرة مكان عمله. لم يعد المترجمون بحاجة إلى تكوين مكتبات ضخمة من المعاجم والوثائق من كل نوع، فهم يستطيعون الاطلاع عليها على الخط، فلن يكون معجمهم الخاص فقط في الآلة، لاستعماله وتطويره يومياً، بل يمكنهم أيضاً الاطلاع على جميع المعاجم المحفوظة على أقراص مُدمجة، والمعاجم التقنية المتخصصة، وبنوك المعطيات الوثائقية والمصطلحية العامة أو المتخصصة.

ويذهب كلود بيدارد¹ إلى ما هو أبعد من ذلك ويحلل ما يمكن أن يكون تعاوناً حقيقياً بين المترجم وآلة الترجمة. إنه استعمال الآلة لتنفيذ كل ما يسهل عليها وما يبدو صعباً على الإنسان أو طويلاً أو مملاً؛ وقيام الإنسان بما هو سهل عليه وصعب على الآلة.

إنه يعنون مقالته: "قبل الترجمة الآلية". هذه العبارة لا تعني: تهيئة نص الانطلاق (الفقرة 1.2.3)، بل أول حركة في الترجمة تقوم بها الآلة. فالآلة ترفض ترجمة ما يسبب لها مشكلة: الأدوات والضمائر والوحدات المعجمية المتعددة المعاني وتطابق الزمن،... إلخ. وباعتبار أن الأمر يتعلق بترجمة نص بالإنكليزية إلى الفرنسية، تقترح الآلة على المترجم ترجمة نصف إنكليزية ونصف فرنسية تحتفظ بميزات الأنظمة الآلية: الاستدعاء المنتظم للمقابلات المعتمدة للكلمات التقنية، وتوحيد مصطلحات الترجمة، والتأمين من عدم انتباه المترجم الذي قد يدون رقماً ما تدويناً خاطئاً مثلاً؛ والآلة تختصر الوقت أيضاً: إن عملية ما قبل الترجمة التي يقوم بها الحاسوب تجنب المترجم قسماً من الرّفق.

¹.Bédard, C. (1992): "La prétraduction automatique", *META*, vol. 37, no 4.

وعملية ما قبل الترجمة كما تصورها بيدار تحرر المترجمين من مهمات مصطلحية مكلفة في الوقت والجهد، ومن قسم كبير من رَفْن النص. إنها تشكل تقدماً مقارنة بالترجمة الآلية المراجعة النص، وهي مثل الترجمة الآلية مستعملة بشكل أو بآخر وفعالة أحياناً تبعاً لنمط النص الذي تطبّق عليه. فمن الممكن أن تكون كافية لنص تقني غني بالمصطلحات الأحادية المرجع والعبارات الجامدة. وكلما زاد فيه القسم النادر المثال والشخصي فيه قلّ استعمالها في ترجمته.

وفي التحليل الذي قدمته عن الطريقة التي حاولت بها الترجمة الآلية حل مشكلات الترجمة بمهاجمة حالات غموض الجمل المستقلة أولاً، ثم السعي الحثيث للتّمتّج على طريقة الآليات الدماغية، لا أريد أن أوجه اللوم لا إلى الترجمة الآلية ولا إلى الحواسيب أو إلى اللغويين المعلوماتيين. ولم أفعل ذلك والحاسوب في صدد تغيير المجتمع وإعطاء كل مترجم وسائل مساعدة ذات نوعية راقية؟

ويعزّ علي مع ذلك أن أشير بقوة إلى هناك خلطاً مستمراً في الوقت الحاضر بين طرائق عمل الآلة وطرائق عمل المترجمين البشر. لقد سبق أن انتقدت من "برمزون" في حين أننا "نتكلم"، أو "نكتب"؛ ومن "يفكون الترميز" في حين أننا "نفهم". وقس على ذلك استعمال كلمة "نص" التي ما عدنا نعرف إن كانت تعني نصاً أدبياً أو سلسلة كلمات أو جمل تعالج بالحاسوب؛ واستعمال كلمة "علم دلالة": هل تعني "الجانب المعنوي للعلامات، الجزء غير اللفظي الذي لا يمكن فصله عن الدالّ المعجمي أو الجُمليّ أم تعني مكوّناً غير لغويّ، زاداً معرفياً (معرفة العالم) وسياقاً معرفياً (مكتسباً معرفياً من قراءة نص)؟

وليس غريباً أن تكسب مليارات الدولارات الموظفة في بحوث الترجمة الآلية وآلاف الباحثين الذين استُخدموا فيها والذين يُستخدمون اليوم والآفاق الصناعية التي فتحتها الترجمة الآلية مئات اللغويين. ولا نستطيع أن نلومهم لانتماينهم إلى الثورة المعلوماتية؛ ولكن علينا أن نشجب تحيزاً غير معترف به: معالجة ترجمة اللغات، وإن شاء الله ذلك أم لا، معالجة الترجمة الآلية، في حين أننا نتحدث عن ترجمة يقوم بها الإنسان.

من أعلام الحضارة العربية الإسلامية

منهم ابن الفخار في شرحه على كتاب (الجمل) للزجاجي

ملك إبراهيم الأحمد
جامعة البعث - سورية

مقدمة:

نَالَ كتاب الجُمْل من الذبوع والانتشار ما ناله "كتاب" سببويه - وإن كان "الكتاب" وصاحبه له الفضل والسبق - ويدلُّ على ذلك كثرة شروحه وشارحيه، ومن هذه الشروح: شرح ابن خروف (ت 609هـ)، وشرح ابن الفخار (ت 756هـ)، شرح ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، يقول الياضي: "وأخبرني بعض فضلاء المغاربة أَنَّ عندهم لكتابه - أي الجُمْل - مئة وعشرين شرحاً".¹

أمَّا صاحب الجُمْل فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وهو لقب لحقه من ملازمة أستاذه الزجاج (ت 311هـ).²

وُلِدَ الزجاجي في مدينة الصيمرة،³ وتوفي في دمشق سنة (337 أو 339هـ).⁴

كان الزجاجي صاحب ثقافة واسعة، فانتسبت مؤلفاته بالكثرة حتَّى عُرِف بصاحب التصانيف،⁵ وكان من أهم هذه التصانيف كتاب الجُمْل.

ألَّفَ الزجاجي كتاب الجُمْل بمكَّة، وكان يطوف حول البيت سبع مرات كلَّما أنهى قسمًا منه،

¹ مرآة الجنان 249/2.

² البلغة في تراجم أئمة اللغة: 59، وبُغْيَةُ الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 77/2.

³ هي كلمة أعجمية، بلدة بين ديار الجبل وخوزستان، وهي للقاصد من همدان إلى بغداد عن يساره. انظر: معجم البلدان 118/3.

⁴ طبقات النحويين واللغويين، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 302/3.

⁵ سُدْرَاتُ الذهب في أخبار من ذهب 357/2.

ويدعو الله أن يُنتفع به؛ لذلك كان من الكتب المباركة.

قال صاحب كشف الظنون فيه: "وهو كتابٌ نافعٌ مفيدٌ لولا طوله بكثرة الأمثلة".¹

وقال الياقعي: "ولعمري إنَّ كتابين قد عَظُمَ النفع بهما مع وضوح عبارتهما وكثرة أمثلتهما وهما: جمل الزجّاجي، والكافي في الفرائض للصروفي".²

لقد أكثر الزجّاجي من الأمثلة؛ لأنه أتبع أسلوباً تعليمياً يعتمد على ترسيخ القاعدة في ذهن المتعلّم، فهو لم يكن في كتابه ميّالاً إلى النهج المنطقيّ الذي اتّبعه أستاذه ابن السراج (ت 316هـ) من حيث الحرص على الحدّ،³ فوجد النحاة في كتاب الجُمْل منهلاً علمياً يستطيعون من خلاله رسم أبعاد جديدة لعلم النحو، بعد أن أثقل كتاب سيبويه كاهل من أراد قراءته أو شرحه، فالمبرد كان يقول لمن أراد أن يقرأ عليه "الكتاب": "هل ركبت البحر؟"؛⁴ وذلك لما في الكتاب من تكثيف يصعب على المبتدئ إدراكه.

إنَّ سهولة كتاب الجُمْل وكثرة أمثلته كانت هي السبب في انتشاره وذيوع صيته، إلى جانب أنَّ أسامه بالاختصار كان سبباً لكثرة الشروح التي ألّفت عليه، وربما وجد بعض الشارحين أنَّ الاختصار من عيوب الكتاب، لكن لا نستطيع أن نلوم الزجّاجي على ذلك فهذا ديدنه في معظم كتبه التي وصلت إلينا، "ومن المعلوم أنَّ من كان قادراً على بلاغة الإيجاز كان قادراً على بلاغة الإطناب".⁵

وإذا كان التكثيف الذي اُتسم به كتاب سيبويه وراء تأليف الشروح حوله، فإنَّ كتاب الجُمْل - على الرغم من أنَّ أسلوبه كان سهلاً، وعبارته موجزة، وأمثلته كثيرة - لم يخلُ من عبارة تحتاج إلى توضيح، ولفظ يحتاج إلى شرح، ويبيّ يحتاج إلى نسبة، يقول ابن أبي الربيع (ت 688هـ)

¹ كُشِفُ الظنون عن أسماء الكتب والفنون 603/1.

² مرآة الجنان 249/2.

³ الزجّاجي حياته وأثّاره ومذهبه النحويّ من خلال كتابه (الإيضاح)، 55.

⁴ أخبار النحويّين البصريّين، 39.

⁵ شُرْحُ المفصل 2/1.

وهو أحد شُرَاح الجُمْل:

"ولم أمرَ بلفظ مطلق إلّا قَيَّدْتَهُ، ولا ناقص إلّا كَمَلْتَهُ، ولا مُعَلِّق إلّا شَرَحْتَهُ، ولا شاهد إلّا أَوْضَحْتَهُ، ولا بيت إلّا نَسَبْتَهُ".¹

هذا إلى جانب أن تهاون الزجاجي في بعض موادّ كتابه - وربما يكون ذلك لأنّه وضعه لصغار الطلبة - دفع بعض الشُرَاح إلى التنبيه على مواضع الخلل، ومواطن التناقض، يقول ابن السيّد البطليوسي (ت 521هـ) وهو أيضاً من شُرَاح الجُمْل: "غير أنّه مع تركه سبيل الإطالة والإكثار قد أفرط في الإيجاز والاختصار، ورمى بالكلام على عواهنه²... وأصل أصولاً لاتصحّ مع الاعتبار، واختار في أشياء ما ليس بالمختار".³

وفي هذا البحث سيكون الحديث عن دور ابن الفخار في شرح كتاب (الجمل)، وتوضيح المنهج الذي اتّبعه لتوضيح عبارات الزجاجي.

أولاً: حياة ابن الفخار:

اسمه ونسبه:

صاحب هذا الشرح هو محمّد بن عليّ بن أحمد بن محمّد بن هُذَيْل الخولانيّ البيريّ، ويكنّى بأبي عبد الله.⁴

مولده ونشأته:

لم تذكر المصادر شيئاً عن أسرته، ولا عن نشأته الأولى، ولكن يكفي أن لسان الدين بن

¹ التَّبْسِيطُ في شرح جمل الزّجاجي 156/1.

² أي لم يبال أصاب أم أخطأ، القاموس المحيط، (ع ه ن) .

³ إصلاحُ الخلل الواقع في الجمل، 19.

⁴ غاية النهاية في طبقات الفُراء 200/2-201.

الخطيب - وهو ممن لازمه مدّة - قال في حقّه: «سيبويه العصر».¹

شيوخه وتلاميذه:

تَلَمَّذ ابن الفَخَّار عند عددٍ من العلماء منهم:

- القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي (ت 715هـ)، غلبت عليه العربيّة والقراءات.
- أبو عبد الله محمد بن عليّ اللخميّ السبتيّ (ت 734هـ)، كان فقيهاً محدثاً بارعاً بالعربيّة.
- أبو محمد عبد المهيمن بن عبد الله الخصرميّ (ت 749هـ).²
- أما أشهر تلاميذ ابن الفَخَّار فهو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمانيّ الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت 786 هـ) أخذ عن ابن الفَخَّار العربيّة والفقه والتفسير.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك مجموعة من العلماء اشتهروا بابن الفَخَّار وهم:

- أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن الفَخَّار الجُداميّ المالقيّ الأركشيّ (ت 723 هـ)³، وأبو الحسن شاکر محمد بن الحسن بن الفَخَّار (586 هـ).⁴

وفاته:

توفيّ ابن الفَخَّار سنة أربع وخمسين وسبعمئة (754 هـ).⁵

ثانياً: العصر الذي أُلْفَ فيه الشرح:

عاش ابن الفَخَّار في ظلّ مملكة بني الأحمر، في أواخر القرن السابع، وإلى عام أربعمئة وخمسين وسبعمئة، وهي أخصب مراحل الثقافة العربيّة في تلك الأصقاع؛ فقد شهدت ساستهم

¹ الإحاطة في أخبار غرناطة 36/3.

² بُغْيَةُ الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 116/2.

³ الإحاطة في أخبار غرناطة 91/3.

⁴ الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة 164/4.

⁵ الإحاطة في أخبار غرناطة 96/3.

عناية كبيرة بالعلم وأهله¹.

وهذا يعني أن جواً من العلم كان يُخيم على العصر الذي ألف فيه ابن الفخار شرحه بعيداً عن الحروب والانقسامات.

وكان ملوك هذه المملكة ممن يشجعون العلماء ، وبعضهم كان يقرض الشعر كالملك محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر².

ونشأ في ظلّ دولة بني ما عُرف بالمدرسة النصرية أو اليوسيفية نسبةً إلى الأمر ببنائها وهو نصر يوسف بن إسماعيل الأول عام (750 هـ).

وقد درس ابن الفخار في هذه المدرسة، وظهّر أثر مهنة التدريس في شرحه، حيث نجده يعرض المسألة ثم يفرعها، وكأنه يجيب عن أسئلة تلاميذ يلتقون حوله ويناقشونه.

ثالثاً: أثر ثقافة الشارح في شرحه:

أ. أثر الثقافة الدينية:

1. الثقافة القرآنية:

استشهد ابن الفخار بالقرآن الكريم وقراءاته ، وكان يهتم بتخريج القراءات الشاذة ، من ذلك تخريجه لقراءة أبي السّمّال³ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾⁴ بنصب العذاب.

وهذه القراءة شاذة عند النحاة من جهة أنه نصب العذاب بعد حذف النون من اسم الفاعل، واسم الفاعل لا ينصب إلا إذا جُرد من (أل)، وثبت فيه التثوين إن كان مفرداً، أو النون إن كان مثنى أو مجموعاً جمعاً سالماً، أما إذا لم يُثبت التثوين ولا النون فإنه يتعين عندهم الإضافة إلى

¹ تاريخ التعليم في الأندلس 185.

² الإحاطة في أخبار غرناطة 545/1.

³ هو قُنبُ بن أبي قُنبُ العدويّ البصريّ، غاية النهاية في طبقات القراء 27/2.

⁴ سورة الصافات، الآية 38.

ما بعده، هذا وجه شذوذ هذه القراءة.

وقد حَرَجَ ابن الفَخَّار هذه القراءة فقال: «وهذا قد يَتَجَهَّ اتِّجَاهاً بعيداً (أي حذف النون) وهو أنَّ هذه النون فيها معنى التتوين، فلا يَبْعَدُ أن تُحذف لالتقاء الساكنين كما يُحذف التتوين لالتقائهما¹.

2. أثر الثقافة الحديثية:

أورد ابن الفَخَّار في شرحه سبعة عشر حديثاً، وهو - كأغلب النُحاة - يورد الأحاديث للتمثيل لا للاستشهاد بها على إثبات قاعدة نحوية، من ذلك الحديث الذي أورده في (باب ما تتعدى إليه الأفعال المتعدية وغير المتعدية): «وقد يكون معنى التوطئة في الحال أن يُتَأَوَّلُ في الاسم الجامد تأويلً يخرج به إلى حكم الاسم المشتق كقول النبي ﷺ وقد سئل كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يتملّ لي المَلَكُ رجلاً»².

إذن هذا كان حظُّ ابن الفَخَّار من الاستشهاد بالحديث الشريف، حاله كحال النُحاة جميعهم من حيث موقفه من صحّة الاستشهاد بالحديث الشريف.

3. أثر الثقافة الفقهية:

كان أثر الثقافة الفقهية واضحاً في شرح ابن الفَخَّار ، يتجلى ذلك في ذكره بعض المسائل النحوية، وما ينبني عليها من مسائل فقهية، من ذلك قوله: «لو أنَّ شهوداً شهدوا فقالوا: رأينا العدو قتل زيداً وأخاه، فقليل لهم: نُصّوا الشهادة على ترتيب الفعل، فقالوا: قتل العدو زيداً ثم أخاه، فالأخ على هذا وارث لزيد، وكذلك بالفاء، فإن قالوه بالواو كان ذلك مُجملاً، فإن ماتوا قبل ترتيب الموت وتوثيقه لم يرث أحد منهما أخاه ؛ لأنَّ الميراث لا يكون بالشك»³.

¹ شرح جُمَل الزَّجَاجي 454/2.

² شرح جُمَل الزَّجَاجي 254/1.

³ شرح جُمَل الزَّجَاجي 163-162/1.

ب. أثر الثقافة المنطقيّة:

تجلى تأثر ابن الفخار بعلم المنطق، من خلال إيراد التعليلات والبراهين الكثيرة في شرحه، وطرح المسألة من خلال الأسئلة والأجوبة من ذلك قوله: «فأما امتناعهم من عطف الظاهر على الضمير المخفوض إلّا بشرط إعادة الخافض، فمن باب حمل الشيء على عكسه، فكما يلزم تكرار الخافض في قولك: مررتُ بزيد وبك، فكذلك في عكسها، وإنّما كان كذلك ؛ لأنّ الواو لا تقتضي ترتيباً، فالمتأخّر معها في حكم المتقدّم.

فإن قلت: يلزم على هذا التعليل الاختصار بإعادة الخافض مع الواو، دون غيرها من حروف العطف، فما بالهم سوّوا بينها جميعها في هذا الحكم؟.

فالجواب: أنّ الواو أصل حروف العطف، فلمّا لزم فيها الحكم المذكور لوجود سببه، حُمِلَ عليها سائر حروف العطف، ليجري الفرع على حكم الأصل».¹

ج. أثر الثقافة اللغويّة:

كان معجم الصّاح للجوهريّ (ت 393هـ) من الكتب التي نصّ ابن الفخار على الأخذ منها - كما سيرد لاحقاً - وهذا المعجم حقيقٌ بأن يُغني شرح ابن الفخار إغناء تامّاً بالمادّة اللغويّة. ويدلّنا على أثر الثقافة اللغويّة شرحه لمفردات الأبيات، من ذلك قوله في شرح بيت الجمل:

«ثمّ أنشد:²

مثلُ القنافذِ هَدّاجونَ قد بَلَغَتْ نجرانُ أو بلغتْ سوءاتهم هجرُ

شاهداً على ما قاله من القلب، وإعرابه: «مثلُ» مبنيّ على مبتدأ محذوف كأنّه قال: هم مثل القنافذ، والقنافذ: مضاف إليه، وهو جمع قُنْفَذ، بضمّ القاف وفتحها، والضمّ هو الأصل، «هَدّاجون»: خبر ثانٍ أو نعت له، أو مقطوع كالأول، ومعناه مشاؤون، يُقال: هَدَج يَهْدِجُ: أسرع

¹ شرح جمل الزجاجي 175/1.

² أي أبو القاسم.

وَهَدَجَ الشَّيْءَ يَهْدِجُ هَدَجًا مَشَى بَارْتِهَاشٍ؛ لَأَنَّ فِي الْارْتِهَاشِ سُرْعَةً، وَإِنَّمَا يَهْجُوهُمْ، لِأَنَّهُمْ يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ بِاللَّيْلِ لِلسَّرْقَةِ وَالْفَجْرِ؛ وَلِذَلِكَ شَبَّهَهُم بِالْقَنَافِذِ لِمَشْيِهَا بِاللَّيْلِ».¹

د. أثر الثقافة الأدبية والتاريخية:

من اللافت للنظر في هذا الجانب أن ابن الفَخَّار كان يعتني بإيراد الحوادث النادرة التي تتعلق بالقضايا النحوية، فهو لم يكن يهتم بإيراد الأبيات قبل أو بعد البيت الشاهد كما كان يفعل غيره من الشُّرَاح؛ لأنه لم يكن يهتم أساساً بالشعر - كما سأذكر لاحقاً- ومن ذلك قوله في بيت الفرزدق:

وَعَضُ زَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوَانَ لَمْ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفُ

وكان² - فيما يُذكر - يَتَوَحَّى التَّعْيِيرَ كَثِيرًا، لِيُعْنِتَ بِذَلِكَ ابْنَ أَبِي إِسْحَاقِ النُّحَوِيِّ؛ لِأَنَّ ابْنَ أَبِي إِسْحَاقِ كَثِيرًا مَا كَانَ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ شِعْرَهُ، وَيُرْوِمُ تَلْحِينَهُ، وَحُكِيَ أَنَّهُ لَقِيَهُ فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ: «عَلَامَ رَفَعْتَ «أَوْ مُجْلَفُ»، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: عَلَى مَا يَسُوءُكَ وَيُؤْثِرُكَ».³

رابعاً: مصادر الشرح

كانت المصادر التي اعتمد عليها ابن الفَخَّار في شرحه كثيرة، وهو كغيره من العلماء لا يذكر المصادر التي يعتمد عليها في أكثر الأحيان.

ويمكن تقسيم مصادر ابن الفَخَّار إلى:

أ. الكتب التي نصَّ هو على الأخذ منها، وهي: اختصار ابن الحاجب، والأسئلة والأجوبة لأبي عليّ الشلوين، والأصول لابن السراج، والإيضاح للفارسي، والتذكرة للفارسي، وكتاب التلخيص، والدرة الألفية، وشرح الإيضاح لابن أبي الربيع، والصِّحاح للجوهري، والكتاب،

¹ شرح جمل الزجّاجي 803/3.

² أي الفرزدق.

³ شرح جمل الزجّاجي 810/3.

والمقرَّب لابن عصفور، والموجز لابن السراج.

ب. العلماء الذين أورد آراءهم، وهم: ابن عصفور، وابن أبي الربيع، وابن الضائع.

وقد اعتمد على هؤلاء الثلاثة كثيراً، خاصة أن الثلاثة من شُرَّاح الجمل.

وأبو عليّ الفارسيّ، والسيرافيّ، وابن جنّي، وابن السيّد البطليوسيّ، وأبو القاسم السهيليّ، وابن خروف، والزمخشريّ، وأبو عليّ الشلوبين.

خامساً: عرض ابن الفخار للمسائل في شرحه:

بدأ ابن الفخار شرحه من غير مقدّمة يوضّح فيها المنهج الذي يسير عليه، فبدأه بالبسملة والصلاة على النبيّ ﷺ، ثمّ شرح البسملة واسترسل في شرحها، وعقد فصلاً للحديث عن اشتقاق كلمة (اسم)، ثم تحدّث عن أقسام الكلام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف.

أمّا عرضه لمادّة كتاب الجمل، فقد كان يورد جزءاً من نصّ الجمل، ثمّ يقوم بشرح ما يتعلّق به، وأحياناً يقدّم لبعض الأبواب بمقدّمة يبدؤها بتعريف الموضوع المراد شرحه، ثمّ ينتقل إلى شرح كلام الزجاجي.

واللافت للنظر في هذا الشرح أنّ ابن الفخار يعرض المسألة، ويتركها، ثمّ يعود إلى ذكرها مرّة أخرى بعبارات مختلفة مثل (إملاء آخر) أو (عبارة أخرى) أو (تتمّة) أو غير ذلك. وكأنّه يكتب ثمّ يترك ما يكتبه ثمّ يعود إليه مرّة أخرى.

وما يلفت النظر أيضاً أنّ ابن الفخار لم يستشهد بالشعر كثيراً، فقد استشهد بمئة وسبعة وستين بيتاً فقط في كلّ الشرح؛ والسبب في ذلك أنّ الشعر في رأي ابن الفخار باب ضرورة، حيث صرّح بذلك قائلاً:

«إنّ الإشباع لا يكون إلّا في الشعر المبنيّ على الضرائر».¹

¹ شرح جمل الزجاجي 58/1.

ويُضاف إلى ذلك عدم عناية ابن الفَخَّار بمسألة الحدود، لأنَّه لا يرى أنَّ الحدَّ يعطي معنى دقيقاً للمحدود، يقول: « فمن رام اقتناص الأسماء على الإطلاق بشبكة الحدِّ فقد رام مُحالاً، إذ لا يُتصوَّر اشتغال حدٍّ واحد على حقيقة ومجاز، فلا يلزم إذن في حدود النحاة أن تكون كحدود المنطقة، وإنَّما غرضهم إفهام المقصود بما أمكن من العبارات، فما كان أقرب إلى المقصود كان الأخذ به أولى».¹

لم يستكمل ابن الفَخَّار شرح كتاب الجمل، فقد وقف في شرحه عند نهاية باب النسب أي إنَّ هناك اثنين وستين باباً لم يذكرها ابن الفَخَّار.

سادساً: ملامح شخصية ابن الفَخَّار في شرحه:

تبَدَّت هذه الملامح من خلال ما يأتي:

1. اتَّخَذ ابن الفَخَّار موقفين من الزَّجَاجِي: الأوَّل: الدفاع عنه، من ذلك: قال أبو القاسم: " ونقول في أسماء السور: هذه هود، وهذه يونس، تريد: سورة يونس وسورة هود، فتصرفُ هوداً، فإن جعلتَ هوداً اسم سورة لم تصرفه؛ لأنَّك سمَّيت مؤنثاً بمذكر".²

يقول ابن السيد: "لا ينصرف على كلِّ حال ؛ لأنَّه كان علماً للسورة ففيه التعريف والتأنيث والعجمة، وإن كان على حذف مضاف إليه ففيه التعريف والعجمة".³

وقد ردَّ ابن الفَخَّار رأي ابن السيّد، فقال: "وهذا لا يلزم؛ لأنَّه يمكن أن يكون أبو القاسم إنَّما ذكره لسبب اختلاف (هود) في الوجهين، ولا يُتصور ذلك الاختلاف في (يونس)، ولم يتعرَّض لبيانهِ؛ لظهور الأمر فيه، والله أعلم".⁴

¹ شرح جُمَل الزَّجَاجِي 21/1.

² الجُمَل 227.

³ إصلاح الخلل الواقع في الجُمَل 290، تجدر الإشارة إلى أنَّ كتاب (إصلاح الخلل) من الشروح الي ألفَت لإقالة عثرات الجُمَل وتصحيح عباراته.

⁴ شرح الجُمَل 241/1 .

الثاني: الاعتراض عليه، من ذلك: («عن» الجارة، و«عن» المبدلة همزتها عيناً في بعض اللغات).

ذكر ابن الفخار أنَّ أبا القاسم لم يحزّر اللفظ، ولم يثقف الكلام عن عروض الاشتراك اللفظي بين «عن» الخافضة و«عن» المبدلة عينها من همزة «أن» المخففة في بعض اللغات.

قال: «لأنَّ هذه (أي الجارة) مسبوقه بأصل آخر، وذلك أنك تقول: أعجبي أنَّ زيداً قائم، ثمَّ تُخَفِّف «أنَّ» فنقول: أعجبي أنَّ زيداً قائم بإبقاء عملها لفظاً إن شئت، ثمَّ تبدل من الهمزة عيناً، فنقول: أعجبي عنَّ زيداً قائم، وإن شئت أعجبي عنَّ زيد قائم بإهمالها لفظاً دون معنى»¹.

2. تغليب مذهب سيبويه في أكثر المسائل التي يوردها، من ذلك: (تصغير مُجَلِّب) يقول: "هذا الاسم وقع فيه الخلاف بين سيبويه والمُبرِّد، فذهب سيبويه إلى أنه يُصَغَّر على (مُجَلِّب) بحذف ياء الإلحاق دون حذف الميم؛ لأنَّ الميم تفضل ياء الإلحاق بالمعنى، إذ تدلَّ على أنَّه اسم فاعل، وتفضلها بالتقدّم أيضاً.

3. والمُبرِّد يُصَغِّره على (جُلِّييب)، فيحذف الميم؛ لأنَّ (مُجَلِّب) ملحق بـ (مُدحرج)، و(مُدحرج) إذا صُعِّر مُثْل فيه (دُحِيرَج) فقط؛ لأنَّه به زيادة واحدة، وما كان فيه زيادة واحدة تُحذف دون خلاف، فالملحق يحذف منه ما يُحذف من الملحق به".

وقد غلب ابن الفخار مذهب سيبويه فقال: "ومذهب سيبويه أولى".

4. ميله إلى التعليل في معظم المسائل النحويّة، من ذلك: قوله في وجه عمل أمثلة المبالغة، فقد ذكر أنَّ أمثلة المبالغة تعمل عمل اسم الفاعل، واسم الفاعل إمّا عمل لجريانه في اللفظ على فعله، وهي لم تجر على أفعالها، فجعلوا زيادة المعنى الذي فيها قائماً مقام ما فاتها من الجريان؛ لأنَّ اعتبار المعنى أقوى من اعتبار الجريان.²

¹ شرح جمل الزجاجي 1024/3.

² شرح الجمل 469/1.

من أنشطة المركز
خلال النصف الأول من عام 2019

من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2019

تابع المركز في النصف الأول من عام 2019، تنفيذ أنشطته المقررة للدورة المالية -2020
2019 على النحو التالي:

- تم إصدار الكتب التالية:

- كيمياء الخلية والطاقة والبيولوجيا الجزيئية وتطبيقاتها الطبية.
- استقلاب المعادن والبروتينات والشحومات وارتباطاتها السريرية.
- الكيمياء الحيوية للتواصل الخلوي وتكامل الاستقلاب.
- مهارات التواصل السريري في الطب.

- كتب قيد الإصدار:

- الفرش التقني والغازات الطبية في المستشفيات
- ميكروبيولوجيا الأغذية
- الخوارزميات وبنى المعطيات

زوّد المركز بعض الجامعات بإصداراته في إطار نشاط دعم الجامعات والمؤسسات العلمية.

- شارك المركز بالمعارض العربية والدولية التالية:

- معرض القاهرة الدولي للكتاب من 23 يناير وحتى 6 فبراير 2019.
- معرض بغداد الدولي للكتاب من 7-18 فبراير 2019.
- معرض مسقط الدولي للكتاب من 20 فبراير وحتى 3 مارس 2019.

- معرض اربيل الدولي للكتاب من 3-13 أبريل 2019.
- معرض أبو ظبي الدولي للكتاب من 24-30 أبريل 2019.

للاطلاع على إصدارات المركز كاملة
يرجى زيارة موقعنا على الروابط التالية

الموقع على الشبكة (الإنترنت) : www.acatap.org

الصفحة على موقع التواصل الإجتماعي (فيسبوك):

<https://www.facebook.com/Acatap.Damascus>

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة: [E-mail: acatap2@gmail.com](mailto:acatap2@gmail.com)